

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الترجمة الأدبية في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

إعداد الطالبة
ميسر سليم الشورة

إشراف
الأستاذ الدكتور فايز القيسي

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجـــــة
الدكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2010 م

الإهداء

إلى الارواح الطاهرة التي كانت ترقب نجاحي، لكن البارئ أختارها قبـل أن يحين وقت القطاف، روح والدي العزيز أبو شريف وروح والدتي الحبيبة أم شريف وروح عمتي الحنونة أم فارس رحمهم ا واسكنهم فسيح جنانه .

إلى السكن والملاذ، إلى الطهر والنقاء زوجي الحبيب الدكتور فراس ابو قاعود الذي تحمل معي المشقة والعناء.

إلى فلذات كبدي أولادي. معاوية، بتول، سندس، مالك، ذكرى.

إلى عنقود التواصل المخضر دوماً برحيق الترابط والإخاء الصادق أخـواني وأخواتي.

إلى كل من أضاء شمعة في دربي وشد من أزري إلى كل هؤلاء جميعاً أهدي عصارة جهد سطّرته أنامل معينكم النابض علها تكون قلادة في أعناقكم.... أطروحة الدكتوراه.

ميسر الشورة

الشكر والتقدير

لا يسعني وقد أنهيت هذه الرسالة إلا أنْ أتوجه بالـشكر والامتنـان والتقـدير لأستاذي الدكتور فايز القيسي الذي كان له فضل اختيار هذا الموضـوع ولتفـضله بقبول الإشراف على هذا البحث وإسداء النصائح والتوجيهات التي كان لها أعظـم الأثر في اخراج هذا البحث .

وإني لأشعر بالفخر والاعتزاز بتلمذتي على هذا الأستاذ القدير الـذي أفـادني وصوب خطاي وأسأل ا العلي القدير أن يجزيه عني خير الجزاء ويحفظه لخدمـة هذه الأمة .

كما أتقدم بجزيل الشكر للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقش:

الأستاذ الدكتور:

والأستاذ الدكتور:

والأستاذ الدكتور:

-جزاهم ا عني كل خير- على تفضلهم بالمشاركة في قـراءة هـذا العمـل وإسداء التوجيهات التي سأحترمها واعمل بها لخدمة البحث وإخراجه بصورة لائقة.

ميسر الشورة

فهرس المحتويات

الملخص

الترجمة الأدبية في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل ا العمري

ميسر سليم الشورة

جامعة مؤتة، 2010

تتناول هذه الدراسة الترجمة الأدبية في كتـاب العمـري الموسـوم بمـسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حيث يعد هذا الكتاب مـن أوسـع وأشـمل دوائـر المعارف في القرن الثامن الهجري، وتظهر من خلاله ثقافة العمري واطلاعه علـى ما سبقه من التراث العربي الذي كان أهم مصادره بالإضافة الى عصره حيث اعتمد فيه على المعاصرة لأنه عايش من ترجم لهم، لذا يعد هذا الكتاب موسوعة علميـة ثقافية أدبية جغرافيا تاريخية ،لما ظفر به العمري من مـصادرمتعدده ومعلومـات متنوعة ،لذا اقتصرت هذه الدراسة على الترجمة الأدبية لما لها من أهمية قـصوى في هذه الكتاب،فقد تعددت الطوائف التي ترجم لها ،فقد ترجم للمغنيـين والـشعراء والكتاب والوزراء وحفظة ألسن العرب والصوفية والمحدثين والأطباء،كما تعـددت أنماط الترجمة عند العمري، اعتماداً على مصادره فقد ترجم من صنيعه ونقل مـن مصادره المدونة،وقد اتخذ العمري معايير متعددة للترجمـة أبتـداء مـن العـصر الجاهلي حتى عصره ،فكان للحقب الزمانية أثر واضح في تراجمـه، كمـا كـان للمفاضلة بين المشرق والمغرب أثر في تراجمه، والتنوع الطائفي للتراجم لم يغـب عن العمري، حيث جعل تراجمه في طوائف، كما كان للترجمـة البلدانيـة أهميـة كبرى. لم يقدم العمري هذه الترجمة بالاسلوب النثري المباشر ،بل لامـس وهـج الشعر واقترض شيئا من شمائله، وكان لعصره والعصور المتقدمة بالغ الأثر فـي أسلوبه من تنميق العبارة وزخرفة الكلمة، فظهرت ترجمتـه مـصبوغة بالـصبغة الأدبية لما تمتاز به من ايقاع وجمال فني تتضافر عناصره لتشكيل نغمـاً موسـيقياً ،كما كان للنقد المجال الأوسع في فتح بابه على مصرعيه،فقد بث العمـري كبـرى القضايا النقدية التي مازالت مثار جدل بين النقاد منها الـسرقات الـشعرية واللفـظ

والمعنى والتلقي وغيرها. لذا يزخر هذا المؤلف بالعديد من القضايا التـي يتناولهـا الدارس.



Abstract

The Literary translation in Al-Umari's book marked as

(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)

Muyasar Al-Showara

Mu'tah University, 2010

This study deals with literary translation in Al-Umari's book marked as (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)

This book is considered as one of the most comprehensive and broader communities of knowledge in the eighth century AH . It shows Al-Umari 's culture and knowledge of what preceded him in the Arab Heritage which was his most important resource in addition to his age, as he depends in it on the contemporary because he lived with the people he translated for them, so this book is considered as a scientific, cultural , literature, geographic and historic encyclopedia for what Al Umari has gained from different information and resources, so that, this study was limited in literature translation only for its great importance in this book, as he translated for a multi-ethnics of singers, poets, ministers ,Arab, mystics and modernists and doctors .

Al-umari translation styles were varied depending on his resources, he translated from his formulation and from his written resources , he also followed different standards for translations from the age of ignorance until his age , so the ages had an important reflection on his translations , the comparison between the east and the west also effected Al-umari translations .

The sectarian diversity and the intercountry translations were important in addition. Al-umari did not present this translation in the direct prosaic method, but he used the poetical style. His era and the advanced ages played a significant role in his touch through the elegancy of language, euphuism and floridness as his translations have the literary characteristic including the rhythmic , harmonic beauty composing a musical sound.

Al-Umari also addressed great criticism issues that controversi al among critics such as thefts of poetry, pronunciation, meaning, receiving, etc .. , so this work is full of so many of the issues addressed by the student .

المقدمة

يتناول هذا البحث دراسة فن الترجمة الأدبية في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، الذي عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكان مؤرخاً كبيراً حجة في معرفة المسالك والممالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إماماً في الترسل والإنشاء، وكتابة الترجمة الأدبية، بأسلوب أدبي رفيع، في إطار من النثر الفني المقيد. ويعد هذا الكتاب عملاً موسوعياً جغرافياً تاريخياً كبيراً. ومن أهم ما وصل إلينا من مصنفات التراث العربي الإسلامي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر للميلاد، وهو يتألف من سبعة وعشرين جزءاً ما يزال أكثرها مخطوطاً. وقد نشره مصوراً فؤاد سزكين مدير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت، سنة 1988.

كما نشرت بعض أجزائه دون تحقيق علمي دقيق يراعي قواعد تحقيق المخطوطات العربية؛ مما ألحق الأذى بالنص الأصيل للكتاب، ويستدعي ذلك تكوين لجنة علمية رفيعة ذات خبرة علمية في تحقيق المصادر العربية الأصيلة ونشرها يعهد إليها تحقيق موسوعة " مسالك الأبصار وممالك الأمصار"، وإظهارها على النحو الذي وضعه المؤلف عليه، ليتبوأ هذا المصدر المهم المكانة اللائقة به.

ويشغل فن التراجم والسير جزءاً مهماً من مسالك الأبصار، إذ يختص الجزء الخامس: بمشاهير القراء المحدثين، والسادس في الفقه والمذاهب الإسلامية، والمجلد التاسع بالفلاسفة والحكماء والمتكلمين في الأندلس، والأطباء في بلاد العجم والهند والشام والمغرب ومصر. وكذلك يحتوي على علم الموسيقى.

ويختص المجلد العاشر بترجمة الوزراء في الشرق والغرب وبالديار المصرية وكذلك مشاهير الملوك.

أما المجلد الحادي عشر: فيحتوي على تراجم كتاب الإنشاء في خدمة الخلفاء والملوك، ويتضمن المجلد الثاني عشر تراجم الخطباء ويتطرق ابن فضل الله العمري إلى تراجم الشعراء بالتفصيل في المجلدات من الثالث عشر وحتى التاسع عشر.

وقد تنوعت ألوان الترجمة تبعاً لتنوع الأهداف والغايات التي سعى إليها ابن فضل ا العمري, وتبعاً لاختلاف المادة المدونة, وهي تهدف بشكل عام إلى تحقيق ما يلي:

1. التعريف بالإبداع الأدبي والفني للمترجم لهم, من أهل الأدب والشعر والبلاغة والأدباء والحكماء والفلاسفة والموسيقيين والمغنين وغيرهم, وعرض نماذج من شعرهم الرصين ونثرهم البديع، وأصواتهم العذبة.
2. التعريف بالعلماء من الفقهاء المحدثين والحفاظ والقضاة والقراء والمؤرخين وغيرهم, وبيان دورهم في الحركة العلمية, من خلال الحديث عن أوليتهم ومشيختهم, وتلامذتهم, وبيان أحوالهم ومصنفاتهم وتواريخ وفياتهم.
3. التعريف بالمشهورين من العلماء والأدباء والمتصوفة والملوك والوزراء والأعيان وغيرهم ممن نبغوا في مختلف أقاليم المشرق والمغرب منذ القرن الهجري الأول حتى زمان ابن فضل ا العمري، بحيث أنه ترجم لبعض من رآهم والتقى بهم وتحدث إليهم.

وقد جاءت هذه التراجم متفاوتة في طولها، فمنها ما هو قصير لا يتعدى بضعة أسطر، ومنها ما هو طويل يمتد في صفحات كثيرة، بل أورد أحياناً بعض التراجم التي تجري مجرى الكتب المصنفة.

وقد عمد ابن فضل ا العمري إلى اختيار النصوص الأدبية الشعرية والنثرية التي ضمنها تراجمه، وانتقائها وانتخابها بعناية شديدة، على وفق ذوقه الخاص، وتوجهاته الدينية والفكرية والأخلاقية، وقد أصدر أحكامه على هذه النصوص، وأبرز شخصيته بالتعليقات وإبداء وجهة النظر، وتقديمها في إطار من الصياغة الأدبية الرفيعة التي تقربها من أساليب الشعر، في المباني والمعاني.

ولهذه التراجم أهمية أدبية كبيرة لا تقل عن غيرها من التراجم التي تضمنتها كتب السير والتراجم العربية، وذلك لما تضمنته من معلومات وأخبار جليلة ونصوص شعرية ونثرية متنوعة ذات شأن كبير في شؤون الثقافة العربية الإسلامية في المغرب والمشرق على حد سواء، كان نقل بعضها من مصادر ضاعت ولم تصل إلينا، أو من مصادر ما تزال مخطوطة.

كما تبدو أهمية الترجمة في مسالك الأبصار في أنها لم تحظ باهتمام دارسي الأدب العربي، على الرغم من أن هذا الكتاب حظي بقدر كبير من اهتمام الباحثين العرب والمستشرقين في مجال الجغرافية والتاريخ والأقاليم.

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. الكشف عن أهمية التراجم في مسالك الأبصار ومنهجها ومصادرها، وموضوعاتها، ثم السمات الفنية لها.
2. تحليل الأحكام النقدية الذوقية التأثرية لابن فضل ا العمري التي تتصل ببعض جوانب الإنتاج الشعر والنثري للمترجم لهم.
3. بيان مدى مساهمة ابن فضل ا العمري في أدب السير والتراجم عند العرب.

واشتملت هذه الدراسة، على مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، وقد تناول الفصل الأول: كتاب مسالك الأبصار: مؤلفه، ومنهجه، وأهميته الأدبية، ومفهوم الترجمة الأدبية في الكتاب وأنواعها، وشمولها المعرفي، وامتدادها الزماني والمكاني.

وتناول الفصل الثاني مصادر الترجمة في كتاب مسالك الأبصار، مثل كتب السير والتراجم العامة، والدواوين، والمكاتبة، والمشاهدة والمعاينة، والمصادر الشفوية، وغيرها.

أما الفصل الثالث فتناول بناء الترجمة الأدبية ومادتها. ووقف الفصل الرابع على الآراء النقدية والأحكام الذوقية في التراجم الأدبية. وتناول الفصل الخامس: جماليات التشكيل الفني للترجمة. أما الخاتمة فقدمت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وأخيرا فإنني اعتذر عن كل خطأ أوسهو وقع، وسأسعى إلى تصحيحه وتعديله ليخرج هذا العمل كما أرجو وأتمنى، فإن كتب لي التوفيق فذلك بغيتي وإن قصرت فلا كمال إلا سبحانه، فالعظمة له وحده وما قصدت إلا عمل الخير.

الفصل الأول

الترجمة الأدبية

في كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار

أولاً: كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار: مؤلفه، ومنهجه، وأهميته الأدبية

1.1 مؤلف كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار:

اسمه ونسبه:

سرد لنا العمري اسمه ونسبه في مقدمة كتابه، قائلاً: يقول العبد الفقير إلى ا تعالى، الراجي عفوه، أحمد بن يحيى بن فضل بن المجلي بن دعجان بن خلف بـن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد ا الصالح بن أبي سلمة – وقيل أسلمه – بن عبيد ا بن أبي عبد الرحمن بن عبدا بن عمر بن الخطاب القرشـي العـدوي [1].
و(العمري) نسبه إلى عمر بن الخطّاب الذي ينتهي نسبه إليه، وقام بتـأليف كتـاب بخصوص ذلك سماه "فواصل السمر في فضائل آل عمر ".

ولقد ترجم له الصفدي فقال: أحمد بن يحيى بن فضل ا المجلّي بن دعجـان ينتهي إلى عبدا بن عبدا بن عمر ابن الخطاب رضي ا عنه القاضـي شـهاب الدين أبو العباس بن القاضي محي الدين القرشي العدوي العمري الدمشقي [2].

لقد اجمع الذين ترجموا له من المؤرخين، وكتّاب التراجم على أن كنيته أبـو العباس، ولقبه شهاب الدين [3].

---

[1] العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى، ت 749 هـ، مسالك الأبصار في ممالـك الأمصار:27/1، تحقيق طلال زهير هاشم، علي زهير هاشم، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ط 1، 2008م.

[2] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت 764 هـ، أعيان العصر و أعوان النصر، تحقيـق علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة ومحمد موعد ومحمود سالم، دار الفكر، دمـشق، 1997 م: 417/13.

[3] الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، ت 764 هـ، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين بـن عبد المجيد: 1/ 12، الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت 1089 هـ، شـذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت: 16/ 160، الحنفي، محمد بن أحمد بـن

مولده ووفاته:

اختلف المؤرخون الذين ترجموا للعمري اختلافاً يسيراً في سنة ولادته، ففـي أكثر الروايات أنه ولد بدمشق سنة 700 هـ [1]، ويذكر الصفدي المعاصر لـه فـي كتابه "الوافي بالوفيات" أن العمري ولد بدمشق ثالث شوال سنة سبعمائة، ولكنه يعود ويذكر في موضوع آخر أن مولده سنة إحدى وسبعمائة أو سنة سبعمائة [2].

وتوفي العمري في دمشق، في التاسع من ذي الحجة سنة 749 هـ بالطاعون ودفن بالصالحية [3].

ويبدو أن نشأته الأولى كانت بدمشق، وقد عني والده [4] بتعليمه وتثقيفه فنـال علوم الأدب على يده، وابن فضل علم أسرة من أعيان الكتبة فـي دولـة المماليـك البحرية تولّى عدداً من أفرادها كتابة السر للسلاطين الأمراء في القاهرة ودمشق في أثناء القرنين السابع والثامن للهجرة.

أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئـة المـصرية العامـة للكتاب، القاهرة، ط 2، 1982: 1/ ق1/ 487، ابن كثير الحافظ، ت 774 هــ، البدايـة والنهاية، ط 2، مكتبة المعارف، بيروت، 1977 م: 13/ 229، ورد في الـدرر الكامنـة، لابن حجر العسقلاني: 194/1 (إنه كان أصل نسبته إلى عمر بن الخطاب تصنيف كتابـه) (فواصل السمر في فضائل آل عمر)

[1] الكتبي، فوات الوفيات: 1/ 159، ابن تغري بردي، المنهل الصافي: 2/ 261، وانظر أيضاً: العمري، أحمد بن يحيى بن فضل ا ، ت 749 هـ، عرْف التعريف في المكاتبات، طبـع بدعم من وزارة الثقافة، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، دار ابن الجوزي، عمان، 2008م، دراسة المحقق ص 18.

[2] الصفدي، الوافي بالوفيات: 8/ 254، 268.

[3] الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر: 1/ 420.

[4] والده: هو يحيى بن فضل ا بن المجلّي بن دعجان، ولد في الكرك في شـوال سـنة 645 هـ، وكتب الإنشاء بدمشق أولاً ثم بمصر آخراً. قال صلاح الدين خليل:"لم أر في عمـري من كتب النسخ، التخاريج الحواشي أحلى وأظرف ولا ألطف منه"، توفي في الثـامن مـن شهر رمضان سنة 683 هـ. انظر مصادر ترجمته: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنـة: 262/2، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:9/ 232

فقد شهد العلماء والمؤرخون المعاصرون للعمري على براعته وسعة علومه ونُبل أخلاقه، ونقل من جاء بعدهم شهاداتهم وسطّروها في كتبهم، فهذا صلاح الدين الصفدي المعاصر للعمري الذي كان بينه وبين العمري مراسلات عديدة أهمها "الشتّويات" [1]، يقول عنه: "هو الإمام الفاضل البليغ المفوه الحافظ حجة الكُتّاب، إمام أهل الآداب، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسلاً، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلاً، وإقداماً على الأسود في غابها، وإرغاماً لأعاديه بمنع رغابها، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهب، ويتحدر سيله الذاكرة وحفظاً، يتصبب، ويتدفّق بحره بالجواهر كلاماً، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المتسرعة نظاماً، يقطر كلامه فصاحة وبلاغة، وتندى عباراته إنسجاماً وصياغة... لا أرى أن اسم الكاتب يصدقه على غيره، ولا يطلق على سواه " [2].

ويقول عنه القلقشندي: "الفاضل الألمعي، والمصقع اللّوذعي، ملك الكتابة وإمامها، سلطان البلاغة ومالك زمامها " [3].

كما يقول عنه ابن كثير: "وكان يشبه القاضي الفاضل في زمانه، وله مصنّفات عديدة بعبارات سعيدة، وكان حسن المذاكرة، سريع الاستحضار، جيد الحفظ، فصيح اللّسان، جميل الأخلاق، يحب العلماء والفقراء" [4].

أما ابن تغري بردي فيقول: "وكان إماماً بارعاً وكاتباً فقيهاً، ويقول أيضاً: كان إماماً فاضلاً، بارعاً، ناظماً، ناثراً، جواداً، ممدحاً" [5]. أما ابن حجر، فيقول عنه: "كان يتوقّد ذكاء مع حافظة قوية، وصورة جميلة، واقتدار على النظم والنّثر،حتى

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 388

[2] الصفدي، الوافي بالوفيات: 8/ 253، أعيان العصر: 1/ 417، 418

[3] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي، ط 1، 1987 م، شرحه وعلق عليه نبيل خالد القطب، دار الكتب العلمية، بيروت.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية: 14/ 264.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 1/ 343.

كان يكتب من رأس القلم ما يعجز عنه غيره في مدة، مع سـعة الـصدر، وحـسن الخلق، وبشر المحيا "[1].

ونلاحظ أن معظم هذه الأقوال قد ركزت على سعة علمه وغزارته، إضافة لما كان يتمتّع به من ذكاء وفطنة وفصاحة وسرعة بديهة، وخلق رفيع وسـعة صـدر وحب للعلماء والفقراء.

شيوخه:

نشأ العمري في عائلة وبيئة تهتم بالعلم وترتبط به، فقد كـان والـده عالمـاً بالأدب، لذا نجده تخرج في الأدب على يد والده، فقد كان لنشاط الحركة العلمية في عصر المماليك أثر بالغ الأهمية في تنشئة العمري، حيث واكب ظروف عـصره، الذي انتشرت فيه المدارس والمساجد والخوانق والأربطة، والزوايا، على الرغم من مرور البلاد العربية الإسلامية بأحلك الظروف والأحوال، وذلك بسبب اجتياح التتار البلاد العربية وما قاموا به من قتل وتدمير وتخريب، حيث كان هـذا دافعـاً قويـاً للنشاط العلمي الذي بلغ أوجه في عهد المماليك، فقد عملت هذه المؤسسات العلميـة (المساجد، المدارس، الخوانق، والزويا...) على تنشيط الحركة العلمية، إذ تخـرج منها العلماء والفقهاء والأدباء الذين أسهموا آنذاك في ازدهار حركة التـأليف مـن (تراجم وسير وتاريخ وموسوعات)[2].

وقد كانت الظروف مهيئة للعمري كي ينهل من مختلف العلوم والمعارف، لذا تنوعت موضوعات دراسته، ونال حظاً وافراً من العلم على يد كبار علماء عـصره في دمشق والحجاز ومصر والإسكندرية وبلاد الشام[3]. وقد أشارت المصادر إلى فئة منهم، ونوهت إلى أنواع العلوم التي أخذها عنهم من أدبٍ أو علم، فقرأ العربية على

---

1 ابن حجر، الدرر الكامنة:1/ 352

2 انظر: إبراهيم زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيـوبي والممـلوكي: 201، سعيد عبدالفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام:288.

2 حول شيوخ العمري انظر، عرْف التعريف في المكاتبات، دراسة المحقق ص 33 – 42.

يد الشيخ كمال الدين بن قاضـي شهبة [1]، ثم على يد قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم [2]، وأخذ النحو عن أبي حيان [3]، والفقـه عـن البرهـان الفـزاري [4] وابـن الزملكاني[5] وقـرأ العروض والأدب علـى الشيـخ شـمس الديـن الـصائغ [6]، وعلاء الدين الوداعـي [7]، وقـرأ الأحكام الصغرى[8] على الشيـخ تقـي الديـن

---

[3] كمال الدين بن قاضي شهبة: هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيـب الأسـدي المتوفي سنة (726هـ/1325 م). انظر: أعيان العصر: 205/3، البداية والنهاية 131/14، الدرر الكامنة: 431/2.

[4] شمس الدين بن مسلم: هو محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزي الدمـشقي ت 726هـ / 1325م. انظر: الصفدي، أعيان العـصر: 418/1، الـوافي: 254/8، الـدرر الكامنة: 27/5، شذرات الذهب: 6/ 73.

[5] هو الشيخ أثير الدين، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بـن حيـان الأندلـسي، النحوي، مولده بغرناطة في آخريات شوال سنة 654هـ، اجتهد في طلب العلم، هاجر إلى مصر، وبرع في النحو وصار إمام عصره، توفي 745هـ، انظـر: الحنبلـي، شـذرات الذهب: 145/6، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،: 91/10، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: 152/7.

[6] هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن سباغ الفزاري، المصري، شيخ الإسلام برهان الـدين، أبـو اسحق الفزاري الصعيدي الأصل الدمشقي، توفي في جمادى الأولى سنة 729هـ، انظـر: الصفدي، الوافي بالوفيات،: 430/6، أعيان العصر: 85/1، ابن حجر العسقلاني، الـدرر الكامنة: 26/1، الكتبي، فوات الوفيات: 32/1.

[7] هو محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الدمشقي ابن الزملكـاني، كـان فصيحاً كبير الشافعيه في عصره، بصيراً بالمذاهب وأصولها، توفي سنة 727هـ، انظـر: الصفدي، الوافي بالوفيات: 214/4، أعيان العصر: 624/4، الكتبي، فوات الوفيات: 7/4.

[8] هو محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي المصري الأصل، الدمشقي المولـد تـوفي 722 هـ، انظر فوات الوفيات: 326/3، أعيان العصر: 397/4.

[9] هو علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر الكندي الوادعي، كاتب وأديب بارع توفي 716هـ، انظر: فوات الوفيات: 98/3، أعيان العصر: 546/3، الدرر الكامنة: 130/3.

10 لعله كتاب (الأحكام الصغرى) للشيخ عبد الرحمن بن الخراط الإشبيلي، وهو كتـاب فـي الحديث (هدية العارفين: 503/5).

بن تيمية[1]، كما قرأجملة من المعاني والبيان والدواوين وكتب الأدب على العلامـة شهاب الدين محمود الحلبي[2]، وسمع من الحجار [3]، وست الوزراء[4] وابن أبي الفتح وغيرهم[5].

لقد نشأ العمري على العلم والأدب، وكان له مشاركة في سائر العلـوم، كمـا أظهر براعة فائقة واقتدار واضحاً على النظم والنثر، حتى قيل عنه "كان يكتب من رأس القلم كان يعجز عنه غيره في مدةٍ، مع سعة الصدر، وحسن الخلـق، وبـشر المحيا "[6].

ومن يقف على شيوخه وما تلقاه عنهم من المعارف والعلوم، يحكم بأنه عـالم تبحر في علوم الأدب على وجه الخصوص، واعتمد على مطالعته الخاصة ونمـى معلوماته بالعمل.

---

[1] هو الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد االه بن أبي القاسم الحرانـي الدمشقي، كان إمام عصره في الفقه والحديث، والأصول والنحو واللغة تـوفي 728هـ ـ، انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات 15/7، الحنبلي: شذرات الذهب 80/6، الكتبـي: فـوات الوفيات: 728/1

[2] أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحلبي ثم الدمشقي، كان معـدوداً من كبار كتّاب العصر المملوكي وشعرائه وكان متمرساً بالكتابة الديوانية، فأصبحت هـي العمل الوظيفي الذي يشتغل به ويتعيش به منه، وقد أخذه أبناؤه عنه، انظر: الدرر الكامنة: 92/5 ترجمة رقم 4747

[3] الحجار: أحمد بن نعمه بن حسن البقاعي الدمشقي الحجار، المعروف بابن الـشحنة، تـوفي 730هـ , انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات 218/8، أعيان العـصر: 405/1، الحنبلـي , شذرات الذهب: 35/6.

[4] هي أم محمد أبنة الشّيخ تاج الدين أبي الفضل يحيى بن مجد الدين بن محمد، توفيت 715هـ، انظر الصفدي: أعيان العصر: 401/2، ابن حجر العـسقلاني، الـدرر الكامنـة: 78/2، الحنبلي، شذرات الذّهب: 93/6.

[5] انظر حول شيوخة الصفّدي، الوافي بالوفيات: 288/8، الحنبلي، شذرات الذهب: 160/16.

[6] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: 194/1.

وعلى الرغم من شهرته الواسعة في كتابة النظم والنثر فإن الصفدي جعله إمام وقته في العلم بالتواريخ، وخطوط الأقاليم، حيث يقول: "ولم أر من يعرف تـواريخ ملوك المغل من لدن جنكزخان، وهلم جرا معرفته، وكذلك ملوك الهند والأتـراك، وأما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان، وخواصها فإنه إمـام وقته"[1].

وربما كانت مكانة والده في العمل في الدواوين، قد مهـدت لـصلته بالملـك الناصر محمد بن قلاوون، إذ كان يعاونه في قراءة البريد، وتنفيذ بعض المهام، غير أن نبوغه في شتى العلوم إضافة إلى شخصيته جعلته يتقلد المناصب الرفيعـة فـي مجال كتابة الإنشاء، إذ "إنه عمل كاتباً فقيهاً" [2]، ويبدو أنه برع في المذهب الشافعي وأتقنه حتى قيل إنه، "شافعي مشهور"[3]، وولى الإفتاء على مذهب، وهو أحد الأدباء الكملة [4].

وقد نوهت المصادر بشخصية العمري وأشارت بدوره في مجـال الإنـشاء، فوصفته بأنه: "يتوقد ذكاء مع حافظة قوية، وصورة جميلة، واقتـدار علـى الـنظم والنثر" [5]. كما أشارت المصادر إلى المكانة التي تبوأها في كتابة الإنشاء، يقول ابن الوردي: " منزلته في الإنشاء معروفة وفضيلته في النظم والنثر موصوفة " [6].

لقد تقلد العمري وظائف مختلفة منها كتابة السر، وقراءة البريد على السلطان والإفتاء، والكتابة الفقهية، ومثل هذه الوظائف لا توكل إلى شخص من عامة الناس، وإنما لمن تميز بالذكاء، والفطنة والعلم أمثال العمري الذي عرف باشتهاره بـألوان العلم والمعرفة والخبرة، خاصة في مجال الإنشاء.

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات: 254/8

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 185/10

[3] محمد المكي، السحب الوابلة على ضريح الحنابلة: 276/1

[4] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: 194/1

[5] ابن الوردي، زيد الدين عمر بن مظفر، توفي سنة 749، تاريخه: ط1،1417هـ ـ،1996م، دار الكتب العالمية، بيروت،342/2

[6] ابن الوردي، تاريخه: 342/2

مؤلفاته:

على الرغم من أن العمري لم يعمر طويلاً (700هـ -749 هـ / 1300م - 1348م) فإنه ترك لنا تراثاً غزيراً من القصائد والأرجيز والمقطعات، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع[1].

كما ترك مصنفات مهمة في علوم ومعارف متنوعة، فقد ألفّ كتباً في تـراجم الرجال وكتباً تتعلق بقوانين الكتابة الديوانية، وأخرى في التـاريخ، حيـث تنـاول بالبحث الدول التي قامت قبل الإسلام، والدول التي قامت خلال المرحلة الإسـلامية إضافة لكتاباته في وصف ملوك الافرنج في عصره، وعلاقتهم مع المسلمين، ومـن أشهر هذه الكتب:

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:

اختلف المؤرخون حول عدد أجزاء هذا الكتـاب، صـلاح الـدين الـصفدي المعاصر للعمري يذكر أن هذا الكتاب عبارة عن عشرة أجزاء [2]، في حين أشار ابن العماد إلى أن الكتاب في سبعة وعشرين مجلداً [3]، وهذا ما عثر عليه وعمل علـى تحقيقه ونشره عدد من الباحثين، أما ابن تغري بردي فقد ذكر أنه أكثر من عشرين مجلداً [4]، وأشار ابن حجر على أنه في أزيد من عشرين مجلداً [5].

التعريف بالمصطلح الشريف:

ويطلق على هذا الكتاب اسم: الدستور[6]، حيث يشمل على القواعد والقـوانين المتبعة، أو التي يجب اتباعها في المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء، وقد حققـه الدكتور سمير الدروبي، ونشر في مجلدين: عربي وإنجليزي في جامعة مؤته، فـي سنة 1992م.

---

[1] الصفدي، أعيان العصر، 1/ 418.

[2] الوافي: 255/8

[3] شذرات الذهب: 6/ 160

[4] النجوم الزاهرة: 10 / 334

[5] الدرر الكامنة: 1/ 354

[6] القلقشندي، صبح الأعشى: 1/ 32

فواضل السمر في فضائل آل عمر:

وهو في أربعة مجلدات[1]، وهذا الكتاب عبارة عن دراسة لأسرته ورجالاتها وفضائلها، وهو مفقود الآن.

صبابة المشتاق:

وهو في مجلّد واحد [2]، وهو عبارة عن ديوان في مدائح النبي (صلى ا عليه وسلم)

الدعو ة المستجابة: وهو في مجلد واحد [3].

سفرة السفرة [4].

دمعة الباكي ويقظر الساهر [5].

نفحة الروض [6].

ممالك عباد الصليب [7].

وفيه وصف لملوك الإفرانج في زمنه، والأحوال السياسية والاجتماعية لهم، وعلاقاتهم مع المسلمين، وقد تم طبع هذا الكتاب في روما سنة 1883م مع ترجمة إيطالية له [8].

الشّتويات: وهو مخطوط، موجود في ليدن، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل كتبها في الشتاء [9].

---

[1] الوافي: 288/8، النجوم الزاهرة: 10/ 334

[2] أعيان العصر: 1/ 420، فوات الوفيات: 1/ 160.

[3] أعيان العصر: 1/ 420، النجوم الزاهرة: 10 / 235

[4] أعيان العصر:1/ 420، فوات الوفيات: 1/ 160، ويذكر هذا الكتاب باسم سفرة المسافر ويقظة المسافر.

[5] أعيان العصر: 1/ 420، الزركلي، الاعلام: 1/ 268.

[6] النجوم الزاهرة: 10/ 335.

[7] الزركلي، الأعلام: 268/1، وقد أشار على أنه مطبوع

[8] الأعلام: 1/ 268، زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: 3/ 244.

[9] الأعلام: 1/ 268.

النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية، وهو مخطوط في مكتبة فلايشر[1].

الدرر الفرائد في مختصر قلائد العقيان، وهو كتاب مخطوط، وفيه ترجمة لمشاهير المائة الثامنة من معاصريه مع ذكر أشعارهم وأخبارهم، ومنه نسخة في الخزانة التيمورية، كتب سنة 720 هـ / 1320 م [2].

ذهبية العصر: وفيه ترجمة لمشاهير المائة الثامنة من معاصريه مع ذكر أشعارهم وأخبارهم [3].

تذكرة الخاطر [4].

حسن الوفا لمشاهير الخلفا: وهي قصيدة رائية [5].

الجواهر الملتقطة [6].

2.1 كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار: موسوعيته ومنهجه

انقضى العصر العباسي بعد أن ترك تراثاً خالداً من علم وأدب وفن، واتسعت فيه دائرة التخصص ووفرت المؤلفات في شتى العلوم والآداب، فقد كانت الظروف مهيأة للعصر المملوكي، في إثارة الفكر في جميع التخصصات، ويرجع النّقاد ذلك إلى أسباب متعدده منها نكبة الثقافة العربية الإسلامية بسقوط بغداد في أيدي التتار وتخريبهم مكتباتها، وإغراق كتبها في دجلة، وقال آخرون إنه ضرب من التأليف وافق طبيعة العصر، وطبيعة الأرض المصرية [7]، كما عدوها تلبية لرغبة كثير من المثقفين في الاطلاع ونهمهم للقراءة والتحصيل من كل العلوم المتاحة، بما وفره مناخ الدولة المملوكية من الثراء والرفاهية والحض على العلم والأدب بكثرة ما أنشأ

---

[1] الأعلام: 1/ 269، تاريخ آداب اللغة العربية: 3/ 244.

[2] تاريخ آداب اللغة العربية: 3/ 244.

[3] البغدادي، هدية العارفين: 110/5.

[4] هدية العارفين: 5/ 110.

[5] هدية العارفين: 110/5.

[6] التعريف بالمصطلح الشريف:8

[7] باشا، عمر موسى، تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1989م.

السلاطين والأمراء من المدارس، ولأن كتّاب الديوان كانوا في حاجة إلى مثل هـذه المعرفة الواسعة بكل شيء بحكم قربهم من الـسلطان وتعـاملهم مـع كثيـر مـن الموضوعات التي تقتضي معرفة بالتاريخ والجغرافيـا والتفـسير والفقـه والأدب والعلوم المختلفة[1]، ومهما يكن من أسباب ظهور تلك الموسوعات، فإنها كانت حقيقة عرف بها العصر، حيث برزت تلك النزعة الموسوعية في ذلك العصر بروزاً جلياً، والتي يعنى بها الميل إلى جمع المعلومات المختلفة والحقائق المـشتتة والنـصوص المبعثرة التي تجمعها جامعة، وتربط بينها فكرة موحدة، فينقب عليها المؤلف ويفتش عنها في حنايا مظانها وينزعها من مكانها الذي ربما تكون غريبة في إقامتها لديـه، ثم تحشد هذه المعلومات أو النصوص تحت راية فكرتها المشتركة، ويعمل المؤلـف جهده في التأليف بينها حتى تتوثق عراها، وتبـدو مجموعـة ضـخمة متراصـة المفردات، متماسكة الحلقات، مسكوبة في قالب تأليفي منظم متناسق فيه ربط وتقسيم وتقديم وتأخير حسب أهمية النص [2].

لقد كان لظهور هذه النفائس في العصر المملوكي على وجه الخصوص معنى كبير لا ينبغي أن تفوتنا دلالته العميقة التي تصحح دون ريب تصوراً خاطئاً وقر في أذهان كثير من الدارسين، "فقد ذهب بعضهم دون قصد في الأحكـام أو تـرو فـي إصدارها إلى أن العصر المملوكي كان عصر تخلف علمي، وتأخر أدبي، وأخترعوا لذلك أسباباً وابتدعوا لذلك تعديلات ودواعي ولم يخطر ببالهم قبـل إصـدار تلـك الأحكام أن يلتفتوا بعض الشئ إلى هذه الأعمال العلمية الكبيرة الوفيرة و العدد التي يغني الواحد منها عن مائة كتاب، كما أنهم لم يزنوا طبيعة العصر ودقته وخطـره ولم ينتبهوا إلى أنه كان يمثل جانباً من الوطن الإسلامي الكبير الذي خرج من محنة التتار منهوك القوى مثخناً بالجراح مجرداً من كنوز عقوله المسجلة في روائع الكتب

---

[1] سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي، الناشر منشأ ة المعارف بالإسكندرية،ج 2، ص 359.

[2] سليم، محمد رزق، عصر سـلاطين المماليـك وانتاجـه العلمـي والأدبـي، م 6 / ق3/2، 1381هـ - 1962 م، ص 432.

التي ألقيت في نهر دجلة" [1]، ومن ناحية أخرى لم تقـف ملكـة التـأليف الـسخية بأصحاب الموسوعات عند اقتصار كل واحد منهم على موسـوعة وإنمـا جـادت قرائحهم الخصيبة بأعداد وفيرة من المؤلفات، ومن ناحية ثالثة لم يكن هذا العـصر مجرد عصر إحياء ما ذوي ولمّ شتات ما اندثر من آثارنا الفكرية وتسجيل ما هـو مهدد بالزوال من أدبنا ما كان منه مسطراً في الكتب أو مبعثرافي الأذهان وحسب، وإنما عصر عطاء وبناء وابتكار.

ومن الأمور الجديرة بالذكر أن عصر الموسوعات كان قريب العهد بالعـصر الذي زخرت فيه الأندلس بكبار العلماء والفلاسفة والمؤلفين، ولم تكن هناك حـدود تفصل أرض المسلمين وإن تشعبت إلى ممالك متفرقة بعضها عن البعض، بل كانت الرحلة دائمة والأسباب موصولة، فلم يكن الفكر في الشرق بمعزل عن نظيره فـي المغرب والأندلس، ومن ثم كان التفاعل قائماّ والعطاء متصلاّ [2]، فهي صدى ثقافـة بيئة ونتاج عقول إليها انتهت الزعامة الحربية والرئاسة السياسية، فنكـب علماؤهـا على التأليف والكتابة من منطلق خاص انبثق من مؤشرات خارجية وداخلية [3].

لقد شكلت تلك النزعة محطات مهمة في العصر المملوكي، حيث أقبل الأدباء والنقاد على جمع تراثهم وتدوينه وتبويبه، بحيث يلملمون شتاته، فبهذا النهم المنقطع المنفرد النظير هو الذي دفع بابن فضل العمري إلى تـأليف موسـوعته المتعـددة الأغراض، فمن الأغراض التي نالت حظاً وافراً هو فن الترجمـة التـي تنوعـت أضروبها، وتناسقت مفرداتها. يعد كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابـن فضل العمري، الذي يقع في سبعة وعشرين جزءاً، من أعظم ما وصل إلينـا مـن كتب التراث العربي والإسلامي في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر المـيلادي). وقد سجل لأدبه وعلمه وسعة إلمامه بتاريخ الملوك والعلماء والأدباء، وعلم وصف

---

[1] الشكعة، مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص 732.

[2] الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص 733 – 734.

[3] الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص 734.

الأرض وأطوال المماليك النائية، ويتضمن تواريخ وخطط بلدان وتـراجم أعـلام، ونوادر وطرائف وصور مختلفة من الأدب [1].

ويؤذن اسم الكتاب "مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار" بأن الكتاب في البلدان أو الجغرافـيا على نسق المسالك والممالك، وهو في تشكيله ومنهجه العام حـديث عن جغرافية (العالم الإسلامي والعربي) ومملكة مصر أو Ч للممالك حديثا جغرافياً، وهو يتحدث عن المكان وأبعاده المختلفة الجغرافية والسياسية والاجتماعية والبشرية. وتقول دورديتا كرافولسكي في ذلك:"إن غرض المؤلف من وراء العنوان "مـسالك الأبصار في ممالك الأمصار" أن يشير إلى مضامين عمله الكبير، فهو ينتمي إلـى التقليد الجغرافي الإسلامي المعروف باسم "المسالك والممالك""[2].

ويرجع ذلك إلى أن العمري لا يتحدث في عمله عـن الجغرافيـا الطبيعيـة، ووصف البلدان فقط، بل يخصص قسماً من عمله لتراجم كبـار الثقافـة العربيـة الإسلامية حتى عصره.

ويشير العمري إلى أن السبب في تأليف الكتاب هو "ذكر ممالك الإسـلام" إذ يقول: "ومن هنا نشرع في ذكر الممالك مملكة مملكة. وهذا الباب هو المراد من هذا الكتاب وبسببه أُلّف ولأجله صنّف" كما يشير إلى الأسلوب الذي اتبعه بعد اطلاعـه على الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها، حيث وجدها لا تتضمن سـوى الأخبار القديمة والمصطلحات التي ذهبت بذهاب أهلها. وذلك يكون قد اختط لنفـسه أسلوباً جديداً في التأليف يجعل مادة التاريخ والجغرافيا وغيرها من مضامين كتابـه أقرب إلى الفهم.

وقد كشف العمري عن طبيعة المنهج الذي سار عليه في موسوعته، فهو يذكر أنه أراد بمؤلفه إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها. وحالة كل مملكة وما هي عليه... وذلك لقصور المؤلفات السالفة في هذا المجال.

---

[1] الفقي، محمد كامل، الأدب العربي في العصر المملـوكي، ط 2، 1404 هـ ـ، 1984م، دار الموقف العربي، ص80.

[2] في مقدمة مسالك الأبصار عن قبائل العرب، نشر المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، سـنه 1985.

كما يذكر أنه لم ينقل إلّا عن أعيان الثقات... واستكثر السؤال عن كل مملكة في سبيل ذلك... حيث نقل عن بعض الكتب المصنفة في هذا الشأن كتقسيم الأقاليم وما فيها من أقوال... ولم يكتف بذكر المملكة جغرافياً بل يذكر مملكة كل سلطان جملةً وتفصيلا. "ولم أنقل إلى عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية، واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كلّ مملكة، الآمن من تغفل الغفلاء، تخيل الجهالات الضالة، وتحريف الأفهام الفاسدة فإن نقلت عن بعض الكتب المصنّفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لا بد منه: كتقسيم الأقاليم وما فيها من أقوال القدما، واختلاف أراء الحكماء، إلى غير ذلك من غرائب وعجائب وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير اعلام وتاريخ سنين وشهور وأيام عما هو مسرح أمل، ومطمح ذي عمل، لأجمل به كلامي، وأكمل به نقصي، وأتمم به بهجة النظر، ورونق الصفحات" [1].

ويضيف أنه لم يقصد سوى الممالك العظيمة. من ممالك الإسلام، ولم يذكر ممالك الكفار –كما سماها- إلا عرضاً ويضيف بأنه سيذيل كتابه بشرح عنها إن أمكن ذلك مستقبلاً ؛ حيث يقول: "ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة ولا خرجت في جهاتها عن الطريق المستقيمة: الاكتفاء بالحق الواضح، والصدق الظاهر، مما اتصلت بنا حقيقة أخباره، وصحت عندنا جلية أحواله " [2].

ثم يشير أنه يبدأ بالمشرق لأنه فيه ينفتح نوار الأنوار وتجري أنهار النهار إلى أن يختمه بنهاية المغرب إلى البحر المحيط لأنه الغاية وإليه النهاية.

كما فصل العمري كتابه من خلال المقدمة العامة إلى أبواب، قد أوردها في بداية كتابه وهي على النحو التالي نذكرها بإيجاز:

الباب الأول: في ذكر الدول التي كانت قبل الإسلام.

القسم الأول: الأرض وينقسم إلى نوعين:

أ- النوع الأول: في ذكر المسالك.

ب- النوع الثاني: في ذكر الممالك.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 29/1.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 31/1.

وقد قسم الأنواع إلى أربعة أبواب عديدة فصل فيها ما يحتاج إليه.

القسم الثاني من الكتاب خصصه لسكان الأرض من مختلف الشعوب وفيـه أربعـة أنواع:-

النوع الأول: في الإنصاف بين المشرق والمغرب.

النوع الثاني: في الكلام على الديانات.

النوع الثالث: في الكلام على طوائف المتدينين.

النوع الرابع: في ذكر الدول التي ظهرت في الإسلام وحتى عصره.

لذا، تُعد موسوعة مسالك الأبصار واحدة من أهم الموسوعات المـصنفة فـي العصر المملوكي، ومن أهدافها تقديم معلومات متكاملة لكتّاب الدواوين في عصره، وتدوين ما استطاع الوصول إليه من معارف إسلاميه تضمنها عصره، والعـصور التي سبقته.

وقد بنى العمري خطة كتابه على أساس المفاضلة بين المشرق والمغرب كرد منه على ما اعتبره محاولات من الكتّاب المغاربة والأندلسيين لتفضيل المغرب على المشرق أو التسوية في الفصل بينهما، وخص منهم بالذكر ابـن سـعيد المغربـي صاحب العديد من المصنفات وأبرزها "المغرب في حلى المغرب". ولهذا السبب بدا موسوعته بالجغرافيا لإثبات أن المشرق أكثر عمراناً واغنى موارد مـن المغـرب، وأكثر مدناً مقدسة، وأعدل مناخاً، ثم تناول الممالك الإسلامية في المشرق والمغرب في عصره مبيناً فضل المشرق في ذلك، ومعرجاً على بعض الممالـك النـصرانية وخاصة الدولة البيزنطية.

ثم بدأ المقارنة بينهما حسب العلوم المعروفة آنذاك، مثل: القراءات والتفسير، والحديث، والفقه، واللغة والنحو والبيان، وحـسب طوائـف الحكمـاء والأطبـاء، والمعنين، والوزراء والكتّاب والشعراء، والحيوان والنبات،والمعـادن، والطوائـف الدينية والفرق الإسلامية ثم التاريخ منذ آدم وحتى عصره.

ولعلة من المفيد القول إن منزلة "المغرب" في دراسة الأدب الشامي عظيمة، ذلك أنه احتفظ بكثير من نصوص الشعر العربي في مصر. كما احتفظ بكثير مـن التراجم التي جاءت في كتاب "جنات الجنان ورياض الأذهان" للرشيد ابن الزبيـر

المتوفي سنة 563هـ.ومما يزيد في قيمة نصوصه الأدبية أن علي بن سـعيد لقـي كثيراً من أدباء مصر وشعرائها، وأفاد من الرواية الشفوية حق الفائدة.

إن ما فعله العمري (في هذه القطعة من مسالكه الخاصـة بالمفاضـلة بـين المشرق والمغرب) لا يعدو أن يكون محاولة لإبراز فضائل المشرق وقد كان بهـذا الفصل تجاوز غاية ابن سعيد حيث جعل هذا نصب عينيه.

الإنصاف بين المشرق والمغرب، ولعل أهم الأسباب التي دفعت ابن سعيد إلى القيام بذلك هي:

1. واقع الشعور بالنقص عند الأندلسيين تجاه المشارقة الـذين جـاؤوهم باللغـة والدين وهذا الإحساس يلازمهم، ولذا فقد أغرقوا في تقليدهم، ونـسجوا علـى منوالهم، وترسموا خطاهم.
2. وكان المغاربة يشعرون بأن المشارقة لا يقدرونهم حق قدرهم حتى لو كـانوا مبدعين لمجرد كونهم مغاربة [1].
3. وبإزاء هذا الشعور من المغاربة كان المشارقة يؤكدون "عقدة التفـوق لـديهم كلما لاحت مناسبة لذلك" [2].
4. ثم أن ابن سعيد رحالة عرف موطنة وتنقّل في أرجائه كما عرف بلـداناً فـي المشرق واطّلع على الخلاف بين المشرق والمغرب، فكان ذهنه مهيّأً لإجـراء المقارنة بينهما دائماً من النواحي المختلفة [3].

وقد فتح هذا الباب على مصرعيه أمام العمري، بما يتمتع به من اطلاع واسع وقدرة بيانية تؤهله للرد على ابن سعيد.

ومن الواضح أن من أهم أهداف المناظرات التي تدور في ميدان الجغرافيـا، هي محاولة إبراز خصائص الأقاليم، من حيـث المنـاخ والنباتـات والحيوانـات والمعادن، وما يترتب على ذلك من زراعة وصناعة وتجارة، وما تتميز به المـدن

---

[1] ساق ا ، زينب طاهر، في الإنصاف بين المشرق والمغرب، دار المدار الإسلامي، بيـروت، ط 1، 2004 م، ص 76.

[2] ساق ا ، في الإنصاف بين المشرق والمغرب، ص77.

[3] ساق ا ، في الإنصاف بين المشرق والمغرب، ص 77.

من حيث الموقع، وما بها من عجائب طبيعية وآثار عمرانية ومراكز دينّية وعلمية، - والأهم من ذلك- ما ظهر جلياً عند العمري وهو من نبغ فيها من علماء وأدبـاء وشعراء وغيرهم من الطوائف التي ترجم لها العمري، فالصلة وثيقة بين هذه القطعة من المسالك، والتراجم التي أوردها العمري في كتابه، فلولا هذه البيئـة الجغرافيـة المميزة لما نبغ هؤلاء وبذلك تتميز الجغرافيا بكل ما تنتج وما تحوي من مكونـات طبيعية، والإنسان أهم هذه المكونات، فقد لقيت دوراً مهماً ورافداً لموضوع التراجم ولدى المقارنة بين المشرق والمغرب من حيث الأسبقية بالسؤدد والحضارة ويقـول العمري: "هل وصل إلى الغرب من السؤدد إلا ما فضل عن الشرق، أو لبس إلاّ ما أعاره من الخليع المبتذل لما دخل عبد الرحمن الداخل إلى جزيرة الأندلس" [1].

ومن الخصائص الحضارية التي يتميز فيها المشرق عن المغرب- كما يراهـا العمري – أن المشرق مقر الديانات، وبه الجهات الـشريفة المعظمـة كـالحرمين الشريفين مكة والمدينة وجبل الطور والقدس، وبه عاش الحواريون والصحابة، ونشأ الكرماء العظماء، وبه كان الفقهاء والمحدثون والحفّاظ والأولياء والفلاسفة والحكماء وعلماء الفلك والعدد والطب، وبه بدأت الموسيقى والغناء، والشعر والنثر والخـطّ، والشرق مهد الصناعة والملك وقواعد الخلافة والسلطنة.

فكان ذلك منطلقاً رحباً للوقوف على تراجم هؤلاء الأدباء والأعلام الذين نبغوا في هذه البيئة، خلال الحقب الزمانية المختلفة.

وهذا ما يؤكد بأن الكتاب موسوعة ذات بعد جغرافي، غير أن الترجمة تشكل جزءاً مهماً فيه، فقد ترجم لطوائف العلماء والأدباء والشعراء والوزراء والكتّـاب، وتغطي هذه التراجم الأجزاء التالية: من الجزء السابع إلى الجزء التاسع عشر، حيث رتبها على النهج التالي: الجزء السابع يتضمن النحويين واللغويين وأصحاب البيان، ثم يليه الجزء العاشر يتضمن المغنين، أما الحادي عشر فهو مخصص إلى تـراجم الوزراء والكتّاب، والثاني عشر مخصص لشعراء الجاهلية والدولة الأمويـة، أمـا الخامس عشر فقد خصصه لشعراء الدولة العباسية، والجزء الساس عشر مخصص لشعراء المشرق الإسلامي في عصري الأيوبين والمماليك، أما السابع عـشر فهـو

[1] العمري، مسالك الأبصار: 1/ 28.

مخصص لشعراء المغرب والأندلس، والثامن عشر والتاسع عشر يتضمنان شعراء مصر.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن العمري لم يكتف بهذه المقدمة العامـة التـي يرسم فيها المنهج العام لموسوعته، بل فصل في مقدمات الطوائف التي ترجم لهـا المنهج الذي اتبعه في ترجمة كل طائفة منها، على كثرتها، وبث في ثنايا الكتاب ما يفسر منهجه المتبع في الترجمة، فقد ترجم لحفظـة ألـسنة العـرب – النحـويين واللغويين وأصحاب البيان، والوزراء والكتّاب والشعراء والخطباء.

يورد في ترجمته لحفظة ألسنة العرب، "وما توفيقي إلا با عليه توكلت، وأما من حفظ ألسنة العرب، وسعى في تحصيل لغتها واضـطرب، فـأعلام لا تخفـى، وشرح لا تطفى، فأما من كان منهم بالجانب الشرقي ممن عبر منهم وبقي " [1].

وتعد هذه إشارة واضحة من العمري إلى سبب ترجمته لهذه الفئة، وذلك لانهم حفظوا ألسنة العرب، فضلاً عن الشهرة لهؤلاء الأعلام، كما حدد البيئـة المكانيـة (الجانب الشرقي). وبذلك يكون العمري وضع أساساً لتراجم هذه الفئة.

ويضع العمري مقدمة في غاية الأهمية في ترجمته لأهل الموسيقى والطرب، حيث يقسم مصادره التي اعتمد عليها إلى قسمين: مصادر أساسـية يـذكرها فـي المقدمة، ومصادر ثانوية يشير إليها في ثنايا التراجم، ويقول في ذلك: ممن يعد من الحكماء: أهل الموسيقى إذ هو من الطبيعي،" وقد أتيت منهم علـى مـشاهير أهـل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتابه الإماء الشواعر، وممن ذكره ابن ناقيا النحوي البغدادي في كتاب المحدث، ثم ذيلت ذلك مما نظرتـه في الكتب والتقطه منها التقاط الفرائد من السحب، وواخيت أهل الجانـب الـشرقي بأمثال من الجانب الغربي ومصر، ولإن لم يطاول الماء السماء، وسقت من الجانبين إلى زماننا سياقة لم آل فيها الجهد، وأتت به على ترتيب ما وقـع الاختيـار منـه، وجئت بالحكمة والدليل عليه[2] ".

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/7.

[2] المقصود به كتاب أغاني المحدثين، وهو عداد المفقود من تراث الأمـة الآن: انظـر عنـه: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: 1561/4

"ورايت بين القدماء والمحدثين اختلافاً في ألقاب الأنغام التـي صـنعوا فيهـا الأصوات، اختلافاً في الأسماء لا في المسميات، وكنت قد وقفت على كتاب ابن ناقيا في الأغاني، وهو على طريقة القدماء، ولم أجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه ولا أتفهم منه" [1].

ونتبين من خلال هذه المقدمة النهج الذي سار عليه العمري في ترجمته لهـذه الطائفة، فقد رسم لنا صورة واضحة المعالم عن طبيعة المصادر التي اعتمد عليها، حيث إنه اعتمد التخصص لكل طائفة ترجم لها فهو ينتقي المصادر الأساسية لكـل طائفة، فقد اعتمد كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ثم كتاب الإماء الـشواعر للأصفهاني ذاته، ثم كتاب ابن ناقيا أغاني المحدثين، فقد رتب مصادره ترتيب يعتمد على أهميتها، ثم يعود إلى المفاضلة التي سبقت الإشارة إليها، بالإضافة إلى الأدلـة التي يدعم بها معلوماته، ثم يبين لنا دقة ملاحظته لبعض الأمور مثل اختلاف القدماء والمحدثين في ألقاب الأنغام، ومن ثم تقصيه المعلومة وبحثه الشاق عنها واطلاعـه على المؤلفات وتفصيلها ومن ثم بحثه عن المعلومة بعدة طرق، اذا اسـتنفذ جميـع المعلومات المدونة في ثنايا الكتب المتخصصة في هذا المجال، وهو لا يكتفي بذكر المصادر الأصلية التي تناولت الحديث عن أهل الموسيقى والطرب، بل يتجاوز ذلك إلى الاعتماد على العلماء الثقاة المعاصرين له، من ذوي المعرفة بهذا الفن وأهلـه، ومن هؤلاء جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر [2]، الذي يعد علماً في هذا الـشأن في الشام، حيث يقول: "ولم أجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه ولا أتفهم منـه، وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر، عرف بابن زاده الدشتي المشرقي عن هذا ليبينه لي، وهو علم هذا الشأن بالشام" [3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق1 /11-12.

[2] جمال الدين أبو سعيد الكردي المغني الدشتي، ولد سنة 661 هـ، وهو مصنف كتاب الكنـز المطلوب في الدوائر والضروب. انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة: 97/3.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 10 / ق1 /11.

ومنهم سراج الدين الخراساني[1]، ومنهم أيضاً الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري[2]، لم يجزع العمري من السؤال وذلك ليظفر بالإجابة الشافية، وبعد أن يتحقق من ذلك يقنع به ويشيد بفضله، وذلك يفصح عن إعترافه بفضل الآخرين، كقوله: "ثم جعل ينشده بيتاً بيتاً من الأبيات التي فيها أصوات الأول المسماة بمصطلحهم، إلى أن ظهر له إتفاق القدماء والمحدثين في المعنى واختلافهم في اللفظ، وفنزل أسماء المحدثين عن أسماء القدماء، ورتب في هذا المقال، وفعل ما يعجز القرائح، ويدق عنها الإفهام، ثم لخص فيه ما مضمونه "[3].

لقد بذل العمري جهد طاقته في البحث عن المصادر ذات العلاقة، التي تقدم معلومات مهمة حول الطائفة التي ترجم لها، كما يعيد ترتيب مصادره حسب الأهمية، ويملك أسباب قلة التراجم في بعض العصور، وقد أورد ذلك في ثنايا تراجمه لطائفة المغنيين حيث يقول: "وهذا ما يقع عليه الإختيار من جامع أبي الفرج الأصفهاني، اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير المغاني وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا فيما جرينا عليه في جمع هذا الكتاب، لقلة اعتناء المتأخرين، ولا سيما بهذا الفن الذي فني ولم يبق من يعانيه أو يسمعه، لرغبة ملوك زماننا في سوى هذا، وشواغل أبناء الزمان بالهموم الصادرة عن السرور، ثم ظفرت لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه عرضاً جماعة على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطفت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة عن أواخر الخلفاء من بني عباس، وبقايا الخلفاء بالأندلس من بني أمية وأعقاب الملوك، والجلة من كل أفق، ما جمعت مفرقة وألفت ممزقة، ثم اتبعته بما التقفته من ذماء بقية من أهل الأعتناء ممن تأخر بهم الأجل الى هذا العصر... "[4].

---

[1] لم أهتدي إلى ترجمة له.

[2] الإمام الفاضل الشافعي الناسخ المقرئ، توفي سنة 753هـ وقد قارب التسعين، انظر الصفدي، أعيان العصر: 472/4، ابن حجر، الدرر الكامنة: 277/3.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق12/1.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 10 / ق2 / 77.

وبذلك يكون هذا القسم من كتاب العمري أكبر موسـوعة لأصـحاب الغنـاء العربي من بدايته وحتى القرن الثامن الهجري، فقد ترجم لأصحاب الغناء المغاربـة والأندلسيين، ولمن عاصرهم، كما أورد عدداً من أغـانيهم وألحـانهم التـي تنبـئ بإبداعاتهم.

كما تتكشف ملامح المنهج الذي اتبعه العمري في تراجمـه، فـي المقـدمات والفواصل التي يبثها العمري في ثنايا كتابه، فمن الطوائف التي ترجم لها الـوزراء والكتّاب، وقد قدم لهم بقوله: "وإذ قد انتهينا إلى ذكر الأدباء، وانتهينا إلى أن نغازل بهم عيون الأبناء، فسنذكرهم على ما قدمنا به القول من ذكـر أعيـان الـوزراء، وطوائف الكتّاب،والخطباء، والشعراء، ونبدأ بالوزراء ثم الكتّاب لأنهم منهم، ولكنهم هم وإن نأوا في القسمة عنهم... لنميط عن محاسنهم قناع الثرى، ونخرج دفـائنهم وقد أعيت مطالبها أطماع الورى، ونطلع لهم نجوماً ما تزينـت بمثلهـا الـسماء، ونعاطى مداماً ما شج شبيهها الماء " [1].وها أنا أذكر من كان من الوزراء والكُتّـاب من القطرين أناساً هم زينة ذلك القطر وأنواره، وثمرة المطعم وقراره...

إن هذه المقدمة تشتمل على معلومات في غاية الأهمية بشأن هذه الطائفة، فقد رتب العمري أصناف المترجم لهم وأطلق عليهم لقب الأدباء، والذين يشملون أعيان الوزراء، وطوائف الكتّاب، والخطباء والشعراء.

وقدم العمري للوزراء على الكتّاب، على الرغم من أنه عد الكتّاب من صنف الوزراء، ثم أشار إلى مفهوم الوزارة وارتباطها بالكتابة، جرياً على سنّة المـؤلفين العرب الذين جمعوا بين تراجم الوزراء والكتّاب، مثل الجهشياري [2] وغيره، كمـا ذكر غايته من الترجمة لهم التي تتمثل في إماطة قناع الثرى عن محاسنهم، وإخرج دفائنهم.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/11.

[2] هو أبو عبدا محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري، صـاحب كتـاب الـوزراء والكُتّاب، مؤرخ قديم، وهو أحد الأفاضل الثقات، الوزراء والكُتّاب، حققه مـصطفى الـسقا وآخرون، ط 1، 1938م مطبعة مصطفى البابي المقدمة.

وقد ركّز جهده على المشهورين من أهل هذه الصناعة "وها أنا أذكر من كان من الوزراء والكتّاب من القطرين أناساً هم زينة ذلك القطر وأنواره، وثمرة المطعم وقراره... كما يشير إلى مشاهير الوزراء الذين ارتبطوا بالـسلطان فـي الـشرق الإسلامي , هذا آخر مشاهير وزراء الخلفاء بالجانب الشرقي، فأما من يلحق بهم من مشاهير وزراء الملوك، ومن ينظم جوهره في هذا السلوك " [1].

ولم تقتصر المعلومات التي يوردها العمري في ثنايا كتابه على منهجـه فـي الترجمة، بل كان يرفد ذلك بمعلومات تتعلق بالتراتيب والمناصب الإداريـة التـي كانت شائعة في زمانه، ويتتبع هذه المناصب عبر مراحل التاريخ الإسلامي حتـى عصره، ومن ذلك حديثه عن الوزاره حيث يقول: "وأما من بعده من وزراء الدولـة الجنكيزخانية، فنقول: إن رتبة الوزارة لم تزل تتماسك زممها على انقـضاء دولـة الخلافة، ثم آخر ما حفظت هذه الرتبة العلمية السامية في ممالك بيت هولاكـو بـن طولي بن جنكيزخان، فإن الوزراء عندهم هم السلطان حقيقية، لا يشاور القـان إلا في الأمور الكلية، وهو المتصرف في البلاد والممالك، كيف يشاء يـولي ويعـزل، ويسمن ويهزل" [2].

وكان في مقدمات تراجمه وفي ثناياها يعرج على ذكر منزلة أبناء الطائفة التي يترجم لها، ومن ذلك قوله: "وأما وزراء الغرب فنقول قد سألت الشيخ العلامة ركن الدين أبا عبد ا   محمد بن القويع عن رتبة الوزير بالمغرب، فقال: ليست بطائـل، ولا لصاحبها شئ من الأمر، بل هو كالجاويش يخرج قدام السلطان يـوم الجمعـة حقيقته دون السمعة "[3].

ولما كان العمري قد أدرك أن لكل طائفة من الطوائف التي ترجم لها العمري ظروفاً خاصة بها، من حيث النشأة والبيئة والانتاج الأدبي والمنزلة التي تحظى بها، فقد وضع لكل طائفة معايير خاصة بترجمتها تناسب ظروفها وطبيعتها، ومن ذلـك

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 147.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 243.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 243.

ما ذكره في مقدمته لتراجم الكتّاب المشارقة حيث وضح الأسس والمعايير التي اعتمد عليها في ترجمته لهم، يقول:

"ثم كانت وزراء وكتّاب، مع من سمينا، وبعدهم في خدمة الخلفاء والملوك، فمن لم يرض البرق شراره من زناده، والعنبر الهندي مدة لمداده، طالما عدا الهلال تعلمه قلامةً، وكان الأفق لزهره كمامة، ومد الصباح صحيفةٍ. وسنأتي منهم على الغرض: فمنهم من نذكره لا شتهار اسمه، ومنهم من نذكره باستحقاقه، ثم هؤلاء على قسمين: قسم اشتهر للإكثار ولا يتعدى طبقة المقبول، وقسم منهم أصحاب الغوص، وأكثر ما تجد ذلك للمتأخرين، فقد أبدعوا في استخراج المعاني وتوليدها" [1].

وبذلك يكون العمري قد وضع معايير محددة لاختيار الكتّاب الذين ترجم لهم، وهي:

1- الشهرة.
2- الاستحقاق.
3- الكثرة في الانتاج على الرغم من الجودة.
4- المقدرة على استخراج المعاني وتوليدها.

ويلجأ العمري إلى تعليل اختياره للمترجم لهم دون غيرهم. ومن الأمثلة على ذلك قوله في ترجمته لأبي إسحاق فهو الصابئ [2]، "مشهور شهرة في يوم الصحو، تكلم وما تكاف، وتقدم ومن قبله تخاف، وتقدم على أهل العصر الخالي، وكان حلو الجنى، عذب المشارع وهو في الكُتّاب بمنزلة امرئ القيس في الشعراء، إمام القوم وحامل لوائهم..." [3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 11/12.

[2] إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الصابي توفي سنة 384هـ أحد كبار كُتّاب الإنشاء، ببغداد في عصر البويهين، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: 52/1، الصفدي، الوافي بالوفيات: 158/6.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 13/12.

ويشير العمري إلى أصحاب الغوص عن المعاني، فيقول بشأنهم: "فأما ما نذكره لأصحاب الغوص قديماً، ونصل جناحه بالمفاخرين، فسنغص به حلوق المفاخرين، ونقذي عيونهم في الآخرين، ونخرهم للأذقان على وجوههم داخرين، منهم بديع الزمان الهمذاني" [1].

"وهو نادر الدهر وبادرة الزهر، قلّ أن ولد الزمان مثله أو ولد شكله، إن الزمان بمثله لعقيم، ولا عصبية للعظام الرميم، بل هو وا البديع حقاً،المعيكر طرقاً، كان يلتهب فكره ذكاء وينتهب ذكره ذكاء كأنما كلمه صبرو لفظه زبر، سجعه قصير، ونفعه كبير من سمع حسانه تبع إحسانه، ومن فهم بيانه، علم أن فوق السحاب بنانه... " [2].

ولما تحظى به الكتابة من أهمية قصوى، فقد نوه العمري في مقدماته إلى أهمية الكتابة , والاختلاف بين المشرق والمغرب في المسميات والوظائف الكتابية، فهذه إشارة إلى معرفة ابن فضل ا العمري بطرائق الكُتّاب، وأساليبهم الفنية، وقد أورد ذلك بقوله: "وأهل هذه الرتبة لم يزل لهم الاختصاص والقرب أكثر من كل عام وخاص، يحتاج الأمراء مداراتهم، وتقصر الوزراء مع علو رتبة الوزراء عن مناراتهم، يجتمعون بالملك على عدد الأنفاس، وهم معنى الدولة وعليهم عولة كل الناس، وآخر ما كانت الملوك لا تكاتب الخلفاء ببغداد إلا إلى هذا الديوان، أعني ديوان الإنشاء، وكان تسميه الديوان العزيز. ولهذا كانت كتبهم تستفتح أدام ا أيام الديوان العزيز إشارة إلى ديوان الإنشاء، لأن الكتب كانت إليه والمخاطبة له... " [3].

تستوقف العمري الأمور التي تتعلق بشأن الكتّاب وديوان الإنشاء، وذلك لما يتمتع به من درايه حول هذا الشأن بحكم نشأته والوظائف التي تقلدها، كما أشرنا إلى ذلك في ترجمته، فيورد في ثنايا تراجمه أصناف الكتّاب، وهذا يدل على معرفته الحقه لهم، ويمايز بينهم، بقوله:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 56/12، انظر ترجمة: الصفدي، الوافي بالوفيات: 355/6، ياقوت معجم الأدباء: 234/1.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 56/12.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 12/12.

"وأما القسم الثاني من أصحاب الغوص، فسنذكرهم على أن حكم أكثر الكتّـاب القدماء حكم العرب، كلاهما له فضيلة السبق، وفتح الطريق وحكم المتأخرين فـيهم حكم المولدين من الشعراء، في توليد المعاني، والمجئ باللطـائف، وقـد وشـحوا صناعتهم بالاستعارات الصحيحة والتشبيه، والاستخدام والتورية، وأنـواع البـديع، وتناهوا في التدقيق والتنميق، وتباهوا في التخيل والتخير، وقيدوا بالأسجاع، لزموها كالقوافي، فلم يعزها من الشعر إلى الوزن فأخملوا الأوائل، وأخمـدوا كـل قائـل، وأتموا الفن، كملوه وزينوا الفضل وجملوه... " [1].

وبذلك يكون العمري قد خصص هذا الجزء من كتابه للحـديث عـن كتّـاب الإنشاء المشارقة، فقد أورد فيه كثيراً من الرسائل الديوانية التي لم يوردها غيـره، ورد في ترجمته القاضي الفاضل، ومن كتّاب كتب به القاضي محـي الـدين بـن الزكي.

"بعد أن صدرت هذه الخدمة إلى المجلس لا عدمت عواطفه وعوازمه، ولطائفه ومعارفه، وامتع ا الأمة عموماً بفضائله وفواضله، ونفعهم بحاضره كمـا نفعهـم بسلفه الصالح وأوائله، وعادى ا عدده، ودل سهامه على مقالته ورد كتاب منـه، وما بقيت أذكر الأغباب، فإن سيدنا يقابله بمثله، ولا العتاب فإن سيدنا يساجله بمـا فيض من سجله، ولا ألقي عليه من قولي، قولاً ثقيلاً، ولا أقابل به من قولـه قـولاً جلياً جليلاً، فقد شب عمرو بن الطوق، وشرف البراق عن السوق..." [2].

كما أورد العمري في هذا الجزء تراجم لشخصيات عاصرها وتتلمـذ عليهـا وصادقها، واعتمد فيها على مصادر مختلفة كالمشاهدة والمشافهة والمعاينة، ومـن الشواهد على ذلك ما ورد في ترجمة خليل بن أيبك الصفدي، أبي الصفاء صـلاح الدين [3]، حيث يقول:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 45.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 131/12.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 340، وهو مصنف الـوافي بالوفيـات، وأعيـان العـصر وغيرها، انظر: مقدمة تحقيق أعيان العصر، توفي سنة 764هـ، وهو من أصدقاء العمري وأترابه.

"هو خليلي الذي أنادي، وصاحبي إذا شكرت الأيادي، والذي أنادي منه خليـل الصفاء وصديق الوفاء، والذي أرضاني عن صنيع الليالي لما أتاني بنجومها قلـيلاً، والي لم أخال سواه إلا قلت ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ، والذي صحبت أبا الصفاء من وده الذي لم تشبه الشوائب، والخليل إلا أنه كان لأحمد أكثر مما كان عنده ابنه فـي النوائب، والذي عاقدني منها خليل صدقٍ فما ذممت له ذماماً وأوقد لي من حميتـه ناراً خليلة كانت برداً وسلاماً..." [1].

وكان لشيوخ العمري نصيب من تراجمه فقد ترجم لعدد منهم , ومـن هـؤلاء محمود بن سلمان بن فهد، الحلبي، الكاتب الذي قال عنه: "شيخنا العلامـة، حجـة الكُتّاب، فذ الزمان، شهاب الدين، أبو الثناء وهو شيخي في الأدب،وإن لم يكن لـي أبا مثل أب، لزمته منذ قدم دمشق حتى مات، أقرا عليه وأقرئ ممـا لديـه، ومـن حواصله أنفقت وجمعت وفرقت، وسددت إلى الغرض وفوقت، وأقول ولا أخـشى: فمهما وصفته به من المحاسن صدقت، لأن الرجل أشهر من الشمس، وذكره أشهر من "قفا نبك" قد أنجد ذكره وأتهم، وأعرف وأشأم، وغنى بـه المـلاح والحـادي، والرجال، والاطلاع على أراء الناس ومذاهب الأمم في الملـك والنحـل، ومـزق الخلاف ومواضع الاختلاف، وضبط التاريخ، واستحضار الوقـائع، وذكـر نـوب الدهر، وتصاريف الزمان، وأيام العرب والعجم..." [2].

وبدأ العمري ترجمته لشعراء المشرق الإسـلامي فـي عـصري الأيـوبيين والمماليك دون أن يشيرإلى الأسس والمعايير التي اختطها لنفسه، فقد بدأ تقديمه لهم بقوله: "وما توفيقي إلا با ومنهم: الأديب أبو محمد الحـسن بـن أحمـد حكّينـا البغدادي" [3]، ولكنه لم يلبث أن استدرك الأمر فنوه إلى ذلك في خاتمة التراجم لهـذه الطائفة بقوله: "وهذا آخر ما ذكرت من شعراء الجانب الشرقي، ممن ضمت حنايـا

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 340/12.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 284/12 انظر الصفدي، أعيان العـصر: 372/5، ابـن حجـر، الدرر الكامنة: 324/4، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: 4/ 82، توفي سنة 725 هـ.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 11/16، انظر ترجمته: ابن شاكر الكتبـي، فـوات الوفيـات: 1/ 319، توفي سنة 528 هـ.

القبور أسرارهم، وأخفت مغارب اللحود أقمارهم، ووسدهم التراب حشاياه، وكـدر لهم الدهر عشاياه، وصاد ورقهم الساجعة، وها هم الآن كما رأيتهم أرواحاً يتصور بالتماثيل عيانهم، وتغص من مدارج الصحف أكفافهم، وها أنا الآن أذكر من بقي من شعراء الجانب الشرقي ممن هو حي موجود هم على آثار سبقهم مجدون، ولـسلاف موتاهم ممدون، وما نحن إلا مثلهم، غير أننا أنخنا قليلاً بعدهم وتقدموا "[1].

لقد بين العمري من خلال هذه الخاتمة التي رسم فيها ما سـار عليـه فـي ترجمته لهذه الفئة، أصناف المترجم لهم زمنياً، وهم:

1- من ضمت القبور حنايا أسرارهم.

2- من هو حي موجود.

وبذلك يكون هذا الجزء مرجعاً أدبياً مهماً في هذا الفن، كما اسـتغل العمـري ذلك وبث في ثنايا تراجمه كثيراً من مقطوعاته الشعرية وجزءاً مهماً مـن سـيرته الذاتية وخاصة علاقته مع معاصريه من الشعراء والعلماء. ومن الأمثلة على ذلـك قوله: "قلت: وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين كنت قلتهما في هذا المعنى، ليلة نـصف شعبان سنة تسع عشرة وسبعمائة بدمشق، ونحن بالجـامع الأمـوي، وقـد علقـت مصابيح الوقود وكأنها خدود، وأقبل شاب ماطر شاربه هو البدر التمام في تلك الليلة أو يقاربه، ثم طفق في الجامع يتمشى، ويأخذ بمجامع القلوب، ولا يخشى، فقلت "[2]. (الطويل)

ولاحت مصابيح الوقودِ كأنهـــــا عيون رأت معنى الحبيبِ فحدقتْ

وولّت تريد العود من خَوف خـده وقد سرقت هـذه الشعاع فعـلّقت

ومن ذلك أيضاً حديثه عن صلته بأستاذه، محمد بن السباع الصائغ، الدمشقي، أبي يوسف، شمس الدين، حيث يقول: "وهو ممن أخذت عنه العروض، وكان فيـه إماماً , وقطّعت بحوره لا أرد الماء إلا حماماً، وتعلمت منه علم القوافي، وطرت في دقيقه وجليله بالقوادم والخوافي" [3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 252.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 16 / 221.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 241.

ولقد شكلت المشافهة مصدراً مهماً من مصادر حديث العمري عن معاصريه، حيث نقل بعض الأشعار عن طريق المشافهة من الشاعر نفسه، ومن ذلك ما أورده في ترجمة محمد بن محمد بن محمود أبي عبدا ، شهاب الدين [1]، ومما أنشدنيه (السريع)

يا إن جزت وادي الأراكْ	وقبلتْ أغصانُه الخضر فاكْ
اهد إلى عبدك من بعضها	فإنني وا مالي سواكْ

وقوله، وهو مما أنشدنيه: (الطويل)

جيادك يا من طبقَ الأرض عدلُه	وحاز بأعلى الجد أعلى المناصبِ
إذا سابقتها في المهامة غزةً	رياح الصبا عادت لها الجنائبِ
ولو لم يكن في ظهرها كعبةُ المنَى	لما شبهت آثارها بالمحارِبِ

وشكّلت دواوين الشعراء المعاصرين للعمري مصدراً مهماً في ترجمته لأصحابها، فانتقى منها مختارات مختلفة ضمنها تراجمهم، وإلى ذلك يشير في ترجمة عبد العزيز بن سرايا الحلّي، أبي الفضل، صفي الدين [2]، "وهذا آخر ما اخترت من جميع ديوانه، وبديع ما ضمنه من الفريد في صوانه، وقد وقفت عليه، وكله ناطق بصنيعه، مذّهب بشعاع توشيعه " [3].

ولقد تنوعت المصادر التي نهل منها العمري مادته، فمن هذه المصادر كتب المؤلفين الذين سبقوه إلى بعض الفنون التي ضمنّها كتابه، فقد راعى في ذلك أسساً ومعاييراً تضبط له المادة المنقولة من هؤلاء المؤلفين، وقد ظهر ذلك جلياً في الجزء المخصص لترجمة شعراء المغرب والأندلس، واختط لذلك منهجاً مختلفاً بعض الشئ عما سبق من تراجم الطوائف الأخرى، حيث أشار إلى ذلك في المقدمة الخاصة بترجمة هذه الطائفة.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 16 / 235، انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات: 1/ 232، ابن حجر، الدرر الكامنة: 3/5، توفي سنة 723هـ.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 253، انظر مقدمة ديوانه.

[3] العمري، مسالك الأبصار ك 16/ 253.

بقوله: "ثم لم يبق إلا ذكر الشعر بالجانب الغربي، وأول ما بدأ به منهم ابن سعيد، وهو المتأخر المجيد، المنتصر لجمعهم، والمقتصر على تحسين صنعهم من أول المائة الرابعة، وساقهم إلى زمانه في المائة السابعة، مرتباً على المُئين، منظماً لهم نظم العقد الثمين، وأول ما قاله إذ ذكرهم ما صورته: شعراء المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط، والجاهلية وما بعدها إلى المائة الرابعة عاطلة مما هو من شروط الكتاب. وقد زدنا على من ذكر ابن سعيد في عدد الأسماء، وفي عدد المختار أضعافاً مضاعفة ممن أهملهم إذ كان كتابنا هذا و الحمد على غير نمطه، ولا على حد مشترطة، بل بينهما بعد المشرقين، ونأتي بين الخافقين، ولعل جملة كتاب المغرب تأليف ابن سعيد، ومن قبله لا يجئ حجمه معنا قدر السدس، ولا فوائده إلا دون السبع، هذا إلى ما تضمنه كتابنا من علوم جمة، وأمور مهمة، وتراجم أعيان هم الناس، وسم من شئت منهم واستطرد في القياس، مما لا يحكم فيه إلا المنصف، ولا نريد فيه إلا القول المحق لا المسعف "[1]

يوضح العمري لماذا اعتمد على ابن سعيد في كتابه، ثم يقارن بين كتابه وكتاب ابن سعيد "المغرب في حلى المغرب " من حيث الحجم والمختار، والعلوم والتراجم، إنه يذكر المصدر: الذي اعتمد عليه ويقيمه، ويمثل ذلك انموذجاً لما يتمتع به العمري من أمانة علمية في ذكر المصادر التي اعتمد عليها، واعترف بفضل المؤلفين السابقين، ودورهم في المجال.

وبذلك يكون العمري قد اختطى لنفسه منهجاً عند النقل عمن ترجموا للشخصيات التي ترجم لها، وقد وضح ذلك في ثنايا تراجمه بقوله: "قلت: وسأذكر جملة ما ذكره ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة من أخبار وأجيء به مختصراً، وعلى لفظه مقتصراً، إلا أنني أحذف ما طول، فما لا حاجة إليه على عادتنا في مثله ".

فقد اعتمد الأسس التالية:

1- الترجمة من عنده.

2- ينقل ما يذكره الآخرون من أخبار المترجم لهم.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق1 / 11.

3- يجيء به مختصراً.

4- الاقتصار على لفظ المؤلف الذي ترجم له.

5- حذف ما طوله مما لا حاجة إلى ذكره.

لقد تعامل العمري مع كل مصدر من مصادره بطريقة أومـنهج سـار عليـه فحينما نقل عن ابن سعيد في كتابه "المغرب في حلى المغرب " أشار إلى ذلك فأتمم النقص، أما في كتاب ابن بسام الذخيرة، فقد اختصر وحذف مما لا حاجة إلى ذكره، وبذلك يكون العمري قد نّوع في طريقة النقل من المصادر كل حسب طبيعته وقيمته ومنهجه، فهو ينتقي ما يراه حرياً بالنقل والتدوين. وقد أشار إلى ذلك فـي الجـزء المخصص لترجمة شعراء مصر والذي يتضمن الجزء الثامن عشر والتاسع عشر، حيث قال: "وأما جماعة المصريين ممن ذكر ابن سعيد، ومن نكب على طريقه وما هو بعيد، ومن جاء على ذيل تلك الطبقة، وأتوا تلّز بهم جيادهم المستبقة إلى أهـل عصرنا الذين هم أحياء يرزقون، وبلغاء ينطقون كدأبنا في الاستيفاء بجهد الطاقـة لمحاسن كلّ شاعرٍ، ولم نقنع بما قنع به ابن سعيد من شذور تلك النتف، ولـم يعـد النظر إلى من عدل عن الغرض على عاداتنا فيما سلف " [1].

وبذلك تكون إحدى سمات طرائقه في الترجمة:

1- الاستيفاء بجهد الطاقة لمحاسن كل شاعر.

2- عدم الاقتناع بما أورده أصحاب التراجم.

3- عدم النظر إلى من عدل عن العرض.

وبذلك يكون العمري قد بذل جهد طاقته في تطبيق المعايير والأسـس العامـة التي وضعها في المقدمة العامة للكتاب، حيث أجمل بها كل هـذه المعـايير جملـة واحدة، ثم أفرد وفصل هذه المعايير في مقدمات وفواصل الأجزاء الخاصـة بكـل طائفة من الطوائف المترجم لها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 18/ق11/1

3.1 الترجمة الأدبية:

لقد تنوعت ألوان الترجمة تبعاً لتنوع الأهداف والغايات التي يسعى إليها أصحابها، وتبعاً لاختلاف المادة المدونة. ومن الأهداف التي يسعى إليها أصحاب التراجم هو التعريف بالأبداع الأدبي للمترجم لهم من أهل الشعر والكتابة والخطباء واللغة والبلاغة، وعرض نماذج من إنتاجهم الأدبي المنظوم والمنثور , وهذا ما يسمى بالترجمة الأدبية، وذلك لإنصرافها إلى الأدب انصرافاً كلياً، فتذكر من أخبار الأديب ما يتعلق بأدبه وفنه، وعندما تذكر أخباراً تتعلق بحياته الخاصة تفعل ذلك لتربطها بأدبه ربطاً تفسيرياً، أو ربما لتبحث عن تفسير لها، كما يحرص المؤلف على إظهار البراعة الفنية في كتابة تراجم من ترجم لهم، مستنداً في الغالب على ذوقه الأدبي، وأحكامه الشخصية، وتختلف صياغة هذه التراجم من مؤلف لآخر، كما يتباين حجمها من حيث الطول والقصر، وطريقة عرضها، غير أن الغالب فيها أنها تتضمن حديثاً عاماً عن الأعلام المترجم لهم، دون تعمق في جزيئات حياتهم، كما هو الحال في أصناف الترجمة الأخرى، كما أنها تُقدم في إطار فني حافل بضروب المحسنات البديعية: اللفظية والمعنوية: آخذ بالمثل الفني الأعلى السائد، وسائر على مقاييس العصر الأدبية[1].

لقد عني العمري عناية فائقة بهذا الفن حيث ضمن موسوعته الشاملة كثيراً من التراجم من كافة الفئات والطوائف، وقد خصص لكل طائفة جزءاً خاصاً بها، فقد ترجم لحفظة ألسنة العرب، ومن سعى في تحصيل لغاتها، وهم يشملون النحويين واللغويين وأصحاب البيان.

---

[1] القيسي، فايز عبد النبي، ترجمة ابن السيّد البطليوسي للفتح بن خاقان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م4، ع2، ربيع الأول 1429هـ / نيسان، 2008، ص62 للاستزادة ينظر: العمد، هاني دراسات في كتب التراجم والسير، ط1 المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، 1981، محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ط دار المعارف، القاهرة، 1955.

وقد أشار إلى ذلك في مقدمات الأجزاء المخصصة لكل فئة قد ترجم لها، حيث يقول: "وأما من حفظ ألسنة العرب، وسعى في تحصيل لغاتها واضطرب فأعلام لا تخفى، وشرح لا تطفى " [1].

وبذلك يكون العمري قد حدد الفئات التي ترجم لها في موسوعته، ومن خـلال المقدمات والفواصل التي كان يقدم بها أو يختم بها، حيث يبث في ثناياهـا المـنهج الذي اتبعه في ترجمته لكل طائفة من هذه الطوائف التي ترجم لها.

كما حدد العمري الأسس التي اعتمد عليها في تراجمه:

1. الفن تضمن فنوناً عدة منها , الشعر والخطابـة، والبيـان واللغـة والكتابـة والخطابة.
2. أعلام الفنون التي تناولها، فقد وقف منها على المشهورين من أعلام ذلك الفن.
3. الترجمة البلدانية، فقد ترجم لأعلام الأدب واللغة في المشرق والمغرب.
4. البعد التاريخي فقد رتّب المترجم لهم وفق عصورهم الأدبية وأزمنتهم التـي عاشوا فيها، بدءاً من العصر الجاهلي ومروراً بالعصر الراشدي ثم الأمـوي فالعباسي والدول المتتابعة إلى أن انتهى بعصره.

لقد كانت تجارب سابقيه في هذا الشأن من المشارقة والأندلسين وغيرهم، تلبي رغبته، وقد سلك طرائقهم وحذا حذوهم في تراجمه، حيث تنـدرج التـراجم وفـق مجموعة من الطبقات يتضمن كلاً منها عنواناً يحدد صفة الطبقـة المتـرجم لهـا، وتتفاوت من ترجمة لأخرى في العدد والمادة والطول والقصر.

فقد حرص العمري على منهجية ثابتة تجلّت في التأكيد على هويـة مترجمـه الأدبية، لذا لم تخلُ ترجمة من تراجمه من هذه الصفة التي لازمت جميع تراجمـه، فمن الأمثلة التي تؤكد الصفة الأدبية ما ورد في ترجمة أبي الأسود الدؤلي، "ظـالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن تعمر بن جليس. أول أهل النحو، هذا الذي استنبط معينه واستنشط معنيه، وانتصر للعرب وقد فسدت ألسنتها، وخفيت حسنها وقام قياماً حملته عليه العربية "[2].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 17.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 90.

وترجمته عمرو بن أبي الكنّات، "مطرب نهج السنن القديم، واحلّ الغائب في محل النديم، واسمع كل ذي إصغاء وجمع كل ذي ابتغاء، وغنّى والناس في صنوف المعايش لاهية قلوبهم"[1]، وفي ترجمة الصاحب محي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدي الحلبي: "نشأ على القراءة، والطلب حتى أقر على القضاة بحلب، وهو مما يعد في بيوتها ويزداد في ثوبتها، وكان من أعلامها الشوامخ وقدماء أهل أقدامها الرواسخ"[2]، ومن أمثلة التأكيد على هوية المترجمين الأدبية، وما عرفوا به من إبداع واثبته العمري في خواتيم تراجمه، وهو المظهر الغالب على الترجمة في كتاب مسالك الأبصار، فقد عني العمري عناية فائقة في إيراد الإنتاج الأدبي، وقد حاول أن ينوع في اختياراته الشعرية والنثرية، من انتاج المترجم لهم، فقد أورد في ترجمة السراج الوراق[3] العديد من انتاجه الأدبي، والذي يتراوح ما بين القصائد الشعرية والمقطوعات، هذا بالإضافة إلى تباين موضوعاتها، لم يهتم العمري بتفاصيل حياة الشاعر السراج الوراق، وإنما انصب اهتمامه بإنتاجه الأدبي وترجمته له خير دليل على ذلك، فقد أطال النقولات الأدبية.

ومن الأمثلة على ذلك ترجمة أحمد بن البغدادي شهاب الدين: "وحكى لي شيخنا أبو الثّناء الحلبي قالّ: جلس إلي ابن البغدادي ثم أخذ ورقة وكتب فيها: (الخفيف)

قد عرفنا الذهاب لا شك فيه　　　فعن العود بعده خبراني

هل تعود الأرواح في الجسم أم بالـ　　　ـعكس أم لا رجوع أم يرجعان

ثم ناولنيها فقطعت قوله: يرجعان، وأعطيتها له، واقتصرت عليه في جوابه، فبهت وسكت، وكأنما ألقمته حجراً"[4].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق1 / 192.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 230.

[3] العمري، مسالك الأبصار: استمرت ترجمته منم ص 11 – 129، جميعها أشعار.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 19 / 152.

أما ما ورد في ترجمة ابن قلاقس الإسكندري[1]، فقد تضمنت هـذه الترجمـة نقولات شعرية طويلة جداً، تتباين موضوعاتها وتتراوح أطوالها ما بـين القـصيدة والمقطوعة الشعرية والنتف الشعرية.

وبذلك يكون العمري قد وضع غاية محددة لتراجمه تهديه لاختيار نبذة دالة من ناحيته على أدبيته.

وكلما كانت الترجمة أكثر أناقة وعناية بالثوب البلاغي الذي تلف فيه، كانـت أقرب إلى الأدب منها إلى التاريخ، إلا أن الإسراف فـي الـصورة الأدبيـة التـي يعرضها المترجم، والمبالغة في الفن الأدبي الذي يضيفه المترجم علـى الشخـصية التي يترجم لها قد يبعده كثيراً عن الحقيقة والواقع الذي يجب أن يهدف إليه [2].

ويجمع العمري ما بين صفتي الأدب والعلم، فإنه حين يقـدم لتراجمـه يتتبـع أسلوب عصره فيعمد إلى السجع المتواتر والجناس الملتزم ويلجـأ إلـى توظيـف الصناعة البديعية من مقابلة وطباق، فإذا ما إنعطف إلى ميدان القول في التراجم كان سهل الأسلوب عذب العرض رشيق العبارة في غير تكلف أو تصنع، ومن الشواهد على ذلك في ترجمة أبي عبد ا النقّاش: "شعره كأيام الشباب، والتأم الأحباب، لـم يقع إلي منه إلا ما يقع من الشمس بين الغصون، أو بقدر ما يبوح به الكتـوم مـن السر المصون " [3].

إنه كتاب أدبي في المختارات الشعرية والنثرية وتصوير الحياة الأدبيـة فـي الحقب الزمنية التي ترجم لأعلامها، لأن المادة الأدبية تشغل حيزاً كبيراً من تراجمه فهو كتاب في الأدب والأخبار والتراجم معاً، ويعنى العمري بالمختارات الـشعرية عناية بالغة تجعلها غنية بالنصوص الشعرية، حتى أن العمري كثيراً مـا يقتـضب

---

[1] أبو الفتوح نصر ا بن عبدا بن مخلوف بن علي بن القوي اللخمي الاسكندري، ولد سـنة 532هـ، أخذ الأدب من كبار المتأدبين، ذاع صيته، توفي سنة 670هـ، ابن قلاقس، ديوان ابن قلاقس، تحقيق سهام الفريح، ط1، 1408هـ - 1988، مكتبة الكويت، مكتبة المعـلا، الكويت، ص 15.

[2] حسن، محمد عبد الغني، التراجم والسير، ط1، 1955، دار المعارف، ص 43.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 20/16.

الترجمة في سبيل إيراد انتاجه الأدبي، فقال: الذروي [1] ترجمة مقتضبة فـي سـبيل إيراد انتاجه الأدبي، فقال: علي بن الحسين بن الحسن بن أحمد، أبو الحسن وجيـه الدين، عرف بابن الذوري.

"شاعر لو عاصره التهامي لاتهم، أو الخفاجي لأخفى سناء ضوءه وكتم أو بارعـه مهيار لقيل له: يا عجمي كيف تفاخر العرب أو الصنوبري لقيل له يا رائد الروض هل لك من أدب "[2]. ففي هذه الترجمة المقتضبة نلاحظ الصبغة الأدبية بمقارنته مع من نبغ في مجالاته، هي أخبار أدبية تنبئ بحال الأدب في عصوره المتلاحقة، وما اشتهر من الشعراء في مجالات الأدب المتعددة.

امتداد التراجم الزماني والمكاني:

بدأ العلماء العرب في العصر المملوكي عملهم الموسوعي بعد أن اسـتوعبوا تراث السابقين من العلماء في هذا المجال، خاصة أن البواكير للأعمال الموسـوعية قد ظهرت في العصر العباسي على يد ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار.

وقد أشاد بهم شوقي ضيف حينما ذكر أنهم يبتغون من وراء ذلك أمرين هما:

1- الحفاظ على التراث العلمي والأدبي.

2- تجديد هذا التراث بإدخال إضافات عليه [3]

وهذا ما اتسم به كتاب مسالك الأبصار، حيث حوى من العلـوم والمعـارف ضروباً متعددة، فهو في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والفلك والتراجم وغيرها مـن العلوم.

إنه دائرة معارف جغرافيـة كبيرة، وهـي إحدى دائرتيـن، قصر المؤلـف هذه علـى الممالك الشرقيـة، ووعد بتأليـف دائرة معارف ثانيـة في الممالـك

---

[1] أبو الحسن علي بن يحيى، توفي سنة 577 هـ، انظر: العماد الأصفهاني، الخريدة: 187/1، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب/ القاهرة: 333، الكتبي، فوات الوفيات: 3/ 113.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 18 / ق1 / 198- 209.

[3] ضيف، شوقي مقالته في (المجلة) عن عصر أحياء التراث العربي وتجديده العدد رقـم 122 شباط 1967، ص7.

الغربية [1]، وقد اعتمد في تراجمه على أبعاد **ثلاثة هي: الفن، البلد، الزمان.**

لقد اهتم العمري بالبيئة المكانية والحقب الزمانية لذا نراه قد قسم طوائف مـن ترجم لهم إلى عصور متلاحقة في كتابه، فبـدأ بالمتقـدمين ثـم المتـأخرين ثـم المعاصرين.

وبالنسبة إلى الفن فقد قسم تراجمه إلى طوائف كل طائفة تختص بفن معين فقد ترجم للمغنيين في طائفة منفردة، وهكذا. ثم ترجم للشعراء في طائفة أخرى، وقـد ترجم للوزراء والكتّاب في طائفة منفردة.

ثم عبر العمري عن أزمنة هذه الطوائف التي ترجم لها، فقد عبر فـي القـسم الذي ترجم للمغنيين في العصور الإسلامية منذ النشأة وحتى عـصر المؤلـف أي العصر المملوكي، فقد أراد أن يتتبع التسلسل الزمني لهذه الظاهرة.

1- البيئة المكانية عنصراً مهماً في بناء كتاب مسالك الأبصار وإلى ذلـك يـشير بقوله: "وواخيت أهل الجانب الشرقي بأمثال في الجانب الغربي ومصر، وإن لم يطاول الماء السماء، وسقت في الجانبين إلى زماننا سياقه لم آل فيهـا الجهـد، وأتيت به على ترتيب ما وقع الاختيار منه، وجئن على حكمة بالدليل عليه " [2].

2- الزمان: شكل البعد الزماني عنصراً مهماً من عناصر بناء شموله لكل المناطق الإسلامية، فحينما ترجم للوزراء والكتّاب، فقد شمل جميع المنـاطق الإسـلامية وانفرد بإيراد كثير من أخبارهم، حيث أشار إلى ذلك في مقدمة هذا الجزء، قال: وها أنا أذكر من كان الوزراء والكتّاب من القطرين أناساً هم زينة هذا القطـر وأنواره، وثمرة المطعم وقراره، وأنبه على شيء من حاله بما أذكره عنه أولـه ولا استوعب أجزاء بره وأوله، وإنما أمثلة عنواناً، وأسلكه في درج ذلك القطر صنواناً " [3].

فالعمري يحدد الفترة الزمانية، وما يترتب عليها من معلومات سياسية وأدبية، تنبئ بحال العصر.

---

[1] العمري، مقدمة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص 31.

[2] العمري، مقدمة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج10 / ق1 / 11.

[3] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج11 / 7.

ويشير إلى ذلك في: إن كتابة الإنشاء كانت في المشرق في خلافة بني العباس منوطة بالوزراء، وربما انفرد بها رجل، وذكر ابن عبدوس في مواضع من كتابه ديوان السر وديوان الترسل، ثم كانت آخر وقت قد أفردت، وانتقل بها كتّاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة " [1].

أما بالنسبة للشعراء، فقد أفرد لهم طائفة، شعراء الجاهلية والدولة الأموية [2] ثم يتتبع هذه الطائفة بطائفة الشعراء المخضرمين وشعراء دولة العباس [3]، ويضع ذلك أسساً في اختيار من ترجم لهم.

فيقول: وها نحن نتبعهم بمن كان في الدولة العباسية إلى أواننا ممن تقدم إلى من هو موجود في زماننا ممن برع قوله وبرئ من التكلف شعره، وصح على السبك... "[4].

فقد اختط العمري له منهجاً في تراجمه للشعراء، حيث اعتمد الفترة الزمانية، منذ العصر الجاهلي، واعتمد البيئة المكانية جزيرة العرب. وقد علل ذلك، وقد رتب تراجمه اعتماداً على الشهرة والسمعة والمنزلة حيث قال:

فممن ملأت من شعراء الجاهلية سمعته الآفاق وطبقت الأرض، إمام القوم، وحامل لوائهم، وحامي رعائهم [5].

أما بالنسبة لشعراء العصر الأيوبي والمملوكي، فقد اعتمد في ترجمته على البيئة المكانية، فقد خص شعراء المشرق الإسلامي وصفهم زمانياً.

1- الترجمة لمن ضمت القبور، حنايا أسرارهم.
2- الترجمة لمن هو حي موجود.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج12 / 11.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق2، 15.

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج14 / ق2 /13.

[5] العمري، مسالك الأبصار: ج14 / ق2 /11.

حيث قال: "وهذا آخر ما ذكرت من شعراء الجانب الشرقي، ما ضمت القبور حنايا أسرارهم، وأخفت مغارب اللحود أقمارهم، ووسدهم التراب حشاياه، وها أنا الآن أذكر من بقي من شعراء الجانب الشرقي ممن هو حي موجود..."[1].

وبذلك يكون العمري قد أنهى طائفة الشعراء، فقد اتخذ لكل طائفة ترتيباً خاصاً بها اعتماداً على طبيعة العصر، وطبيعة المترجم له، ووفرة المصادر بشأنها، سواء أكانت مصادر مكتوبة أو شفوية.

4.1 أهمية تراجم مسالك الأبصار:

من مظاهر الأصالة أو التأصيل في كتابة التراجم عند العمري أنها جاءت حافلة بنظرته النقدية وأرائه الفكرية، ولم تكتب في قالب تقريري جامد يقتصر على ذكر الحقائق والأحداث مجردة دون إصدار الأحكام على الآثار الأدبية الواردة ؛ ذلك أن كاتب التراجم مضطر دائماً إلى التحليل والتعليل، والاستنباط والتأمل ولا تنتهي مهمته عند ايضاح الزعم وتفنيده، فمن واجب كاتب التراجم أن يكون ناقداً أدبياً ملماً ببعض العلوم الأخرى [2].

يقول فرجينا ودلف: "يعمل كاتب السيرة على إشارة الخيال أكثر من أي شاعر أو روائي، اللهم إلا كبار الشعراء والروائيين، وذلك بإخبارنا بالحقائق، بغربلة الصغير من الكبير، وبتشكيل الكل حتى نستطيع أن نرى الخلاصة " [3].

ومن هذا المنطلق تكمن أهمية تراجم مسالك الأبصار في الأمور التالية:

أن كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) حفظ لنا ثروة كبيرة من شعر الشعراء الذين برزوا في العصور المختلفة منذ العصر الجاهلي حتى عصره، منتصف القرن الثامن الهجري، في المشرق والمغرب الإسلامي.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج 16 / 252.

[2] مسعود، جبران محمد نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، ط 5، مكتبة دار الفتح بدمشق، 1391هـ - 1971 م، ص 175

[3] إدل، ليون ترجمة صدقي خطاب، فن السيرة الأدبية، دار العودة، بيروت، 1988م، ص 238.

وإلى ذلك يشير العمري بقوله: "ومنه شقشقت في الجاهلية فحولة وزمجرت أقياله" [1]، فقد أشار العمري إلى تراجم الفحول من الشعراء دون غيرهم فقد ترجم لأمرئ القيس والنابغة، وعنترة العبسي، وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية.

وذكر شعراء الدولة الأموية، حيث يقول: "وبها انتهاء شعراء دولة بني أمية ممن وقع عليهم اختيارنا، موافقة في الغالب لاختيار على بن سعيد في كتابه المسمى بعنوان المرقص والمطرب وهم حلية ذلك الصدر وعليه أولئك النجوم العالية القدر، وفتية تلك الدولة اللامع وفاؤهم في جوانب ذلك العذر"[2]، فترجم لمشاهير شعراء العصر الأموي، ومنهم الفرزدق وجرير وكثير وقيس بن الملوح وجميل بثينة [3].

كما ترجم لشعراء العصر العباسي، وخصص لهم جزءاً خاصاً بهم[4]، ومنهم ابن وكيع، أبو العلاء المعري، ابن السراج الصوري والمتنبي، وغيرهم. وترجم لشعراء المغرب والأندلس، وخص أعيان الناس بهذه التراجم دون سواهم، كما ضمن كتابه علوماً جمة، وأموراً مهمة، وحججاً وفوائد كثيرة.

وإلى ذلك يشير بقوله: "وهذا ما تضمنه كتابنا من علوم جمة، وأمور مهمة، وتراجم أعيان هم الناس، وسم ما شئت منهم واستطرد في القياس "

وبذلك يكون العمري قد ضمن كتابه تراجم لعدد كبير جداً من الشعراء والكتّاب والبلغاء والنحويين والخطباء والمغنين[5] وغيرهم من مختلف العصور الأدبية، وفق الأسس والمعايير التي حددها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق1/ 11.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14/ق1 / 235.

[3] للاستزادة ينظر الجزء 14/ق1 فقد خصصه لترجمة شعراء العصر الجاهلي والأموي

[4] العمري، مسالك الأبصار: الجزء الخامس عشر من الكتاب

[5] انظر العمري، مسالك الأبصار، الأجزاء: 10،11،12 فقد خصصها لترجمة هذه الفئات (المغنون، والكتّاب، وكتّاب الإنشاء)

كما أن اللافت للانتباه أن كتاب العمري يحتوي أشعاراً لم تحوهـا الـدواوين والمصادر، فقد ترجم لابن المعتز[1]، وكثير من الأشعار التي أوردها لم تثبـت فـي ديوانه، وبذلك يكون قد حفظ لنا أشعاراً في عداد المفقود.

منها:

إن رأت عينيه بغيرك فاجلدهـا	بطـول السهاد والـدمع حدا
وفي عطفـه الـصدغ خـال	له كما أخذ الصولجـان الكره
فغـاب الصبح منها تحت ليل	وظل المـاء يقطر فوق مـاء
والـدهر لا يبقـى على أحدٍ	والموت هجام على الأجـل
والدهر أهوج عـاثر بخطامـه	عسر الخليقـة هادم بنـاء
حلت من ظروفي كله وحجابها	ونامت كلاب الحي بعد هبوب
كـأن نجوم الزهر في حجراتها	دراهم زيف لم يجزن على نقد
قـد لاحت لسارٍ بهـا الثرايا	كـأن نجومهـا نور الأقاحي
والشمس تنـزع نصفهـا	والغـرب محمر الـجوانب[2]

يتضمن كتاب مسالك الأبصار أسماء أعلام في الـشعر والكتابـة والإنـشاء والخطابة والغناء لم نعرف لهم تراجم عند غيره، فقد ترجم للضياء العجمي[3]، ولـم أجد له ترجمة في أي من المصادر التي تختص بعلم التراجم، من مثل كتاب الأعلام للزركلي وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان والوافي بالوفيات لابن شـاكر الكتبـي وغيرهم، كما ترجم للزركشي أبي عبدا وابن كر أبي عبد ا [4].

---

[1] العمري، مسالك الابصار: 358/7.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج 7، وردت الأشعار في الـصفحات: 376، 377، 379، 384، 387، 390، 393، 396

[3] العمري، مسالك الأبصار: 245/7.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 10/ق2/ 274 لم أجد له ترجمة في المصادر المعنية.

كما ويتضمن الكتاب نصوصاً شعرية ونثرية لأدباء من العصور المتـأخرة، التي لم تصلنا كتبهم ودواوينهم مثل أشعار ابن نباته [1]، واشعار السراج الوراق [2].

ويتضمن الكتاب نقولات واقتباسات نقلها عن مصادر وكتب لم تـصل إلينـا، منها كتاب (جنان الجنان) وأشار إلى ذلك بقوله: "وحكى القاضي الرشيد بن الزبيـر المصري، في كتاب "جنان الجنان" حدثني القاضي أبو عبد ا محمـد بـن سـندي القنّسري، قال: بينما أنا عندي أبي العلاء المعري، في الوقت الذي يملي فيه شـعره المعروف بلزوم ما لا يلزم، فأملي في ليلةٍ واحدة ألفي بيت، وكان يسكت زماناً ثـم يملي قريباً من خمسمائة بيت، ثم يعود إلى الفكرة والعلـم إلـى أن أكمـل العـدة المذكورة" [3].

قدم العمري بعض الرؤى النقدية لقصائد الشعراء، مما يجعلها شـاهداً علـى طرائق النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري، كما حفظ لنا الكثير من المصطلحات الأدبية والنقدية التي كانت متداولة آنذاك. ومن الشواهد على ذلك ما ورد في ترجمة أبي بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن تقي الأندلسي[4] قلت: "وقد تجاذب فقيهان من أهل عصرنا في بيتي ابن بقي، وهما قوله: إذا مالت به سنة الكرى والتالي له، وفي بيتي الحكم ابن عيال الذين هما:

إن كان لا بد من رقاد	فأضلعي هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوءاً	كالطفل في نهنةِ الـمهادِ

فقال أحدهما: على بيتي ابن بقي اعتراضان.

---

[1] محمد بن محمد بن محمد بن نباته جمال الدين، توفي سنة 768 هـ، انظر الصفدي، الـوافي بالوفيات: 1/ 311، ابن حجر، الدرر الكامنة: 393/4.

[2] عمر بن محمد بن حسن – سراج الدين الوراق توفي 695هـ، انظر الكتبي، فوات الوفيات: 140/3.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 15/ق106/2.

[4] توفي ما بين 540-545 هـ له ما يزيد على ثلاثة آلاف موشح، انظر ترجمته: ابن خكـان، وفيات الأعيان 202/6، ابن بـسام، الـذخيرة: ق2/م615/2، يـاقوت الحمـوي، معجـم الأدباء:2820/7.

الأول: أنه أفحش العبارة في قوله "أبعدته" وكان ينبغـي أن يقـول (أبعـدت عنـه أضالعي).

والثاني ما ذكره ابن عيال.

فقال الآخر: أما الاعتراض الأول فمسلم. وأما الثاني فممنوع لأن شـعر ابـن بقي يدل على أن خفقاته لكثرة قصوته مما يمنع النوم بخلاف ما ذكر ابن عيال. فإن تشبيهه بتحريك المهد يقتضي أنه يسير ضعيف، ويدل عليه قوله هدوءاً، فقول ابـن بقي دلّ على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والترفق به " [1].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق1 / 165.

الفصل الثاني

مصادر الترجمة في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

تشغل تراجم العظماء في آداب الأمم والحضارات العظيمة أسمى مكانة، فأقطاب القادة والمفكرين والأمراء والساسة، وأقطاب العلم والأدب والفن من كل ضرب، هؤلاء جميعاً يأخذون مقامهم في التاريخ والأدب، وقد بدأت العناية بهذا الضرب التأليفي (التراجم) في عصر مبكر جداً، فمنذ القرن الثاني للهجرة عني الرواة والمؤرخون المسلمون بالسير والتراجم المفردة، وفي مقدمتها سيرة النبي صلى ا عليه وسلم العربي وصحابته، وسير أقطاب الخلفاء والقادة في عصور الإسلام الأولى، وقد لبثت تراجم العظماء الخاصة مدى قرون، تملأ فراغاً كبيراً في الآداب التاريخية العربية، ولم تقف الترجمة عند نوع معين من العظماء، بل شملت سير الخلفاء والقادة والأئمة، ورجال السيف، والقلم، والملوك والوزراء، والعلماء والكتّاب والشعراء من كل ضرب، وقد اختلفت كتب السير والتراجم مضموناً ومنهجاً، فمنها ما اقتصرت عنايته بفئة معينة كأن يقتصر على الترجمة لفئة الشعراء أو الكتّاب أو النحويين أو القضاة أو الوزراء أو الأطباء. ومنها ما اقتصرت على الترجمة لأعيان بلد معين دون تحديد لفئة معينة من أعلام هذا البلد أو ذاك، ومنها ما توسع في مضمونه فشمل الأعلام في شتى الميادين من شعراء ولغويين وكتاب ووزراء... الخ، ومنها ما اقتصر على أعلام فترة محددة كأن يختص بالأعلام في شتى المجالات الذين عاشوا خلال القرن الثامن أو التاسع مثلاً، ومنها من جعل المجال الأدبي أو العلمي نقطتي الإرتكاز التي ينطلق منها إلى ذكر المؤلفات في هذا المجال أو ذاك[1].

ولكتب التراجم أهمية بالغة لكونها تعد في أخبار رجال العلوم والآداب وفي رسم معالم حياتهم، فهي من خلال ذلك تنطوي على كثير من المعارف والحقائق التي ينشدها الباحث في موضوعه، وقد اهتم العرب اهتماماً بالغاً بالتراجم حتى

[1] انظر شوقي، أحمد من المصادر الأدبية واللغوية، دار المعرفة الجامعية: 201.

ليمكن اعتبارهم في طليعة الأمم في هذا المضمار، ولعل المكتبة العربية من أحفل ما عرفته الشعوب بهذا النوع من الكتب.

وما لبثت كتب التراجم أن انتشرت وذاعت بين العلماء، لأنها أصبحت بالنسبة لهم ولغيرهم المراجع التي يرجـع إليهـا لتوثيـق المعلومـات، وللتعـرف علـى العلماء وجهودهم وأساتذتهم وتلاميذهم وأعمـالهم وأمـاكن اشـتغالهم ومؤلفـاتهم وتنقلاتهم، وأهم الأحداث في حيواتهم، وتواريخ ميلادهم، ووفياتهم وما شاكل ذلـك، وما من شك في أن العلماء من خلال ما قاموا به خلال القرون المتعاقبة قد قـدموا جهوداً مباركة في هذا المجال، من حيث العناية التامة في تصنيف المعرفة العربيـة الاسلامية، ومعرفة الموضوعات التي ألف بها المؤلفون، وقد تطلب هذا الأمر منهم أن يرجعوا إلى مجموعات الكتب التي ألفت في القرون المتعاقبة، لاستخلاص النتائج المترتبة على عمليات تنظيم الفهارس وتقسيم الموضوعات وحصر الانتاج العلمـي، ذلك بحسب من التأليف أو موضوعه أو الاتجاه الفكري لمؤلفه، أو اهتمامات المؤلف نفسه[1].

وإذا كان لكل عمل علمي سمة يوسم بها أو ميدان يختص به من لغـة أو أدب أو تاريخ أو سياسة أو آثار أو بلد، فإن من الكتب التي يمكن أن يوسم بكـل هـذه الموضوعات مختصاً بها اختصاصاً جزئياً، مسهماً في ميدان كـل منهـا بنـصيب وافر[2]، كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار حيث عمد العمري إلـى التنـوع والشمول، فقد ترجم لطوائف متعددة وزاوج بين المكان والزمان، وركزجهد طاقتـه على المشهورين من الطوائف التي ترجم لها، فقد تـرجم لحفظـة ألـسنة العـرب (النحويون، واللغويون وأصحاب البيان) كما ترجم للمغنيـين والـوزراء والكتّـاب والشعراء وغيرهم، فقد حاول العمري أن يتناول جميع الفئات المعروفة آنذاك ابتداء من العصر الجاهلي، وانتهاء بعصره، وكانت غايته من هذه التراجم تسجيل وحفـظ أروع ما أنتجته قرائحهم، وعرض نماذج من إنتاجهم الأدبي الرصين.

---

[1] انظر: مسعود، نظرة تاريجية في حركة التأليف عند العرب.

[2] الشكعة، مصطفى مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، بيـروت، 1973م: ص 609.

وقد لقي النحويون واللغويون من عناية مصنفي التراجم مـا لقيـه الـشعراء، فألفت كتب عديدة في أخبارهم وتعداد آثارهم وبيان مذاهبهم، واتجه المؤلفـون فـي تصنيف تراجم هذه الفئة من الأدباء وجهات مختلفة، فمنهم من نهج في تأليفه نهجـاً زمنياً، ومنهم من أخذ بعين الاعتبار المواطن التي نشأ فيها هؤلاء الأدباء، ومـنهم من ذهب في التأليف مذهباً معجمياً فرتب التراجم على حروف المعجم. ومن أقدم ما يذكره المؤرخون في هذا الموضوع كتاباً لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفي سنة 286 هـ عنوانه "طبقات النحويين البصريين وأخبارهم" وفي القـرن التـالي، تتوالى الكتب في هذا الموضوع، فيؤلف ابن درستويه "أخبار النحويين والسير فـي طبقات النحاة البصريين" ويؤلف أبو الطيب اللغوي "مراتب النحويين" والمرزبـاني المقتبس في أخبار النحويين واللغويين، ويتتابع المؤلفون في القرون التاليـة علـى تدوين تراجم النحاة واللغويين فيحاول كل منهم أن يمضي في الموضوع إلى أبعـد من الغاية التي وصل إليها من قبله، حتى يأتي الجلال السيوطي في أواخر القـرن التاسع فيضع معجمه الجامع، بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة. وقد فقد كثير من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، كما أن بعضها ما يزال حتى اليوم مخطوطاً[1].

ومن أشهر الكتب المطبوعة في هذا البـاب "طبقـات النحـويين واللغـويين" لأبي بكر الزبيدي المتوفي سنة 379 هـ ،ونزهة الألباء للأنبـاري المتـوفي سـنة 577هـ، وأنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي سنة 568هـ. فهذه أشـهر الكتـب المصنفة في تراجم اللغويين والنحويين وهي مختلفة من حيث الموضوع ومتباينة من حيث الخطة. ومن أهم المصنفات في التراجم العامة كتاب "وفيات الأعيان" لمؤلفـه ابن خلكان المتوفي سنة 681هـ، ومن الكتب التي ألفت تتمة أو توسعة لهذا الكتاب "فوات الوفيات" لمحمد ابن شاكر الكتبي المتوفي 764هـ وكتاب "الوافي بالوفيـات" لصلاح الدين الصفدي المتوفي 764 هـ [2].

[1] انظر: مسعود، فنون النثر في آثار لسان الدين ابن الخطيب.

[2] انظر: الطرابلسي، أمجد نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب،ط 5، 1391هـ - 1971م، مكتبة دار الفتح، دمشق: ص 201-211.

أما بالنسبة إلى الفئة الثانية التي ترجم لها العمري، فهـي فئـة الـشعراء، إن المصنفات التي جمعت فيها تراجم الشعراء كثيرة ومتنوعة، فمنها ما قـصر مـثلاً على تراجم قدماء الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ومنها ما اتسع لأخبار الـشعراء الذين سبقوا عصر المؤلف جميعهم، ومنها ما تناول قطراً بعينه فترجم لـشعرائه لا يتعداهم، ومنها ما شمل أقطار العالم العربي كله آنذاك، ومنهم من بنى خطته علـى الانتقاء والانتخاب للمشهورين، ومن أقدم الكتب التي وصلتنا في تـراجم الـشعراء طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ألفه محمد بن سلام الجمحي المتـوفي سـنة 231هـ. ثم ألفت الكتب العديدة في طبقات القراء والفقهـاء والحكمـاء والأطبـاء والنحاة والشعراء. وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفي سنة 276هـ. وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني المتوفي سنة 356هـ وهذا الكتاب علـى غـزارة مادته وتنوع موضوعاته، هو أوسع مصدر نملكه في تراجم شعراء العربيـة حتـى نهاية القرن الثالث الهجري، وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابـن بـسام المتوفي سنة 597هـ. هو محاولة أندلسية للنسج على منوال الثعـالبي، والـذخيرة أوفى مرجع نملكه في تراجم شعراء الأندلس وأدبائه أواخر القرن الرابع الهجـري حتى أوائل القرن السادس[1].

وبذلك يكون العمري قد وجد ثروة هائلة ينتقي منها ما يـراه حريـاً بالـذكر والحفظ، فقد جمع في مؤلفه جميع الأصناف التي كان العلماء قد أفردوا لكل منهـا كتاباً خاصاً بها كما تقدم ذكر ذلك، فقد ترجم لكل هؤلاء بين دفتي كتابه، حيث جعل لكل طائفة جزءاً خاصاً بها، ووقف على مناهج هؤلاء العلماء حيث كان يشير فـي مقدماته إلى بعض طرائقهم، فقد كانت هذه المصادر محط عنايته حينما ترجم لكـل فئة، فقد كان يحسن الاختيار والانتقاء لمصادر كل فئة ترجم لها.

حديثه عن مصادره في مجال الترجمة

مع تباعد الزمن وكثرة التأليف، تضاعفت مهمة العلماء في استيعاب كـل مـا وصل إليهم من مادة أدبية تدويناً وشفاهاً، فلما عكف هؤلاء على التـأليف، وكانـت المادة قد تزاحمت في عقولهم، واحتاجوا إلى مؤلفات عديدة لافراغ ما اسـتوعبوه،

[1] انظر: إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي.

ولا غرابة بعد ذلك في أن تشتمل موسوعة العمري على معـارف شـتى، لـذا لا يتحرج العمري في استفاء معلوماته من شتى المصادر سـواء كانـت المدونـة أو الشفوية. فقد تناول أماكن مختلفة ممتدة بين المشرق والمغرب خلال فترات زمنيـة ممتدة من العصر الجاهلي إلى عصره، ثم قسم هذه الفئات الأدبية وفقـاً لأزمنـتهم وأماكنهم، فترجم لشعراء مصر في جزء خاص بهم وشعراء الجاهلية والمخضرمين والدولة الأموية وشعراء الدولة العباسية[1].

ولقد عني العمري كغيره من كبار مؤلفي عصره عنايـة خاصـة بالمعرفـة والخبر وتيقن من صحته، فتجمعت لديه حقائق جمة، مما جعله يحذف الأسانيد حتى تجمع الحقائق الكثيرة في الحجم الصغير، ويكون كتابه زبده لعشرات الكتب، وقـد تباينت طرق الإفادة ممن سبقه أو ممن عاصره، لقد تنوعت مصادره التـي اعتمـد عليها في تراجمه، وقد ترجم لأنماط متعددة، وتناول أماكن مختلفة ممتدة من الشرق العربي حتى الأندلس، خلال فترات زمنية ممتدة من العصر الجاهلي إلى عصره في القرن الثامن الهجري، وشملت تراجم لأهل فنون متنوعـة، وجعـل لكـل طائفـة مصادرها الخاصة بها، فالمصادر التي تعالج فئة المغنيين ليست هي المصادر التي تعالج فئة الكتّاب، والشعراء والبلغاء واللغويون وغيرهم، لذا فقد تباينـت مـصادره مضموناً وحقباً زمنية متلاحقة، وقد نوه إلى ذلك في مقدمته " ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات، ومن ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية، واستكثرت ما أمكنني مـن السؤال عن كل مملكة، لا من تغفل الغفلاء، وتخيل الجهالات الـضالة، وتحريـف الافهام الفاسدة، فإن نقلت عن بعض الكتب المصنفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لا بد منه..." [2].

لقد بسط العمري لقارئه ما يطمئن به قلبه ويزيده ثقة بالمعلومات التي يبسطها بين يديه، ويؤكد ذلك بقوله: "ولم أذكر عجيبة حتى فحصت عنها، ولا غريبة حتـى ذكرت الناقل عنه لتكون عهدتها عليه" ثم يستطرد العالم الجليل زيادة فـي إشـعار

---

[1] الفقي، محمد كامل الأدب العربي في العصر المملوكي، ط3، 1984، دار الموقف العربـي: ص68.

[2] العمري، المقدمة، ص29.

القارئ المتخصص بالراحة النفسية وذلك بقوله: "ولم أنقل إلا عن الأعيان الثقات من ذوي التدقيق في النظر والتحقيق في الرواية "[1].

والحق أننا أمام شخصية أدبية فكرية علمية سياسية فريـدة، قـصيرة العمـر خصبة الإنتاج، مجرد ظهورها وظهور أترابها يرفع من قيمة العصر الذي يعـيش فيه العمري، ويعلي شأنه ويمجد أيامه [2]، وهذا مما جعل معاصـرية يـشهدون لـه بسعة الحافظة حيث وصفه الصفدي قائلاً: "هو الإمام الفاضل، البليغ المفوه، الحافظ، حجة الكتّاب، إمام أهل الأدب أحد رجالات الزمان كتابة وتوسلاً إلى غايات المعالي وتوصلاً وامتداداً على الأسود في غاباتها وارغاماً لإعدائه بمنع رغائها... ورزقـه ا أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره وهي، الحافظة، فما طالع شيئاً إلا كـان مستحضراً لأكثره، والذاكرة التي إذا أراد شيئ من زمن متقدم كان ذلـك حاضـراً كأنه إنما مر به بالأمس، والذكاء الذي يتسلط على ما أراد، وحسن القريحة في النظم والنثر "[3].

كما قال عنه ابن العماد: "كان يكتب من رأس القلم ما يعجز عنه غيره من مده" وقال: ابن حجر "كان يشبه القاضي الفاضل في زمانه"[4]، فالعمري ينتقل بقارئه مـن غير ملل ولا سأم من واحة أدبية إلى جنةٍ فكريةٍ إلى باحة تاريخية إلى عمائر أثرية وهو في ذلك أدبي السرد جغرافي المنهج.

وركز العمري في موسوعته على ذكر المصادر التي استقى منهـا مادتـه بـشكل واضح، ولكنه باين في طريقة الذكر، فأحياناًيذكر المؤلف وكتابـه فـي المقدمـة، وأحياناً يشير إلى المؤلف دون كتابه، وأخرى يشير إلى الكتاب دون مؤلفه، وأحياناً يعمي مصادره، وأحياناً يشير إشارة خفية إلى مصادره، فالمصادر التي كان يستقي منها مادته متخصصه بكل فن وطائفة. ففي بداية كل طائفة ترجم لها يذكر المصادر الخاصة بهذا الفن ويستقي منها مادة الترجمة، وفي بعض تراجمـه لا يـشير إلـى

---

[1] الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، 1973م، دار العلم للملايين: ص622.

[2] الشكعة، مناهج التاليف عند العلماء العرب، قسم الآداب: ص621.

[3] الصفدي، فوات الوفيات: 12/1.

[4] ابن العماد، شذرات الذهب: 160/6.

بعض المصادر في المقدمة، وإنما ترد الإشارة في ثنايا التراجم، لـذا لا بـد مـن الإشارة إلى مصادرالعمري وفق ترتيبهم الطائفي حيث ترجم لهم ضمن طوائـف، تتضمن مهن لكل طائفة.

1.2 المصادر المدونة:

لقد تعددت هذه المصادر وتنوعت وفقاً للطائفة التي كان يترجم لها، حيث عمد العمري التخصص في مصادره، فكان لكل طائفة قد ترجم لها مصادرها الخاصة.

1- مصادر حفظة ألسنة العرب (النحويين واللغويين وأصحاب البيان)[1]، لم يقـدم العمري لهذه الطائفة كما قدم لغيرها من الطوائف التي ترجم لها، ولـم يـذكر المصادر التي اعتمد عليها في المقدمة، لكنه بثها في ثنايا تراجمه، فقد أشار إلى ذلك من خلال التراجم ومن هذه المصادر كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكـان، فقد أشار العمري إلى ذلك في أول ترجمة افتتح بها تراجمه لهذه الطائفة وهـي ترجمة أبي الحسن، النضر بن شميل التميمي المازني، يقول: قال ابن خلكـان: "كان عالماً بفنون من العلم، صدوقاً ثقةً، صاحب غريب، وفقه، ومعرفـة بأيـام العرب، ورواية الحديث، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد"[2].

ومن المصادر التي أشار إليها العمري تهذيب اللغة للأزهري، فقال: "وذكـره أبو منصور الأزهري الهروي في كتابه فقال: كوفي الأصل، صـالح زاهـد، ورع صدوق، حفظ من الغريب والنوادر ما لم يحفظه غيره، وسمع من الأعراب الـذين ينزلون بظاهر الكوفة بني أسد وبني عقيل فاستكثر"[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7. فقد خصص العمري الجزء السابع لترجمة هذه الطائفة.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 18/7، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 397/5.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 37/7، الأزهري، محمد بن أحمد الهـروي، تهـذيب اللغـة، دار الكتب العلمية، بيروت: 21/1.

كما أشار العمري إلى تاريخ دمشق من خلال ذكره المؤلف دون كتابه، فقال: "ذكره الحافظ ابن عساكر فقال: حكى عن أبي عمرو إسحاق بن مرار، ومحمد بن مهنا وابن السماك الواعظ، وحكى عنه أحمد بن فرج المقري"[1].

ومن المصادر التي أشار إليها العمري في ثنايا تراجمه كتاب الفهرست لابن النديم، فقد ذكر اسم المؤلف كاملاً، فقال: "وذكره محمد بن إسحاق النديم: أن ابن قتيبة كوفي ولي قضاء الدينور"[2].

ولم ينهج العمري نهجاً واحداً في الإشارة إلى مصادره كما تبين بل كان يجمع بين المؤلف والكتاب، وذكر حيناً المؤلف دون نسبه، وحيناً ذكر الاسم كاملاً، وأخرى أشار إلى المؤلف وكتابه، كما كان يشير أحياناً إلى الكتاب دون مؤلفه، وربما لم يعمد العمري إلى ذلك بل معرفته التامة بالمؤلف وكتابه هي التي فرضت عليه هذا التنوع في الإشارات إلى مصادره فهو يعتقد جزماً بأن هذه الأسماء ومؤلفاتهم تفصح عن المراد، فكلاهما إشارة واضحة المعالم لا تخفى على دارسٍ أو عالم، فيما يتبادرإلى الذاكره يدونه العمري، دون فارق بينهما فالكتاب لصاحبه، والمؤلف يغني عن كتابه.

ومن المصادر التي اعتمد عليها العمري في ترجمة هذه الطائفة كتاب مروج الذهب للمسعودي، فقد أشار إلى ذلك بقوله: "قال المسعودي: كان ابن جريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، فقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وكان يذهب إلى الشعر كل مذهب، فطوراً يحرك، وطوراً يرق، وشعره أكثر من أن نحصيه، أو أن نأتي على أكثره، ومن جيد شعره مقصورته الفائقة"[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 38/7، ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة ا ، تاريخ دمشق، تحقيق عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، 150/74.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 45/7، النديم، محمد بن إسحاق الوراق، الفهرست، تحقيق يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996: 123.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 46/7، المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1948: 320/4.

كما أشار إلى كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، بقوله: "قال ياقوت الحموي: وما وقع له من حسن التصنيف ثم قلت: ومن العجب أني بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شافياً، وسئلت عنها الواردين من نيسابور، فلم أجد مخبراً عن ذلك"[1].

وأشار العمري أيضاً في ثنايا تراجمه إلى كتاب الأنساب للسمعاني قائلاً: "وأثنى عليه السمعاني وعدد فضائله، ثم قال: ما كان بمرضي الطريقة وذكر عنه أشياء ثم قال: لكنه كان ثقة في اللغة، وما كان ينقله، وله المصنفات المشهورة المفيدة، وكان قد دخل مصر في عنفوانه وقرأ على ابن بابشاذ، ثم عاد إلى بغداد، واستوطنها حتى مات"[2].

ومن المصادر التي أشار إليها العمري كتاب ابن الجوزي المعنون بالمنتظم في تاريخ الملوك والأمم وكتاب ابن خلكان المعنون بوفيات الأعيان، وهذا يعني أن العمري لم يكتف بمصدر واحد في الترجمة، ويشير إلى ذلك، وهذا يتأتى من حرصه على الترجمة المتكاملة، كما ينبئ بالأمانة العلمية التي يمتاز بها العمري، حيث يشير إلى مصادره في متن تراجمه، ومن ذلك قوله: "قال ابن خلكان: كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضح فيه مثل كتابه" [3].

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: "توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنان وثلاثون، وإنه توفي بمدينة ساوه" [4].

وذكره الخطيب في تاريخ بغداد:"عن ابن دريد أنه قال مات سيبوه بشيراز وقبره بها، وقيل: أن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة لا وفاته" [5].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 61/7، ياقوت الحموي، معجم الأدباء: 658/2.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 70/7، السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب، تحقيق عبد ا البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988: 446/1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 160/7، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 463/3.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 107/7، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م: 56/9.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 107/7، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م: 194/12.

تتنوع المصادر التي اعتمدها العمري، كما تتنوع المعلومة التي يستقيها، فهو يكمل ما يعتريه النقص من مصادر متباينة، ويشير إلى ذلك حرصاً منه على الأمانة العلمية التي يتمتع بها، كما نلاحظ التباين في الإشارة إلى الأولى قال ابن خلكان وفي الثانية قال الحافظ ابو الفرج الجوزي، وفي الثالثة ذكره الخطيب في تاريخ بغداد. فقد أشار إلى الكنية دون الاسم، وقرن الاسم والكنية، كما قرن الاسم بمؤلفه.

ومن المصادر التي اعتمد عليها العمري كتاب خريدة القصر للعماد الأصفهاني، بقوله: "وقال فيه العماد الكاتب: أحد الفضلاء المبرزين بل وأحدهم فضلاً، وما وجدهم نبلاً وكبيرهم قدراً، ورحيبهم صدراً، قد غلبت عليه سمة ملك النحاة، وسهرت بفضله ألسنة خلانه وعداه، سمع البديهة في المقاصد النبيهة، كثير الأبية عن المطامع الدنية بالمطالب النزيهة" [1].

كما أن العمري ذكر كثيراً من النصوص المفقودة من المصادر، وهذا مما يكسب عمله أهمية كبيرة حيث يعد كتاب العمري هو المصدر الوحيد لهذه النصوص ومن ذلك، قوله: "ذكره ابن المستوفي قال: بحراني المولد والمنشأ، أربلي الأصل، نسب أبيه وأهله في عداد الإربليين الآن، وكان جده خطيباً، وسبب مولده بالبحرين أن أباه يوسف كان تاجراً، وكان كثير السفر إلى البحرين لجاب اللؤلؤ، فتزوج امرأة من نسائه" [2] ؛ وهذا النص من المفقود من تاريخ ابن المستوفي.

كما أشار العمري إلى ذيل مرآة الزمان لليونيني، بقوله: وذكره اليونيني في الذيل، وقال: "كان عالماً، فاضلاً، أديباً، متفنناً، شاعراً، ومولده بالموصل في

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 156/7، العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد، خريدة القصر وجريدة العصر، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1955: 89/1/3-92.

[2] العمري، مسالك الأبصار، 163/7، ابن المستوفي، مشرف الدين المبارك بن أحمد، تاريخ إربل، تحقيق سامي الصفار، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م: هذا النص من المفقود من تاريخه. وردت نصوص كثيرة من المفقود من تاريخه: ج7 / 174، 180، 220، 225، 230.

الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفي عـصر في يوم الجمعة تاسع شوال سنة ست وستين وستمائة " [1].

لقد أشار العمري إلى المؤلف وكتابه، لكنه في ترجمة أخرى أشـار بطريقـة مختلفة حيث قال: "قال أبو الفتح ابن اليونيني: كان أوحد عصره فـي علـم النحـو واللغة العربية، مع كثرة الديانة والصلاح، والتعبد والاجتهاد، وسمع وحدث، وكـان مشهوراً بسعة العلم والإتقان والفضل" [2].

ومن المصادر التي أشار إليها العمري كتاب أعيان العصر للصفدي، في قوله: "قال أبو الصفاء الصفدي: وله التندير الحلو والنديب الرائق يكثر من ذلك في كلامه، ويشحن إشغاله الطلبة بالزوائد، ويورد لهم النوادر والحكايات الظريفـة والوقـائع الغريبة المضحكة " [3].

كما أشار إلى أنموذج الزمان لابن رشيق حيث قال: "قال ابن رشـيق: كـان الغالب عليه النحو واللغة، والافتتان في التأليف، وله شعر ربما جـاء بـه مفاكهـةً وممالحة من غير تحصر له ولا تجفل، فبلغ بالرفق والدعة أهل القدرة على الـشعر من توليد المعاني، وتوكيد المباني، علماً بمفاصل على الرحب والسعة أقـصى مـا يحاوله الكلام وفواضل النظام "[4].

وأفاد العمري من المصادر الأندلسية في ترجمة أعلام الأندلس، وقد أشار إلى ذلك في ترجمة إسماعيل بن خلف بن سعد بن عمران الأنصاري، أبـي الطـاهر، المقرئ، والنحوي الأندلسي، السرقسطي: بقوله: "وذكره ابن بـشكوال فـي كتـاب

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 232/7، اليونيني، قطب الدين موسى، ذيل مرآة الزمان، مطبعـة دائرة المعارف العثمانية، حيدر إياد الدكن، 1954م: 392/2.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 235/7، اليونيني، ذيل مرآة الزمان: 76/3.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 249/7، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيـان العـصر وأعوان النصر، دار الفكر، بيروت، 1997م: 357/3.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 263/7، ابن رشيق، أبو علي الحسين، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م: 365.

الصلة وأثنى عليه وعدد فضائله، وتوفي يوم الأحد مستهل المحـرم سـنة خمـس وخمسين وأربعمائة" [1].

ومن المصادر التي أشار إليها العمري في ثنايـا تراجمـه كتـاب "تحريـر التحبير"لابن أبي الأصبع، بقوله: "وقد ذكر ابن أبي الأصبع فـي كتابـه "تحريـر التحبير": أن ابن المعتز، وقدامة أول من اعتنى بعلم البديع، وقال – ما معنـاه: أن ابن المعتز هو الذي سماه بالبديع، واقتصر في كتابه بهذه التـسمية علـى خمـسة أبواب"[2].

وأشار العمري إلى كتاب البيان والتبيين للجاحظ إشارة واضحة بـذكر اسـم الكتاب ومؤلفه، بقوله: "وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: وقد صحت التجربـة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منـه إذا سقط أكثرها أو خالف أحد شطرتها للآخر، وقد رأينا تصديق ذلك في أفـواه قـوم شاهدهم الناس " [3].

كما أفاد العمري من كتاب بغية الطلب لابن العديم، وأشار إلـى ذلـك بـذكر المؤلف دون كتابه، بقوله: "وقد ذكر ابن العديم منه شذوراً وبلغ بها أماني كأنما وفي بها نذوراً"[4].

وبذلك يكون العمري قد نوع في مصادره، فقد أفاد من مصادر متعـددة، لـم يكتف في بعض التراجم بمصدر أو مصدرين بل كان يورد أكثر من مصدر، وذلك

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 269/7، ابن بشكوال، خلف بـن عبـد الملـك، الـصلة، الـدار المصرية، القاهرة، 1966: 105.

[2] العمري، مسالك الابصار: 353/7، ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد العـدواني، تحرير التحبير، القاهرة، 1956: 20.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 471/7، الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبـين، تحقيـق عبـد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1982م: 60/1.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 480، ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، بغية الطلب فـي تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، مطابع البعث دمشق، 1988م، ورد ذلك الخبر في المفقود من الكتب.

وفقاً لطبيعة الترجمة، ونلاحظ أن العمري قد ركز في مادته المنقولة على الترجمة الأدبية التي تفيد تقييم المترجم له وإماطة اللثام عن إنتاجه الأدبي.

2- مصادر المغنيين:

لقد أشار العمري في مقدمته العامة لتراجم المغنيين إلى المصادر التي اعتمد عليها، وقسم هذه المصادر إلى قسمين مصادر أساسية ذكرها في المقدمة ومصادر ثانوية ذكرها في ثنايا التراجم، وإلى ذلك يشير بقوله: "وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء مما ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب الإماء، ومما ذكره ابن ناقيا النحوي البغدادي في كتاب المحدث، ثم ذيلت ذلك بما نظرته في الكتب، والتقطه منها التقاط الفرائد من السحب"[1].

ويظهر أن العمري قد اختار الأغاني دون غيره لما له من أهمية كبيرة، فهو يعد أغنى كتب عصره في أخبار الجاهلية والإسلام وبني أمية، كما لم يهتم أحد قبل أبي الفرج بدراسة فن الغناء العربي وتاريخ المغنيين منذ أن نشأ هذا الفن عند العرب. وهذا يعني أن كتابه يعد المرجع الأساسي وربما الوحيد لتاريخ الغناء والمغنيين في القرون الثلاثة الأولى، ولما يزخر به من وصف تفصيلي لجوانب الحياة في العصر الذي كان يعيش فيه، كما أنه لم يكن مجرد ناقل بل كان ناقداً ممحصاً، فلا غرو أن يقول ابن خلدون عن كتاب الأغاني: "وعمري إنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها. فقد اجتمع فيه ما لم يجتمع لسواه من تراث العرب الأدبي. وقد استوعب ثقافة عصره وحصيلة معارفه وحوى عيون النثر والشعر والقصص، والأخبار والتاريخ والاجتماع والمجون والجد والغناء وتراجم الأدباء"[2].

ويظهر أن العمري قد نقل عن نسخة من كتاب الأغاني، وهي غير النُسخ التي وصلت إلينا، ذلك أننا نجد أنه قد أورد بعض المعلومات التي لم ترد في المطبوع

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق1/ 11.

[2] الدقاق، عمر مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم: المكتبة العربية، حلب، باب النصر، ص122.

من كتاب الأغاني، ففي ترجمته لعبيدة الطنبورية، أورد خبراً وأشار إلى مصدره في الأغاني، لكننا لم نعثر عليه في الأغاني، قال: "وكان لها غلام يضرب عليها يقال له علي ويلقب طائر عبيدة، وكانت إذا خات في البيت وشبقت اعتمدت عليه، وتقـول: بغل الطحان يصلح للحمل والطحن والركوب"[1].

ومن المصادر التي تعد ثانوية للعمري، فقد ذكرها في ثنايا تراجمه للفئة نفسها في ترجمة اسماعيل الهربذ [2] قال: وذكره ابن عسكر[3]، فقد أشـار العمـري إلـى مصدره بذكر اسم المؤلف دون ذكر كتابه.

كما أشار إلى مصدر آخر في ثنايا تراجمه حينما ترجم لأبي دلف[4] قال: "قال ابن خلكان كان أبو دلف كريماً سرياً جواداً ممدحاً "[5].

كما ترد بعض الإشارات من العمري إلى اسم المؤلف وكتابه في ثنايا تراجمه، فقد أورد ذلك في ترجمة عبد المؤمن بن يوسف، قال: "وذكر العز حسن الأربلي في تاريخه قال: جلست مع عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية، وجرى ذكـر واقعـة بغداد"[6]، ولكن هذا الخبر لم يرد في تاريخ أربل المطبوع، وهذا مما يعلي من شـأن الكتاب، حيث أنه يتضمن نصوصاً مفقودة من الكتب المطبوعة، فيكون بذلك قد حفظ لنا هذه النصوص التي فقدت ولا نجد لها أثراً في نسخ هذه المصادر التـي انتهـت إلينا.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج10 /ق1 / 195.

[2] اسماعيل بن الهربذ، مغن من أهل مكة، كان مولى لآل الزبير بن العوام، أدرك آخر أيام بني أمية وغنى للوليد بن يزيد وعمر إلى آخر أيام الرشيد، انظر: الأصفهاني، الأغاني: 7/76-79.

[3] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2/ 94، ابن عساكر، تاريخ دمشق.

[4] أمير الكرج، وأبرز أمراء عصره، من القادة والفرسان والمغنيين في العصر العباسي تـوفي سنة 226 هـ، انظر: الأصفهاني، الأغـاني: 8/ 394 – 408، وابـن خلكـان: وفيـات الأعيان: 4/ 73.

[5] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق1 / 102.

[6] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق2 / 155، حسن الأربلي، تاريخ أربل.

وكان العمري يكتفي أحياناً بذكر المصدر في المقدمة. لكنه يشير إلى المؤلف في ثنايا التراجم، ففي ترجمة بديعة الكبرى جارية عريب، يـشير العمـري إلـى المؤلف دون إشارة إلى الكتاب، اكتفاء بذكر اسم الكتاب في المقدمة، فيقول: "قـال الأصفهاني[1]: وقد ورد هذا الخبر في كتاب الإماء الشواعر" [2].

وأحياناً يشير إلى كنية المؤلف وكتابه رغم ذكره له في المقدمة، ففي ترجمـة محبوبة جارية المتوكل [3]، يقول: "قال أبو الفرج في كتابه الإماء: كانـت مولـودة شاعرة مغنية متقدمة في الحالتين على طبقتها" [4].

تتباين طرق الإشارة إلى المؤلف مرة بذكر اللقب دون الكنية وأخرى الكنيـة دون اللقب، ففي ترجمة قاسم جارية ابن طرخان[5] يذكر اللقـب دون الكنيـة ودون الكتاب، قال الأصفهاني[6]، أما ترجمة مها جارية عريب[7] يشير إلى الكنيـة واللقـب دون الكتاب فيقول: قال أبو الفرج الأصفهاني:[8] وفي بعض التـراجم يـشير إلـى المؤلف دون كتابه ففي ترجمة القاسم بن زرزر[9] يقول: ذكره ابن ناقيا ثـم يـشير بطريقة أخرى إلى الكتاب فيقول: "قال ابن ناقيا" وبذلك تتباين طرق الإشـارة إلـى المصادر التي يعتمدها العمري في تراجمه.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق2/ 138.

[2] الإماء الشواعر: 140.

[3] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 131.

[4] الإماء الشواعر: 137.

[5] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 136.

[6] الإماء الشواعر: 117.

[7] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 137.

[8] الإماء الشواعر: 143.

[9] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 104.

كما كان العمري يعتمد في نقله للأشعار على دواوين الشعراء لكنه لم يشر إلى الدواوين ولكن كان يشير إلى أصحابها حينما ينسب الأشعار إلى ناظميها ومن ذلك حينما قال والشعر لدعبل والغناء فيه من الرمل المنسرح [1].

وقال: والشعر لأبي الطيب المتنبي [2]، والغناء فيه في الهزج المزموم.

وقال في بعض الأشعار: وكذلك صوته في شعر ابن نباته المصري [3].

نظفر من خلال الفواصل التي يضعها العمري بين تراجمه بديدنه في التمحيص في البحث عن المصادر ذات العلاقة التي تقدم معلومات مهمة حول الطائفة التي يترجم لها، فقد وضع في ثنايا تراجمه لهذه الطائفة ما ينبئ بذلك فقال، وهذا آخر ما يقع عليه الاختيار من جامع أبي الفرج الأصفهاني، اقتصر فيه على من ذكره من مشاهير المغاني، وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا على جرينا عليه في جميع هذا الكتاب، لقلة اعتناء المتأخرين، ولا سيما بهذا الفن الذي فني ولم يبق من يعاينه أو يسمعه... ثم ظفرت لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه عرضاً ذكر جماعة على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطفت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة عن أواخر الخلفاء من بني العباس... " [4].

نلاحظ أن العمري يرتب المصادر التي يعتمد عليها حسب أهميتها، كما يعلل أسباب قلة التراجم في بعض العصور، من حيث المصادر التي اعتمدها والأسس التي سار عليها في اختياره لمن ترجم لهم ممن نبغ بهذا الفن.

---

[1] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 87. فقد روت الأشعار في دعبل الخزاعي، ديوانه: 130.

[2] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 87. وقد وردت الأشعار في المتنبي، ديوانه: 3/ 94.

[3] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق2 / 187، وردت الأشعار في ابن نباته، ديوانه: 149.

[4] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 10 / ق2 / 77.

3- مصادر الوزراء والكُتّاب:

أما بالنسبة إلى ترجمة الفئة الأخرى وهي الوزراء والكتّاب فلم ينوه إلى مصادره في المقدمة التي رتب فيها أصناف المترجم لهم، ولكنه سار على سنة المؤلفين العرب الذين جمعوا بين تراجم الوزراء والكتّاب مثل الجهشياري في كتابه الوزراء والكتّاب.

ولم يشير إلى ذلك، لكنه لم يغفل المصادر اغفالاً تاماً بل أشار إليها في ثنايا تراجمه، ومن الشواهد على ذلك، ما أورده في ترجمة روح بن زنباع [1]، فقد أشار العمري إلى صاحب الكتاب دون ذكر اسمه وذكر كتابه، بقوله:" وذكر صاحب كتاب الوزراء والكتّاب" [2].

وينقل العمري في بعض التراجم نصوصاً ويذكر أخباراً دون أن يحيل إلى مصادره، ففي ترجمة عبد الحميد بن يحيى، "وساير يوماً مروان على دابه، فقال له: كيف سيرها؟ فقال له: همها أمامها، وسوطها عنانها، ما دنت قط إلا حلماً، ولا ضربت قط إلا ظلماً" [3]. وفي بعض التراجم يبني روايته للمجهول، ينبئ بذلك في أقواله حينما يقول: وحكى أن الفيض من أبي صالح، وأحمد بن الجنيد، وجماعة من الكتّاب والعمال،... وحكى أن داود كاتب زبيدة حبس وكيلاً لها على مائتي ألف درهم [4].

ويبدأ العمري أحياناً ترجمته لبعض الشخصيات بتسمية المصدر الذي ينقل عنه، ومن ذلك قوله: "ذكره صاحب بغية الألباء وعده في أفاضل الأدباء، وقال: إنه

---

[1] كان أحد ولاة فلسطين أيام يزيد بن معاوية، الأصفهاني، الأغاني: 17 / 111. وذكر الجاحظ في الحيوان: 1/ 226، أن عبد الملك زوجه أم جعفر بن العمان بن بشير، العمري، مسالك الأبصار: 11/ 10.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 13/11، وقد ورد هذا الخبر في الجهشياري، الوزراء والكتّاب: 82 ولم يشر العمري إلى ذلك.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 32.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 32.

تصرف في الأعمال، ونظر للسلطان في جباية الأموال" [1]، كان العمري يبدأ أحيانـاً بالترجمة من صنعه، وهنا يبدأ بنقل ترجمة المؤلفين له.

ومن الطرائق التي كان يلجأ إليها العمري في ذكر مصادره ذكر المؤلف دون كتابه، ومن ذلك قوله: "وحكى ابن النجار قال: لما خرج الوزير ابن صـدقة مـن محبسه إلى الدار المعروفة بالزينبي استأذن في دخول أولاده وخـواص أصـحابه، قال: فدخلنا عليه، وسألناه عن حاله، فقال: لما حملت إلى دار السياطة جاءني خادم معه خادم المسترشد، ومكتوب الخليفة بإطابة قلبي وأنني ما نقلت إلى دار الـسياطة إلاّ حيناً لي وحفظاً لمهجتي" [2].

كما يذكر في ترجمة يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني: "وحكى ابن الأثيـر: أن ابن هبيرة لما ولي يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر سنة أربع وأربعين كان القمـر على تربيع، قيل له: لو أخرت لبس الخلعة لهذه التربيعات، فقال: وأي سعادة أكبـر من وزارة الخليفة ولبس في ذلك اليوم "[3].

ومن المصادر التي اعتمدها العمري في تراجمه وأشار إلى مؤلفيها فقط كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام.

ومن ذلك ما ورد في ترجمة الوزير الرئيس أبي عبد الـرحمن محمـد بـن طاهر[4]، حيث قال: "وقال الفتح في ذكره: وكتب إلى المنصور بن ابي عامر يخبره

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 11 / 107، والمقصود ببغية الألباء كتاب معجم الأدبـاء ليـاقوت الحموي، انظر: 1/ 269.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 132، وقد وردت هذه الترجمة في المفقود من ابـن النجـار كتاب ذيل تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 137/11، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1982 م: 11/ 147.

[4] انظر ترجمة: الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، تحقيق حسين خريوش، مكتبة المنار، الزرقـاء، 1989: 1/ 170، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عبـاس، دار الثقافة، بيروت، 1979: 3/ 13، العماد الأصفهاني، الخريدة: 2/ 213.

بخبر السيل الذي سال بمرسية فعفى آثارها وهد أسوارها واحتمل ديارها، وقد كان ورد كتابه مستفهماً عن خبره، ومنتهى عبره" [1].

وفي الترجمة نفسها يشير إلى كتاب ابن بسام بقوله: "قال ابن بسام: حين ذكره أحد من جمع الحديث إلى القديم وارتقى من رئاسة الأقلام إلى سياسة الأقاليم، واتفق لبني طاهر بالفتنة المطغية رئاسة كورة مرسية، كان أبو عبد الرحمن يكتب عن نفسه بهذا الأفق كالصاحب ابن عباد بالشرق، وله رسائل تشهد بفضله، وتدل على نبله"[2].

ويباين العمري في ذكر الاسم ما بين ذكره ناقصاً أو كاملاً، ففي بعض التراجم يذكر اسم المؤلف كاملاً ومن ذلك ما ورد في قوله: "وذكره الفتح بن خاقان"[3]. ومن المصادر التي أشار إليها العمري كتاب أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر، فقد أشار إليه بقوله: "وحكى صاحب الدول المنقطعة: أنه خلف ستمائة ألف ألف دينار عيناً ومائتين وخمسين إردباً دراهم نقد مصر، وسبعين ألف ديباج أطلس، وثلاثين راحلة إحقاق ذهب عراقي" [4].

ويشير العمري أحياناً إلى عناوين مصادره وأسماء مؤلفيها، ويقتصر أحياناً على ذكر أسماء المؤلفين دون عناوين كتبهم ومن ذلك قوله في ترجمة، أبي شجاع شاور بن مجير بن نزار بن ولد أبي ذؤيب عبد ا وهو والد حليمة مرضع رسول ا (صلى ا عليه وسلم) [5].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 248، الفتح بن خاقان، القلائد: 1/ 187.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 249، ابن بسام، الذخيره: 3/ 13 – 14.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 251، الفتح بن خاقان، القلائد: 1/ 253.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 257، ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام هزايمة وآخرون، دار حمادة للطباعة والنشر، اربد، 1999م: 1/ 439.

[5] انظر ترجمته: ابن الأثير، الكامل: 11/ 335، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 2/ 443، الصفدي، الوافي بالوفيات: 16/ 95.

حيث قال: "وذكر ابن شداد في سيرة صلاح الدين: أن شاوراً المذكور خـرج إلى أسد الدين في موكبه فلم يتجاسر عليه أحد إلا صلاح الدين فإنه تلقاه وسار إلى ركابه وأخذ بتلابيبه... "[1].

وفي الترجمة نفسها يشير إلى المؤلف دون كتابه، فيقول: "وذكر ابن عساكر، أن شاوراً وصل إلى نور الدين مستجيراً فأكرمه واحترمه وبعث معه جيشاً فقتلـوا خصمه، ولم يقع منه الوفاء بما ورد من جهته... "[2].

ومن المصادر التي اعتمد عليها العمري في ترجمة هذه الطائفة، وقد أشار إلى مؤلفها دون كتابه، ذيل مرآة الزمان لليونيني، بقوله: " قال ابن اليونيني، كان مـن رجال الدهر حزماً وعزماً، ورأياً وتدبيراً، تنقلب به المناصب الجليلـة، وظهـرت كفايته ودرايته، وحسن تأنيه، فاستوزره الملك الظاهر في أوائل دولته"[3].

ومن الطرائق التي اعتمدها العمري في ترجمته، تعميته لبعض المصادر التي كان ينقل عنها دون أدنى إشارة إليها، ففي بعض التراجم كان يأتي بمعلومات مـن مصادر معينة، لكنه لا يشير إليها، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في ترجمة ابـن الزبير، زين الدين يعقوب[4]، فقد ترجم له وذكر شواهد من نثره وشعره وذكر مولده ووفاته، دون إشارة إلى المصدر الذي ينقل عنه وهو كتاب ذيـل مـرآة الزمـان، لليونيني[5].

وتتباين المادة التي ينقلها العمري من مصادره وفقاً للفئة المترجم لها، فقد عني بمادته لتتناسب مع غرضه، فحينما ترجمه لهذه الطائفة (الوزراء والكتّاب) نلاحـظ

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 297، ابن شداد، النوادر السلطانية: 39.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 297، ابن عساكر، تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق محب الدين عمر بن غرامه العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1975: 57 / 22.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 316 اليونيني، ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانيـة، حيدر آباد الدكن: 384/3.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 312- 315، انظر ترجمته: اليونيني، ذيل مرآة الزمان: 2/ 441، النويري، نهاية الأرب: 30 / 172.

[5] اليونيني، ذيل مرآة الزمان: 2/ 442.

أن معلوماته المنتقاة هي عبارة عن أحداث تاريخية تتصل إتصالاً وثيقاً بشخـصية المترجم له، وتنبئ بمنزلته بين أقرانه، لذا نستطيع من خلال هذه التراجم أن نقـف على بعض القضايا التي كانت سائدة آنذاك، كما عقد العمري مقارنة بين الـوزارة والكتابة لما لذلك من أهمية قصوى في تلك الحقبة الزمانية.

4- مصادر تراجم الشعراء:

إن اتساع النطاقين الزماني والمكاني لتراجم كتاب العمري، وضع أمامه أشهر مصادر التراث العربي الإسلامي في مختلف مجالات الإنتـاج الأدبـي والعلمـي والفكري منذ بداية التأليف عند العلماء المسلمين حتى مطلع القرن الثامن الهجـري، وهو تراث هائل وغني مر بعصور ازدهار التأليف عند المـسلمين الـذين تغنـوا بتنويعه وإثرائه سواء أكانت في الأشكال التنظيمية المتعددة التي عرضوه بهـا، أو بالمادة المتنوعة التي احتوتها تلك المؤلفات، ولذلك لم يكن مـن الـسهولة مطلقـاً الوقوف عليه واستيعابه، فهو يحتاج إلى وقت طويل وجهد جهيد في وقت لم يكـن الحصول على الكتب والأجزاء الموقوفة في الجوامع ودور العلم وخزائن الكتب، إلا أن الحصول على الكتاب في البيت كان من الصعوبة بمكان، فهو يكلف مالاً ووقتـاً في عصر كانت فيه الجهود العلمية فردية لا تدعمها المؤسسات، ولـم يكـن العلـم حرفة يعيش منها العالم، بل كان في الأغلب الأعم من باب التدين والهواية [1]، وعلى الرغم من ذلك إلا أن العمري قد أنتج ونوع من مصادره وذلك وفقاً لتعدد الطوائف التي ترجم لها، فمن الطوائف التي عني العمري بتراجمها والتي تشكل جزءاً مهمـاً من تراجمه ألا وهي طائفة الشعراء، فقد وقف العمري مطولاً في اماطة اللثام عـن إبداعاتهم وانتاج قرائحهم، ونلاحظ بأن الترجمة لهذه الطائفة قد انصبت على الانتاج الشعري لهم، فقد أورد العمري كثيراً من أشعارهم وباين في موضـوعاتها ورواح في أطوالها، فقد وردت تراجم هذه الطائفة في تسعة أجزاء مقـسمة علـى النحـو التالي: الجزء الرابع عشر مخصص لشعراء الجاهلية والدولة الأموية والقسم الثاني منه مخصص للشعراء المخضرمين وشعراء الدولة العباسية، والجزء الخامس عشر

---

[1] ينظر: معروف، بشار عواد الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام، ط1، مطبعـة عيـسى البابي، 1976: 422.

مخصص لشعراء الدولة العباسية والجزء السادس عشر مخصص لشعراء المـشرق الإسلامي في عصري الأيوبيين والمماليك والجزء السابع عشر مخصص لـشعراء المغرب والأندلس والجزء الثامن عشر مخصص لشعراء مصر والجـزء التاسـع عشر أيضاً مخصص لبقية شعراء مصر.

لقد راعى العمري في تراجمه التسلسل الزمني للعصور التاريخية ابتداء مـن العصر الجاهلي، كما أن العمري قد أفرد لشعراء مصر أجـزاء خاصـة لترجمـة أعلامها، فقد ترجم لعدد كبير من الشعراء، والإكثار من الاستشهادات الشعرية لهم، كما اعتمد على العديد من المصادر الأدبية ودواوين الشعراء، هذا بالإضـافة إلـى اعتماده على العديد من المصادر المفقودة كما سنوضح ذلك لاحقاً، وإيراده العديـد من المقطوعات الشعرية اعتماداً على دواوين الشعراء التي لم تصلنا دواوينهم وقام العديد من العلماء بجمع تلك الدواوين من المصادر.

فمن المصادر التي أفاد منها العمري في ترجمته لهذه الفئة، وأشار إليها فـي ثنايا تراجمه كتاب ابن سعيد المرقصات والمطربات، بقوله: "قال ابن سعيد: إن كانو جعلوه في الكتاب المصنف في أشعار الجاهلية آخراً فإنه متقدم بالنظر إلى معـاني الغوص"[1]. كما أن العمري ركز على المرقص من الأشعار، حيث كان يختار الشعر المرقص ويعد هذا معياراً لاختياره للأشعار، وقد أشار إلى ذلك، بقوله: "وقد ذكـره ابن سعيد وقال: ورد له من شعره مرقص كدره استغلاق لغته وهو قولـه: يـشق حباب الماء حيزومها بها البيت، وهو من معلقته" [2]. والمرقص في مفهوم ابن سعيد هو ما كان مخترعاً أو مولوداً يكاد يلحق بطبقة الاختراع لما يوجد فيه مـن الـسر

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق1/ 19، ابن سعيد، علي بن موسى المغربي، المرقـصات والمطربات، دار حمد ومحيو، بيروت، 1973: 22.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق1 / 23، ورد في ترجمة طرفة بن العبد، وهو طرفة بـن العبد بن سفيان بن مالك وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل، انظر: مقدمة ديوانه، شرح الأعلـم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربيـة للدراسـات والنـشر، بيروت، 2000م، ابن سعيد، المرقصات: 22.

الذي يمكن أزمة القلوب من يديه وذلك راجع إلى الذوق والحس مغنٍ بالإشارة عـن العبارة [1].

كما أن العمري كان يختار الأشعار التي يختارها غيره من أصحاب المصادر فمن ذلك ما وقع عليه الاختيار من الأشعار وفقاً لوردها عند صاحب منتهى الطلب، وقد أشار العمري إلى ذلك بقوله: "وأنشد له صاحب منتهى الطلب قوله"[2]

ونِدمان يـ ـ ـزيد الكأس طيباً سقيت إذا تغيرت النجوم

رفعت برأسه فكشفت عنه بمعرقةٍ ملامـ ـةٍ من يلوم

ويعتمد العمري في تراجمه على ممن سبقه من أصحاب التراجم والمختـارات الشعرية، وقد أشار إلى ذلك في نهاية ترجمة شعراء بني أمية، بقوله: "وبها انتهـاء شعراء دولة بني أمية ممن وقع عليه اختيارنا، موافقة في الغالب لاختيار علي بـن سعيد في كتابه المسمى المرقص والمطرب "وهم حلية ذلك الصدر وعليـه أولئـك النجوم العالية القدر، وفتية تلك الدولة اللامع وفاؤهم في جوانب ذلك الغدر" [3].

ولم يأل جهداً العمري في رصده للأشعار التي تظهر براعة المترجم له، فقـد أكثر من ايراد الأشعار في هذه الأجزاء المخصصة لترجمـة الـشعراء، كمـا أن ترجمته لهذه الطائفة قد صبغت بالصبغة الأدبية، حيث ركز جلّ اهتمامه على انتاجه الأدبي ومن آراء حول أسلوب المترجم له، وما يمتاز به، لذا نراه ينتقي المـصادر التي تعالج هذا الجانب منها قوله: "وقال الثعالبي، وقد أرخى العنان فيما اختار لـه على اختلاف الأوزان مما زان وخفّ على الأذهان، وقد ثقل في الميزان: ومحاسن ابن الحجاج لا تنتهي حتى ينتهى عنها" [4]. كما أن العمري أشار في ثنايـا تراجمـه وقوفه على بعض الدواوين وكان يطلق أحكاماً نقدية تجاهها منها قوله: "ولقد وقفت على هذا الديوان فوجدته قد اكره ثقل التجنيس عفوه، وكدر رنقُ التكليف صفوه، إلا

---

[1] انظر: ابن سعيد، المرقصات: 7.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق1 / 44، ابن ميمون، منتهى الطلب في أشـعار العـرب، بيروت: 8/ 76.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق1 / 235.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2 / 25، الثعالبي، يتيمة الدهر: 3/ 116.

ما ندر له من الأبيات الآهلة المغاني بأهلّه المعاني البارعة جمالاً يفتن، وكمالاً يؤذن بأن قيمة كل امرئ ما يحسن" [1].

ومن الدواوين التي أشار العمري إلى الوقوف عليها ديوان الأمير أبي الفتيـان مصطفى الدولة محمد بن حيوس، بقوله: "وديوانه كبير الحجم، منير الجوانب كأنما طلع في آفاقه النجوم، وقد اعتمد فيه الجناس فأكثر منه حتى كدر صـفوه الـزلال، وعسر عفوه حتى كاد يبطل به عمل سحره الحـلال، ومـدح الملـوك والأمـراء والوزراء، حصل النعمة والثراء، وكان جملة فخر وقلّة ثبات لا يدهده له صـخر" [2] وذلك ينبئ باطلاعه على الدواوين الشعرية للشعراء الذين ترجم لهم.

كما كان العمري في بعض تراجمه يشير إلـى حـدود الترجمـة المقتبـسة بالإضافة إلى أشارته إلى المصدر ومؤلفه منه قوله: "قال العماد الكاتب فـي حقـه الخريدة: وهو وإن كان في العجم مولده فمن العرب محتـده، سـلفه الكـريم مـن الأنصار لم يسمع بنظيره سالف الأعصار، أوسي الأس خزرجيه مسي النطق إياديه، فارسي القلم، وفارس ميدانه، وسلمان برهانه من أبناء فارس نالوا العلـم المتعلـق بالثريا جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا. انتهى كلام العماد" [3].

فقد أشار العمري في هذه الترجمة إلى المصدر والمؤلف كما أشار إلى حدود الترجمة المقتبسة، وهذا ديدن العمري في النقل عن الآخرين يتوخى الأمانة العلمية.

فقد كانت تستوقفه دواوين الشعراء فيصفها وصفاً دقيقاً ويبني عليهـا أحكامـاً نقدية، كما يتناول آثارها في مسامع المتلقين.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2 / 123، في ترجمة الأمير أبي الفتح الحسن بن عبد ا بن أحمد ابن أبي حصينة السلمي، انظر ابن أبي حصينة، الديوان، سمعه وشرحه أبو العلاء المعري، تحقيق محمد أسعد أطلس، دار صادر بيروت 1990: 6.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2 / 150، ابن حيوس، الديوان، تحقيق خليل مردم بيـك، دار صادر بيروت 1984: 5/1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2 / 222، العماد الأصفهاني، خريدة القصر، فـي ذكـر فضلاء أهل أرجان والجبل: 3 / 154.

لقد شكلت الدواوين مصدراً في غاية الأهمية في ترجمة العمري للشعراء حيث نوه إلى ذلك في ثنايا تراجمه، فقد كان يختار الأشعار التي يوردها من دواوين الشعراء، فقد كان لذوقه الخاص أهمية كبرى، حيث كان يشكل معياراً لاختيار الأشعار، ومما ورد من ذلك قوله: في ترجمة عبد العزيز بن سرايا الحلي، أبي الفضل، صفي الدين[1]، "وهذا آخر ما اخترت من جميع ديوانه وبديع ما ضمنه من الفريد في صوانه. وقد وقفت عليه، وكله ناطق بصنيعه، مذهب بشعاع توشيعه، ولم اقتصر على هذا لأن بمثله يكتفي، وإنما أقللت للقناعة، وأتيت من غيه بمقدار ما تُعرف به بقية البضاعة، وقد وقفت له على نثر لا يقاس بنظمه، وإن كان لكل در، ولا يقاربه، وكل منها يسر، وإنما هو في طبقة هذا الشعر حيث ترى، وأين الثريا من الثّرى. وقد كان كتب إلي كتاباً وددت لو حضرني لآتي به، وإن كنت جد ضنين وأسمع به، وإن كان لا يسمح بالثمين" [2].

يفسر العمري أسباب إيراده لبعض الأشعار دون غيرها، وبذلك يوضح للقارئ المنهج الذي اتبعه في الترجمة، كما يصدر أحكاماً نقدية تجاه الانتاج الأدبي للمترجم له، كما تشكل اختيارات الأخرين معياراً لأختيار الأشعار لدى العمري، فقد كان ينهج نهجهم في الترجمة وفي الترتيب وفي اختيار الأشعار، منها ما أشار إليه العمري في ترجمته للشعراء المغرب والأندلس، حيث قال: "وقد استفتح به ابن سعيد شعراء المغرب في المرقص والمطرب. قال: هو بالأندلس إمام أدبائها، وفارس شعرائها [3].

---

[1] انظر: أبي الفضل، صفي الدين ، مقدمة ديوانه.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 296/16.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق12/1، ورد في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن هدير بن سالم الأموي مولاهم، توفي سنة 328 هـ. انظر: ديوانه، تحقيق محمد التونجي، مكتبة الخافقين، دمشق، 1977، ص 11- 23،وهو صاحب كتاب العقد الفريد، المرقصات: 75.

معظم التراجم التي نقلها العمري من مصادره التي أشار إليها إشـارة كاملـة ونقل منها ما يكشف عن منزلة الأديب بين أقرانه وما يمتاز به، قوله: "قال الحـافظ أبو عبد ا الحميدي في جذوة المقتبس وقد ذكره: كثير الـشعر، سـريع القـول، مشهور عند الخاصة والعامة هنالك، لسلوكه في فنون من المنظوم مسالك، ينفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: فتح الـشعر بكنـدة وخـتم بكندة"[1].

ويكثر العمري في النقل عن مصدر دون غيره في ترجمته لطائفة معينة مـن الشعراء، ومن ذلك قوله: "ذكره ابن رشيق: وقال شاعر فصيح، حسن التقسيم، جيد الترسم، جزل الشعر، ظاهر البلاغة، عالم بأسرار الكلام، إذا ركب معنى" [2].

كما أورد في ترجمة أخرى، ذكر ابن رشيق وقال: "شاعر مفلـق ذو ألفـاظ حسنة، ومعانٍ متمكنة، مثقفٌ لنواحي الكلام، وطْبها، حلو مذاقه الطبع عذبها، ولـه من سائر العلوم حظوظٌ وافرةٌ، وحقوقٌ ظاهرةٌ" [3].

ونلاحظ أن العمري كان ينقل من كتاب ابن رشيق ما يختص بـالحكم علـى إبداع الشاعر ومنزلته وما يمتاز به فيقدم بذلك أحكاماً نقدية تتعلق بكل شاعر، لـذا يفسح المجال أمام القارئ بالاطلاع على الاحكام النقدية السائدة آنذاك وما هي أوجه الأبداع المعتمدة آنذاك، كما أن العمري يقر بهذه الأحكام وذلك من خـلال إيرادهـا وعدم التعليق عليها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق1 /17، الحميدي، أبو عبد ا محمـد بـن فتـوح، جـذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيـروت، 1989 م: 985/2 -590.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1 / 192، ابن رشيق، أنموذج الزمان: 266.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق1/ 195، ابن رشيق، أنموذج الزمان: 134. وقـد وردت أشارات كثيرة تدل على إفادته من كتاب ابن رشيق انظر الصفحات التاليـة: 197، 199، 201، 203، 206، 207، 208، 210، 212، 214، 217، 218، وغيرها كثير لا مجال لحصرها.

ومن المصادر التي اعتمد عليها العمري في الترجمة للشعراء المتأخرين كتاب الطالع السعيد للأدفوي، ورد في ترجمة عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السمهوري الخطيب[1]، قال: "ذكره الأدفوي وقال: قال لي: حضر إلي بعض أصحابي وسـألني أن أمضي معه إلى زوجته لأصلح بينهما، فمضيت معه، فشكت زوجته من سـوء خلقه، وقالت: انظر ما فعل بي، ضربني وكسر معصمي، ثم كشفت عن معصم كأنه البلور، فقلت:" [2]، (البسيط)

قالت وقد كشفت عن سر معصمها انظر إلى فعل من قـد جـار وابتـدعا

فمـــا رأيت به للكسر مـن أثر بلى رأيت عمود الصبح منصدعا

لقد أورد العمري خبراً انتقاه من الطالع السعيد يتعلق بإبداع المتـرجم لـه، وتوقد قريحته وسرعة بديهته وارتجاله الشعر.

وقد أورد ذلك في ترجمة المغنيين، حيث اعتمد كتاب الأغاني لأبـي الفـرج الأصفهاني، فقد أشار إلى المؤلف دون كتابه، حتى في مقدمته لم يـشر إلـى اسـم الكتاب وإنما اكتفى بقوله، "وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبـو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع" [3].

وهذه إشارة من العمري إلى معرفة جلال قدر الكتاب، فحين تذكر هذه الطائفة يتبادر إلى الذهن كتاب الأغاني، فالكتاب يسبق مؤلفه، لذا اكتفى العمري بذكر اسـم مؤلفه، لأنه يجزم بمعرفته دون اشارة، وقد أورد أشارات عديدة إلـى مؤلفـه فـي الجزء المخصص لهذه الطائفة [4].

---

[1] أحد فقهاء الشافعية والأدباء، توفي سنة 720هـ. انظر: الأدفوي، الطالع السعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة، 1966م: 314.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 153/19، الأدفوي، الطالع السعيد: 314.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق1 / 11.

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج 10 / ق1، هناك اشارات عدة سأشير إلى أرقام صفحات بعض منهـا: 13، 15، 25، 41، 47، 48، 65، 69، 75، 115، 124، 127، 130، 181: ج 10 / ق2 / 27، 42، كما أشار إلى ابن ناقيا في هذا الجزء: 80، 81، 102، 104.

طرق نقل العمري من المصادر المُدونة:

يصنف العمري المصادر المكتوبة التي استقى منها مادته كل حسب موضوعه، والطائفة التي ترجم لها، فقد أفاد من المصادر المتخصصة في موضوعات بعينها، وكان ينتقي أمهات الكتب في الموضوع الذي يقف على أعلامه، وقد أشار إلى ذلك في بعض مقدماته التي تسبق ترجمة كل طائفة وفي ثنايا تراجمه، وقد تباينت طرق إفادته من مصادره وتراوحت بين النقل الحرفي المباشر، وبين الاجتزاء والحذف والاختصار، كما كان يتصرف فيما ينقل من بعض مصادره.

لذا لا بد من الوقوف على بعض النصوص التي انتقاها العمري من مصادرها الرئيسة، ومقارنتها بالنص المنقول للعمري.

يقول في مقدمة كتابه: "فإن نقلت عن بعض الكتب المصنفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لابد منه، وما فيها من أقوال القدماء، واختلاف آراء الحكماء، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ وسنين وشهور وأيام مما هو مسرح أمل، ومطمح ذي عمل... لأجمل به كلامي، وأكمل به نقصي، وأتمم به بهجة النظر، ورونق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخال في الخد، لا لأكثر به سواد السطور، وأكبر به حجم الكتاب"[1].

ومن المصادر التي استقى منها العمري بعض مادته، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

وممن ورد في كتاب الأغاني في ترجمة عزة الميلاء [2]، يقول أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني:[3] "سمعت خارجة بن زيد يقول: دعينا إلى مأدبة في آل نبيط، قال خارجة: فحضرتها، وحسان بن ثابت قد حضرها، فجلسنا جميعاً على مائدة واحدة، وهو يومئذ قد ذهب بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، فكان إذا أتى طعام

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 17/ ق1/ 259، ابن رشيق، أنموذج الزمان: 212.

[2] عزة الميلاء، مولاة الأنصار أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز، انظر: الأصفهاني، الأغاني: 107/17 – 117.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ج 17، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 109.

سأل ابنه: أطعام يد أم يدين ؟ يعني باليد الثريد وباليدين الشواء، لأنه ينهش نهـشاً، فإذا قال طعام يدين أمسك يده، فلما فرغوا من الطعام أتوا بجارتين: احداهما رائقـة والأخرى عزة، فجلستا وأخذتا مزهريهما، وضربتا ضرباً عجيبـاً، وغنتـا بقـول حسان: (المنسرح)

انظر خليلي بباب جلّق هل　　　　تبصر دون البلقاء من أحد

فاسمع حساناً يقول:

قد أراني بها سميعاً بصيراً وعيناه تدمعان، فإذا سكتا سكت عنه البكـاء، وإذا غنّتا بكى ـ فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكتا يشير إليهما أن تغنيا، فيبكي أبوه، فأقول: ما حاجته إلى إبكاء أبيه [1].

وقد أورد العمري هذا النص، لكنه تصرف في المادة المنقولة فقد غير بعـض الكلمات وبدلها بكلمات أخرى "[2].

وكان العمري يلجأ في مرات كثيرة إلى حذف الأسـانيد واختـصار المـادة المنقولة وتهذيبها، ونقل ما يحتاج إليه من المعلومات لما لها من إطالة على القارئ، وهو بذلك يقدم المتن على السند، ومن ذلك قوله دون الإشارة إلى الأسـانيد التـي وردت في كتاب الأغاني قوله: "قال أشعب: سمعت الناس يموجون في أمر عثمان، ثم أدركت المهدي، قال: تغدى أشعب مع زياد الحارثي فجاء بصحفة فيها مغيـرة، فقال أشعب للخباز: ضع ذلك على يدي، فقال زياد: من يصلي بأهل السجن، فقالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، فقال أشعب: أو خير من ذلك ؟ قال: وما هو ؟ قال أحلف ألا آكل مغيرة أبداً" [3].

لقد حذف العمري سلسلة السند التي أوردها الأصفهاني: "أخبرنا أحمد، قـال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم، عن المدائني، قال: تغدى أشعب مع زياد بن عبد ا الحارثي، فجاءوا بمغيرة... "[4].

---

[1] الأصفهاني، الأغاني: ج17 / 109.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 10 / ق1 / 174- 175، النص المنقول.

[3] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج10 / ق1 / 125.

[4] الأصفهاني، الأغاني: ج 19، ص 97.

لقد واجه العمري مادة كبيرة كان عليه أن ينتقي منها ما يراه مناسباً لكتابه ولا سيما أنه اختصر في الحوادث كثيراً قياساً بالمادة الضخمة من التراجم التي أوردها في كتابه، فقد انتقى ما رآه في نظره حرياً بالذكر جديراً بالتدوين.

ونستدل على المصادر التي كان العمري ينتقيها دون غيرها مـن الإشـارات التي يضمنها تراجمه، فقد أشار إلى كتاب الكامل في التاريخ إشارة تنبئ بتـصرف العمري بالمادة المنقولة، قال: " وذكر ابن الأثير ما معناه أن نظام الملك لما اتـسع ذيل تحكمه، وتسلط بنوه، وتفرد كل منهم بملك جليل، بعث السلطان إلى نظام الملك، يقول: إن كنت شريكي في الملك، ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكمه "[1].

ولم يكن العمري كما مر ناقلاً وسارداً لبعض النصوص بحرفيتها، بـل كـان يتصرف وفقاً لمنهجه، أو ينقل ما يراه مناسباً لهدفه أو لموضوعه، ومـن الـشواهد على ذلك ما نقله العمري من وفيات الأعيان الذي كان من مصادره المهمـة، وقـد أشار إلى مؤلفه دون عنوان كتابه، وتصرف في المادة المنقولة، فقال: في ترجمـة ابن العميد، ابي الفضل محمد بن ابي عبد ا الحسين بن محمد الكاتب، قـال ابـن خلكان: نعت والده بالعميد لغناه على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم، وكان فيه أدب، وكان ولده أبو الفضل هذا وزير ركن الدولة أبي علي الحـسن بـن بويه، وزر له بعد وفاة الوزير أبي علي التميمي سنة ثمان وعـشرين وثلاثمائـة، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه أحـد فـي زمانه، وكان يسمى الجاحظ الثاني، وكان كامل الرياسـة، جليـل المقـدار، وقـال الثعالبي: كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[2].

ولقد تباينت نقولات العمري ما بين النقل الحرفي والاختـصار والتـصرف، فكان يتبع المنهج الذي يناسب مادته المنقولة، كما تباينت طرائق النقل عند العمري، فقد ترجم لعمرو بن مسعدة واستقى مادته من وفيات الأعيان ؛ وقد توافقت المـادة

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 11 / 174، فقد ورد النص مغايراً بعـض الشيء في كتاب الكامل، دار صادر، بيروت، 1966، ج 10 / 204 – 205.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 11، ص 152.

المنقولة مع النص الأصلي، لكنه لم يشر إلى ذلك البتة، وهو أمر لم يكن شائعاً في كتابه.

ولقد أشار العمري إلى المصادر المدونة التي أفاد منها، وعلل سبب اعتماده عليها، فهي تحظى بأهمية بالغة في التراث، كما تحوي آراء الحكماء وأقوال القدماء، وبذلك يدخل الاطمئنان إلى قارئه فيما نقل واعتمد، لا يتركه يخمن ويقدر فهو يدرك ما قد يتبادر إلى ذهن المتلقي من شكوك، لذا يجيب له على استفساراته قبل طرحها، وذلك لأنه أراد لمصنفه الثقة والدقة في نقل المعلومة.

لقد اتبع العمري طرق مختلفة في نقل المعلومة من المصادر، **منها:**

نقل ما يحتاج إليه من الموضوعات والقضايا والرويات والأخبار والأشعار لفظاً وحرفاً.

ومن المصادر التي يعتمدها العمري في نقل ما يحتاج إليه من موضوعات وأشعار وتحليلها: كتاب أنموذج الزمان لابن رشيق ؛ فقد أورد ابن رشيق في ترجمة حسين بن علي الصيرفي، قال: "كان شاعراً حسن الاهتداء قليل المدح، والهجاء، ملوكي الشعر، جيد التشبيه، صاحب ملح وفكاهات، أشبه الناس طريقة في الشعر بكشاجم" [1].

وقد أفاد العمري من هذه الترجمة، وأورد في كتابه ما نصه: ابن رشيق فيه:[2] "شاعر مستفيض المعاني، حلو الألفاظ، سلس الطبع، طيار الشعر، خفيف أرواح الكلام، يصير بالمعنى، قدير على استخراجه حسن المناقشة والمفاتشة".

نلاحظ أن ما ينقله العمري عن ابن رشيق هو ما يتعلق بالأحكام سواء أكانت الشعراء أم انتاجهم الشعري، وأغراضهم، هذا بالإضافة إلى الوقوف عند بعض القصائد وتحليلها وإصدار أحكام عليها من قبل النقاد، يورد العمري ذلك في تراجمه.

قال ابن رشيق: يطالب البديع، ويحب التصنيع، ومما أنشده له قوله:

---

[1] ابن رشيق، أنموذج الزمان: 221.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق1 / 217.

يا دهر مالك لا ترثي لمكتئبٍ ما بات منك خلياً قط من كرب

قال: وهذا كلام يظهر عليه التوجع والتفجع، وتشوبه رأفة الإشفاق، ورقة الاشتياق، حتى تدر عليه الجفون بحاب الشؤون، وليس يخفى على أحد ممن يعرف الكلام حسن هذا.

وقد لجأ إلى ذلك في ترجمة عمر بن بزيع [1]، استقى معلوماته من الجهشياري، الوزراء والكتّاب، ولكنه لم يشر إلى ذلك.

ومن الملاحظ أن المصادر التي ترد معماة في بعض التراجم كان العمري قد أشار إليها في مقدماته، فأشار إلى كتاب ابن خلكان في عدة مواضع وأشار للجهشياري في مواضع عدة وغيرها من الكتب التي سبقت الإشارة إليها.

أشار العمري إلى مصدره في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم الأموي مولاهم، قال: وقد استفتح به ابن سعيد شعراء المغرب في المرقص والمطرب.

"قال: هو بالأندلس إمام أدبائها، وفارس شعرائها " [2].

وقد وردت الترجمة في المرقصات والمطربات كالآتي: "إمام أهل أدبها بالأندلس، ومضيفها وفرسان شعرائها " [3].

ونلاحظ أنه اعتمد في نقل بعض الأبيات الشعرية على كتاب المرقصات والمطربات، وقد أشار إلى ذلك، ففي ترجمة يعقوب بن ادريس اليهودي قال [4]:
أورد ابن سعيد له في المرقص قوله: وقد يبق طيره طير العزيز:

طائرك السابق لكنه جاء وفي خدمته حاجب

أما ما ورد في المرقصات والمطربات لابن سعيد قوله: "وقد سبق طيره طير العزيز:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:11 / 23، الجهشياري، الوزراء والكتّاب، 173، ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة 2/ 318.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق1 / 12.

[3] ابن سعيد، المرقصات والمطربات، ط، 1973، دار حمدو محيو، ص 75.

[4] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق1 / 123.

قال لأمير المؤمنين الذي		له العلا والمثل الثاقب
طائرك السابـ ـق لكنــ ـ ـه		لم يأت إلا وله حاجب

وكان العمري يتصرف في نقل الأشعار، فقد يحذف بيتاً أو عدة أبيـات فـي النص الشعري، وينتقي الأبيات التي يرى أنها تكشف عن جوانب الشخصية المترجم لها.

ولم يكن العمري يعنى بالمحافظة على ترتيب الأبيات التي ينقلها، ذلـك انـه ينتقي منها ما يخدم غرضه في الترجمة، فقد ترجم لإدريس بن اليمـان العبـدري، واعتمد في ترجمته على كتاب الذخيرة لابن بسام، وقد تصرف في المادة الـشعرية المنقولة حذفاً وترتيباً وتقديماً وتأخيراً، ووازن بين الأشعار وموضوعاتها. يقول نقلاً عن ابن بسام: "وبدانيه قرأ، وبها نشأ، ومنها انبعث انبعـاث الـسيل، وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب على قدره، وماجت الأرض ببحره، وطفق يتردد على ملوك الطوائف بالأندلس تردد الكأس على الشرب، ويجري في أهوائهم جري الماء في الغصن الرطب، وكان كلما قال قصيدة لا يضرب عليها حجابـاً، ولا يـضمنها كتاباً حتى يأخذ بها مائة دينار. وقد سأله عباد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها السينية التي مدح بها آل حمود، فقال له إشارتي مفهومة، ونبات صدري كريمة، فمـن أراد أن ينكح بكرها، فقد عرف مهرها "[1].

وقد اخترت من أشعاره ما يشهد بسمو مقداره ويعرب عن غرائب أخباره[2].

ونلاحظ أن العمري قد أشار إلى اختيارته الشعرية وعلل لنا سبب اختياره هذه الأشعار دون غيرها، لأنها تشهد بسمو مقدار المترجم له، وتعـرب عـن غرائـب أخباره، وبذلك يكون العمري قد اختط لنفسه منهجاً في اختياره للأشعار.

إن مقارنة ما أورده العمري في ترجمة إدريس بن اليمان العبدري نقلاً عـن الذخيرة، بما ورد في نسخة الذخيرة التي انتهت إلينا، تُشير إلى أن العمري قد حذف بعض العبارات والتراكيب من الترجمة، وصار شعره سمر النادي، وتعلّة الحـادي، وتمثّل الحاضر والبادي، أيضاً حذف، وقد سأله عباد في بعض رحله إليـه، علـى

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق1 / 57.
[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج17 / ق1 / 57.

كثرة بوائقه وشكاسة خلائقه، ثم بعد ذلك أورد له مجموعة من الأشعار كان ينتقيهـا انتقاء ما بين الأشعار الواردة في الذخيرة[1].

لقد وقف العمري مطولاً أمام الشخصيات التي ترجم لها، فقـد اطلـع علـى تراجمهم وأدرك حقيقة سيرهم، لكنه لم ينقل كل ما وجده، بل كـان يـنقح مادتـه ويلخصها، فينقل ما يراه حرياً بالذكر، أو ما يتناسب مع هدفه الأدبي، ذلك أنه كـان يعنى عناية خاصة بالإبداع الأدبي للشخصية المترجم لها، فقد ترجم لابـن اللبانـه واعتمد الذخيرة في ترجمته، فقد حذف نصوصاً كاملة وانتقى مادته انتقاء، قال: وقد ذكره ابن بسام، وقال: "شاعر يتصرف، وقادر لا يتكلـف، مرصـوص المبـاني، ممتزج الألفاظ والمعاني وكان من امتداد الباع، والانفراد في الانطبـاع، كالـسيف العقيل والصدع المنحدر المسيل، لو كانت تفي ببيانه، لكان أشعر أهل زمانه ".

وتردد أبو بكر على ملوك الطوائف تردد القمر على المنـازل، وحـلّ مـن سلوكها محل الحلي من صدور العقائل، وخيم آخراً في ذرى المعتمد، وكان أصدقهم نوءاً، وأبهرهم في مطالع السؤدد ضوءاً. فلما صار إلى المغرب، وحلّ فيـه محـلّ المضطرب، وغدرت به الأيام غدر أهل خراسان بقتيبة، ووفا له بالرحلة إليه وفـاء الظغينه بعتيبه. فلما انفصلت حواشي ظلّه، وأنكره أكثر أهله، وفد عليه أبو بكر وهو في يد تلك المحنة، فنازعه بؤسها، وعاطاه كؤوسها، ومدحه للوفاء أحسن مما مدحه للغناء [2].

أما ما ورد في الذخيرة، فكانت الترجمة كالآتي: "كـان أبـو بكـر شـاعراً يتصرف، وقادراً لا يتكلف، مرصوص المباني، ممتزج الألفاظ والمعاني، وكان من امتداد الباع، والانفراد بالانطباع، كسيف الصيقل الفرد، وتوحد بالإبداع وانفرد، لـو كانت له مادة تفي ببيانه، لكان أشعر أهل زمانه، وكانت أمه امرأةً بـرزةً فارسـة دكّان، وصاحبة مكيال وميزان، وعلى ذلك فقد كانت امرأة صدقٍ وفي حرفتها على

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق1 / 56-60، ابن بسام، الـذخيرة: م1 / ق3 / 336-347، كان ابن بسام يشير على موضوعات الأشعار مثلاً في النسيب وما يناسبه، في صفة الخيل، ومن شعره في المديح، في وصف الحمامة.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق1 / 151-152.

ما بلغني صاحبة حق، مشتغلة ببيع لبنها، مقبلة على ما يعنيها من حال زمنها، حتى غلب اسم اللبن عليها، ونسب أولادها به إليها، وكانت لأبي بكر وأخيه عبد العزيـز همة تعرضهما للصدور، وتترامى بهما إلى معاني الأمور، إلى أن أبا بكـر كـان أوسعهما في الأدب مجالاً، وأكثرهما على ضعة الشعر إقبالاً، ومال عبد العزيز إلى التجارة فحسنت طريقته، وحمدت خليقته، وكان له مع ذلـك أدب دل علـى نبلـه، وشعر يستحسن من مثله، إلا أنه لم يرضه مكسباً، ولا اتخذه إلى أحد مـن الملـوك سبباً، فذهب عن أكثر الناس ذكره، ومات قبل موته شعره.

وأما أبو بكر فتردد على ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس تـردد القمـر فـي المنازل، وحلّ من ملوكها محل الحلي من صدور العقائل، يـسحب علـى دولهـم، ويقلّب الطرف بين خيلهم وخولهم، وخيم أخيراً في ذري المعتمد بن عبـاد إذ كـان أصدقهم نوءاً، وأبهرهم في مطالع السؤدد ضوءاً... "[1].

وكان العمري في أغلب نقولاته يشير إلى بداية نقله عن مصدر ما باسـتعمال العبارات الدالة على ذلك نحو قوله: "وذكر" في مقدمة النص المنقول، أمـا انتهـاء النقل فيشير إليه بإيراد نص آخر واستعماله لفظاً يدل على بدايـة نقـل جديـد، أو باستعماله كلمة "قلت" وهذا يدل على تحريه الدقة والأمانة العلمية، فالملاحظ علـى نصوص العمري المقتبسة في ثنايا تراجمه أن بعضها يشير إلى نهايـة الاقتبـاس، وبعضها يغفل ذلك، ربما يكون الاغفال حينما يكون الاقتباس ظاهراً وبيناً للقـارئ والإشارة تكون حينما يشعر باللبس وعدم التفريق بين كلامه والكلام المقتبس، فمـن الشواهد على ذلك قوله: في ترجمة أسامة بن منقذ، وقد ذكره العماد الكاتب ذكـراً يوشّح الأعطاف، ويرشّح لفواضل هزاته السلاف، قال: وسكن دمشق، ثم نبت بـه كما تنبو الدار بالكريم، فانتقل إلى مصر، فبقي بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم، إلـى أيام الصالح ابن رزيك، ثم عاد إلى الشام، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا، فأقام بها حتى ملك السلطان صلاح الدين، فاستدعاه وقد جاوز الثمانين انتهى الكلام.

[1] ابن بسام، الذخيرة: م2 / ق3 / 666-667.

قلت: وقدم عليه وقد أمسك الهرم بواعثه، وشد بإمساك العصا له رجلاً ثالثـة، وقد جاوز الثمانين... [1].

ويتقصى العمري الحقائق ويتتبعها ـ وحينما يتعذر الأمر عليه، يجتهد ويقدر اعتماداً على زمانه وأوانه.

ومما يدل على ذلك ما جاء في ترجمة أبـي نـصر، إسـماعيل بـن حمـاد الجوهري، قال ياقوت الحموي: "وما وقع له من حسن التصنيف، ثم قلـت: ومـن العجب أني بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شافياً، وسألت عنها الواردين من نيسابور، فلم أجد مخبراً عن ذلك، فقال لي: لقد بحثت قبلك عن ذلك فلم أر مخبراً عنه، فلمـا كان من غد ذلك اليوم جئته، قال لي: ألا أخبرك بطريفة إني رأيت في بارحتنا فـي النوم قائلاً يقول لي: مات اسماعيل بن حماد الجوهري سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولعمري وإن كان المنام ما لا يقطع به ولا عمل عليه، فهذا بلا شك زمانـه، وفيـه كان أوانه" [2].

كما يشير إلى اختلاف الروايات التي ينقلها، ويرجح بعـضها علـى بعـض، ويعتمد على غيره من العلماء، لكنه في النهاية يظهر الأرجح، فلا يكتفـي بروايـة واحدة، بل يتقصى جميع الروايات حتى وان شك في بعضها، وذلك ليفرد أمام قارئه جميع الآراء المتوافقة والمتضاربة، ثم يدلي بدلوه ويترك له الخيار، ومن ذلك مـا ورد في ترجمة أبي الأسود الدؤلي.

قال:.......... فقوم له أمير المؤمنين علي رضي ا عنه ذلك المناد، وعـاد صلاحه على ذلك الفساد، وعلمه كلمات بها تاب.... ويروي أن الـذي قـال لـه: الكلمات ثلاث لم يزده عليها، وقال بعضهم قال له: الكلمات ثـلاث: اسـم وفعـل وحرف. وقال آخرون: قال له: اعلم أن الكلمات ثلاث لا يمكن الزيـادة عليهـا ولا النقص منها وهي: اسم وفعلٌ وحرفٌ، وقد زعم كثير أنه إنما استأذن في ذلك زيـاد

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 16 / 22.

[2] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج7 / 61، ياقوت، معجـم الأدبـاء: ص2 / 658.

بن أبيه، فقال له هذا الكلام، والأول أثبت لصحبته لعلـي رضـي ا عنـه، ولأن الحكمة منه أشبه[1].

ويربط العمري ربطاً وثيقاً بين هدفه للترجمة والمصدر الـذي يـستقي منـه المعلومة، فإذا كان المصدر قد حقق له الغرض الذي يصبو إليه من الترجمة اكتفى بمصدر واحد في الترجمة الواحدة، أما إذا اعتراه الشك في المعلومة، وشعر بالنقص حول المترجم له، زاوج بين المصادر التي ترفد بعضها البعض من أجـل اكتمـال الغرض الذي أراده.

ومن التراجم التي اعتمد فيها على مصدر واحد ترجمة أعـشى بكـر[2]، وقـد اعتمد على ابن سعيد حيث قال: "وقال ابن سعيد: أكثر ما وقفت عليه من أوصـافه الخمرية التي اشتهر بها أعرابية يخرجها جفاء نمطها عن المـرقص، وإن كانـت حسنة التشبيه وأقرب ما له من ذلك قوله

تريك القذى من دونهـا وهي دونه   إذا ذاقهـا مـ ـن ذاقها يتمطّق

ترى الجود تجري ظاهراً فوق وجهه   كما زان متن الهندواني رونق

قال ابن سعيد: وبهذا البيت الأخير لاحق بالمرقصات، وما جرى هذا المجرى، وهو واقع في شعر العرب فإنه مرقص"[3].

ونلاحظ أن العمري في هذه الترجمة، قد اكتفى بما نقله عن ابن سعيد، وذلـك لأنه المصدر الأساس الذي اعتمد عليه، وعالج الغرض الذي أراده العمـري مـن ترجمته، فقد أشرنا سالفاً إلى غرضه الأدبي حيث ركز العمري علـى مـا انتجتـه قرائحهم الأدبية ولا يفوتنا تركيز ابن سعيد على ذلك.

ويقف العمري من تراجم المؤلفين السابقين الذين يعتمد عليهم فـي الترجمـة لأعلام كتابه موقف الناقد، فيبدي الملحوظات والتعليقات عليها ومن ذلك ما جاء في

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج7 / 90-91.

[2] هو ميمون بن قيس بن جندل ينتهي نسبه إلى قبيلة بكر، ولذا يقال له أعش بكر تمييزاً، عـن أعشى باهله، انظر: ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد محمد حسين، مؤسـسة الرسـالة، 1983، ص 17.

[3] ابن سعيد، المرقصات: 24-25.

ترجمته لطبني نقلاً عن ابن بسام ثم تلاه بترجمة، قال: ابن أخيه علـى بـن عبـد العزيز بن زيادة ا ، لم يفرده ابن بسام بذكر، ولا جاء به إلا في ذيل عمه مـروراً على الطريق الفكر وأظنه استغنى عن تفصيل ذكره بقوله الجملي عند ذكره عمه من أهل بيت اشتهروا بالشعر، ولئن كان فقد اكتفى بدرة غالية السعر، ورأيتـه حيـث الظن أجاده وفوقه زيادة ومما أنشد له ابن بسام قوله:

كم بالهوادج بين البين من رشأٍ　　　يهفو عليه وشاح حائلٌ قِلِقُ [1]

وتتباين تراجم العمري طولاً وقصراً، وذلك لا يتأتى من كثرة المصادر التـي يعتمد عليها العمري، فأحياناً يطيل الترجمة رغم اعتماده على مصدر واحـد، وقـد ظهر ذلك جلياً في تراجم المغنيين: فمن الـشواهد علـى ذلـك ترجمـة ابـراهيم الموصلي[2].

وقد أطال العمري ترجمته رغم اعتماده على مصدر واحد، وهـو ا لأغـاني لأبي الفرج الأصفهاني، ويرجع ذلك إلى طبيعة شخصية المترجم له وحظـه مـن الترجمة عند ممن نقل عنه العمري، كما يضع العمري في الحسبان وفـرة الإنتـاج الأدبي أو الفني للمترجم له، أو جوانب عدة من سيرته.

ومن التراجم المقتضبة التي اعتمد فيها العمري على مصدر واحد ترجمة ابن عباد الكاتب[3]، قال العمري في حقه: "جمع الصنعتين فأبدع، وفاق فيهما لكنه سر من رأى دون سروره من أسمع، كان في الغناء للخاب خالياً، وللب سـالباً، والـسرور جالباً وللهم الذي شد خناقه على الصدور غالباً، وله طرف تحكى، وغرائب تروى، آثار تنقل، وأصوات تطرب"، ثم نقل عن أبي الفرج الأصفهاني جزاء من ترجمته"[4].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج 17 / ق2 / 48، ابن بسام، الذخيرة: ق1 / م1 / 547.

[2] هو ابراهيم بن ميمون بن بهمن الموصلي، أشهر المغنيين في العصر العباسي، تـوفي سـنة 188 هـ. الأصفهاني، الأغاني: 5/ 106.

[3] وهو أبو جعفر محمد بن عباد مولى بني مخزوم: من مغني الطبقة الثانية في العصر العباسي، الأصفهاني، الأغاني: 6/ 405

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق1 / 162، الأصفهاني، الأغاني: ج6 / 405 – 406.

لا نستطيع أن نغفل اطلاع العمري على المصادر المتخصصة لكل طائفة قـد ترجم لها، فهذه المعرفة الدقيقة لدى العمري جعلته يمايز بين المصادر التي يـستقي منها معلوماته، وقد ظهر ذلك جلياً في مقدماته التي كانت بمثابة لوحة أدبية نقديـة، قد شرح فيها النهج المتبع في ترجمة كل طائفة، فقد أشرنا إلـى ذلـك سـلفاً ولأن العمري يقيم المصادر، ويقيم معها علاقة وثيقة، يرجع في بعض مصادره إلى أكثر من مصدر، وذلك لأنه يعتقد بأهمية المعلومة في كلا المصادر التي اسـتقى منهـا، وذلك يدل على معرفة العمري لهذه المصادر واطلاعه عليها، وتقدير جلها، فيأخـذ من كل منها بطرف، حتى تكتمل الترجمة التي أرادها.

فمن الشواهد على ذلك ترجمة أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بـن بـشار الأنباري النحوي، قال: "قال ابن خلكان: كان علاّمة وقته في الأدب، وأكثر النـاس حفظاً لها، وكان صدوقاً ثقة، ديناً خيراً، من أهل السنة، وصنف كتباً كثيرة" [1].

وذكره الخطيب في تاريخ بغداد فأثنى عليه وقال: "بلغني انه كتب عنه وأبـوه حي، وكان على ناحية من المسجد، وأبوه من ناحية أخرى، وكان أبوه عالمـاً فـي الأدب موثوقاً في الرواية، أميناً، سكن بغداد " [2].

ونلاحظ أن العمري قد رفد معلوماته التي استقاها من ابن خلكـان بمعلومـة أخرى قد استقاها من الخطيب البغدادي، وهذا يدل على تقصيه لأخبار المترجم لـه في جميع المصادر التي ترجمت له، فهو لا يقنع بالمعلومة الأولـى، بـل يبحـث ويمحص وينتقي ما يناسب غرضه، وهو بذلك يرتب مصادره تبعاً لزمانها، وفنونها فقد وضع معاييراً وأسساً لترجمة كل طائفة، واعتمد لكل طائفة مصادرها الخاصـة بها، فهذه الدقة في فصل المصادر وتخصصاتها تبعاً لزمانها وفنها لا تتأتي إلا للعالم الحاذق صاحب الرؤية الثاقبة المطلع على العصور وفنونها.

ومن التراجم التي ينتقي معلوماته حولها من مصادر متعددة في ترجمة أبـي شجاع شاور بن مجير ابن نزار بن مولد أبي ذؤيب عبد ا وهو والد حليمة مرضع

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان: 4/ 341، العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج7 / 133.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 3/ 400، مسالك الأبصار: 7/ 133.

رسول ا صلى ا عليه وسلم [1]، يقول العمري: قال ابن خلكان: "كان الصالح بن رزيك قد ولاه الصعيد الأعلى، ثم ندم على توليته، وكان الصالح يعد لنفسه حين جرح وأشرف على الموت ثلاث غلطات: احداهما توليته شاور..."[2]، ثم ذكر مصادر آخر في الترجمة نفسها، قال: "وذكر ابن شداد في سيرة صلاح الدين: أن شاور المذكور خرج إلى أسد الدين في موكبه فلم يتجاسر عليه أحد إلا صلاح الدين فإنه تلقاه وسار إلى ركابه وأخذ بتلابيبه، وأمر العسكر بقصد أصحابه، ففروا ونهبهم العسكر، وأنزل شاور في خيمة مفردة... "[3].

وأشار إلى مصدر آخر قائلاً: "وذكر ابن عساكر: أن شاور وصل إلى نور الدين مستجيراً فأكرمه واحترمه وبعث معه جيشاً فقتلوا خصمه، ولم يقع منه الوفاء بما ورد من جهته، ثم إن شاور بعث إلى ملك الفرنج واستنجده، وضمن له أموالاً، فرجع عسكر نور الدين، وحدث وحدث فتملك الفرنج نفسه بملك مصر طامعاً فتوجه إليها بعد عامين راغباً في انتهاز الفرصة..." [4].

كما أشار إلى مصدر ثالث اعتمد عليه في الترجمة نفسها، قال: وللفقيه عمارة اليمني في شاور مدائح منها قوله: (الكامل)

ضجر الحديد من الحديد وشاور ... من نصر دين محمد لم يضجر

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان كفر

"وحكى الفقيه عمارة أنه لم أتم تشاور الأمر، وانقرضت دولة بني رزيك جلس شاور وحوله جماعة من أصحاب رزيك وممن لهم عليهم إحسان وإنعام، فوقعوا في بني رزيك تقرباً إلى قلب شاور، وكان الصالح ابن رزيك وابنه العادل قد احسنا إلى عمارة عند دخوله إلى الديار المصرية..."[5].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 11/ 296، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: 2/ 443، الصفدي، الوافي بالوفيات: 16 / 95.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان: 2/ 439، العمري، مسالك الأبصار: 11 / 296.

[3] ابن شداد، النوادر السلطانية: 39، العمري، مسالك الأبصار: 11 / 297.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق: 57 / 122، العمري، مسالك الأبصار: 11 / 297.

[5] عمارة اليمني، النكت العصرية: 82، العمري، مسالك الأبصار: 298/11.

خطة العمري في النقل عن المصادر وأنواعها:

يكشف العمري بحسه الأدبي الشفّاف عن بعض الجوانب الأدبية المضيئة من انتاج أصحاب التراجم، فينقل ما أثر عنهم من أخبار وحوادث يراها حرية بالذكر والتدوين، معتمداً في اختياره على الاجتهاد الأدبي الدقيق بروح الأديب الفنان، فكان لذوقه الفني دور بارز في انتقاء مصادره التي تباينت في الترجمة الواحدة، كما كان لاتساع النطاقين الزماني والمكاني للفئات المترجم لها وتعددها، أهمية بالغة الأثر إذ توفرت له مصادر التراث العربي والإسلامي منذ بداية التأليف حتى القرن الثامن الهجري، وهو تراث هائل وغني.

وهو ينطلق في ذلك معتمداً على التخصص التأليفي، فجعل لكل فئة من الفئات التي ترجم لها مصادرها الخاصة، فمن الطوائف التي ترجم لها المغنون، وقد أشار إلى مصادره، حيث وقع اختياره على أهم ما سجل لتاريخ هذه الطائفة، وقال: "وممن يعد من الحكماء، أهل الموسيقى إذ هو من الطبيعي، وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب الإماء، وممن ذكره ابن ناقيا النحوي البغدادي في كتاب المحدث، ثم ذيلت ذلك بما نظرته في الكتب، والتقطه منها التقاط الفرائد من السحب..."[1].

فقد رتب مصادره وفقاً للتخصص التأليفي، وأهميتها ركز العمري في موسوعته على ذكر المصادر التي استقى منها مادته بشكل واضح.

المصادر المُدونة: المشرقية والمغربية، ومنها من رتبه على حسب الفنون، فقد اعتمد في تراجمه لأصحاب كل فن على مصادره الخاصة به، ذلك أنه رتب تراجمه وفقاً لتخصصاتهم، فقد ترجم لحفظة ألسنة العرب (النحويين واللغويين وأصحاب البيان)، وجعل لهذه الطائفة مصادر خاصة بها، فقد أشار إليها في متن التراجم، ففي ترجمة أبي الحسن، النضر بن شميل التميمي المازني، قال: "قال ابن خلكان: كان عالماً بفنون من العلم، صدوقاً، ثقة، صاحب غريب، وفقه، ومعرفة بأيام العرب، ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد [2] "، ولعل هذا الكتاب (وفيات

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 10 / ق1 / 11.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 18، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 5/ 397.

الأعيان) من أشهر كتب التراجم عامة سواء منها ما تخصص في تراجم أبناء بلد بعينه أو ما اشتمل على تراجم عامة بغض النظر عن الزمان والمكان، وهذا الكتاب وأمثاله لا يستطيع التوفر على تصنيفها إلا العلماء من أولي العزم للصبر الذي يحتاج إليه مؤلفه، فضلاً عن سعة في العلم وتبحر في الآداب وتمكن من اللغة ومعرفة بالتاريخ وثقة في الرواية وحسن سمعة بين الناس.

كما أشار في ترجمة أبي علي الحاتمي، واسمه محمد بن الحسن بن المظفر، الكاتب، اللغوي، البغدادي: إلى كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، قال: "قال ياقوت الحموي: أدرك الحاتمي ابن دريد، وأخذ عنه وهو من حذاق أهل اللغة والأدب، شديد العارضة، وكان مبغضاً إلى أهل العلم، فهجاه ابن الحجاج وغيره بأهج مرة، وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة"[1]. ومن المصادر التي أشار إليها في ترجمة أبي زكريا، يحيى ابن علي ابن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب، قال: وأثنى عليه السمعاني وعدد فضائله، ثم قال: ما كان بمرضي الطريقة وذكر عنه أشياء ثم قال: لكنه كان ثقة في اللغة، وما كان ينقله، وله المصنفات المشهورة المفيدة، وكان قد دخل مصر في عنفوانه وقرأ على ابن بابشاذ ثم عاد إلى بغداد، واستوطنها حتى مات". [2]

وتحظى بعض المصادر بعناية فائقة لدى العمري، فيتفحصها ويتعرف على مضمونها فمن المصادر التي أشار إليها في أكثر من موضع وفي أكثر من اسم حيث يطلق على كتاب معجم الأدباء اسم آخر هو ارشاد الأريب في معرفة الأديب، وذلك لم يفت العمري فقد أشار إلى اسميه في تراجمه، ففي ترجمته الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفرهودي، الأزدي، أبي عبد الرحمن[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 65، ياقوت، معجم الأدباء: 6 / 505.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج7 / 70، السمعاني، عبد الكريم ابن محمد، الأنساب، تحقيق عبد ا البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988: 1/ 446.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 7 / 99.

قال: "وقد حكى صاحب بغية الألباء في ذلك عن عبد ا بن المعتز: أن الخليل مر في سكة القصارين بالبصرة، فسمع دق الكوادين بأصوات مختلفة فوقف يـسمع اختلافه ثم قال: وا لأضعن على هذا المعنى علماً غامضاً فوضع العروض" [1].

لقد جمع ياقوت في كتابه أخبار النحـويين والغـويين، والنـسابين والقـراء المشهورين، والأخباريين، والمؤرخين، والوراقين المعروفين والكتّاب المـشهورين، أصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط، وينقسم الذين ترجم لهم يـاقوت إلـى رجال قابلهم وعاشرهم، ورجال لم يقابلهم، وبذلك يكون صاحب هذا المعجم لا غنى عنه لباحث في التراث العربي، فهو مصدر لكل باحث ومعاصر [2].

ومن المصادر التي أشار إليها العمري في متن تراجمه كتاب خريدة القـصر وجريدة العصر، للعماد الكاتب الأصفهاني، وقد ورد في ترجمة ملك النحـاة أبـي نزار، الحسن بن أبي الحسن النحوي، قال: "وقال فيه العماد الكاتب: أحد الفـضلاء المبرزين بل وأحدهم فضلاً، وما وجدهم نبلا، وكبيرهم قدراً، ورحيبهم صدراً قـد غلبت عليه سمة ملك النحاة، وسهرت بفضله ألسنة خلافه وعداه، سمح البديهة فـي المقاصد النبيهة، كثير الأبية عن المطامع الدنيـة بالمطالـب النزيهـة، والمراتـب الوجيهة... قال العماد الكاتب: كتب إلي لما أخذت المدرسة بدمشق أنا أهنـئ تلـك المدرسة بخصائص فلان، فإنها زالت عنها ظلمة الجهل إلى نـور الفـضل، وأنـا بمشيئة ا وحسن توفيقه على عزم المصير إلى زيارته يوم الثلاثاء"[3].

كما تبدو أهمية تراجم العمري في نقله عن مصادر فُقدت أجزاء منها، كان قد اعتمد عليها، فتغدو بذلك هي الوثيقة الوحيدة، ومنها ما أورده العمري في ترجمـة محمد بن الحسين الجفني البغدادي، فقد أشار إلى تاريخ إربل لابن المستوفي، حيث

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7 / 99، ياقوت، معجم الأدباء: 3/ 1269.

[2] انظر: اسماعيل، عز الدين المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 253 – 258، الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغـة والمعـاجم والأدب والتراجم: ص 165، الشكعة، مصطفى مناهج التأليف عند العلماء العـرب، قـسم الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، شباط 1973، ص 557- 569.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 156، العماد الأصفهاني، خريدة القصر: 92/1/3.

قال: "وذكره ابن المستوفي، وقرأ على ابن الشجري، وأقرأ النحو والقرآن، وتـوفي سلخ رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة" [1].

لم يأل العمري جهداً في تقصي المصادر التي تناولت الشخصيات التي تـرجم لها، فقد حاول جاهداً الاطلاع على أكبر عدد ممكن من مصادر ممن سبقوه وممـن عاصروه، وكان لا يتحرج في الإشارة إليهم والنقل عنهم، فقد كانت أمانته العلميـة تفرض عليه أن يعترف بفضل الآخرين عليه، فقد أشار في ترجمة ابن عدلان أبي الحسن علي بن عدلان بن حماد بن علي الموصلي، عفيف الـدين، قـال: "وذكـره اليونيني في الذيل، قال: كان عالماً، فاضلاً، أديباً، متفنناً، شاعراً، ومولده بالموصل في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمـانين وخمـسمائة وتـوفي بمصر يوم الجمعة تاسع شوال سنة ست وستين وستمائة" [2].

كما أشار في متن تراجمه إلى كتاب أعيان العصر، للصفدي ومن ذلك ما في ترجمة علي بن داود بن يحيى بن كامل بن يحيى بن جبارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جنادة بن محمد بن زكرى بن كليب بن جميـل، قـال: "وقال أبو الصفاء الصفدي: وله التندير الحلو والنديب الرائق يكثر مـن ذلـك فـي كلامه، ويشحن إشغاله الطلبة بالزوائد، ويورد لهم النـوادر والحكايـات الطريفـة والوقائع الغريبة المضحكة" [3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 174، ابن المستوفي، شرف الدين المبارك بن أحمد، تاريخ إربل، تحقيق سامي الصفار، وزارة الثقافة والإعلام، بغـداد 1980، فقـد نقـل العمـري مجموعة من النصوص من الكتاب، وكانت هذه النصوص من المفقود من تاريخ إربل، ورد في صفحة 174، 178، 180، 182، 183، 186، 188، 210، 211، 215، 223، 224، 225، 230.

[2] اليونيني، قطب الدين موسى، ذيل مرآة الزمان، مطبعة دار المعارف العثمانية حيـدر آبـاد الدكن، 1954م: 2/ 392، العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 232 – 233.

[3] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، دار الفكـر، بيـروت، 1997: 357/3، العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 249.

وينتقي العمري مصادر معلوماته تبعاً للغرض الذي أراده من التراجم، يطلع على المصادر التي ترجمت لشخصياته، ثم ينقل من المصدر الذي يوافق غرضه، لذا نلمح في تراجمه تنوع المصادر وتعددها.

قد تتوافق المصادر في بعض الشخصيات المترجم لها، وقد تختلف في بعض المصادر قد نقل منها مرات ومرات، وبعضها يقتصر على شخصيات معدودة، وذلك يعني بأن العمري لم يسرد ما يجده لدى المؤلفين الذين سبقوه بهذا الفن، بل ينتقي ما يتناسب مع مادته، أورد في ترجمة: محمد بن جعفر، أبي عبد ا القزاز التميمي، قال: "قال ابن رشيق: كان الغالب عليه النحو، واللغة، والافتنان في التأليف وله شعر ربما جاء به وفاكهة وممالحة من غير تحصر له ولا تجفل، فبلغ بالرفق والدعة أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني، وتوكيد المباني، علماً بمفاصل على الرحبة والسعة أقصى ما يحاوله الكلام وفواصل النظام"[1].

نلاحظ أن الاختيار والنقل جاء مركّزاً على الترجمة الأدبية، حيث تظهر أدبية الأديب وبراعته وما جادت به قريحته.

وافق العمري ما بين الشخصية المترجم لها، وبين المصدر الذي استقى منه، ففي ترجمة اسماعيل بن خلف بن سعد بن عمران الأنصاري أبي الطاهر، المقرئ النحوي الأندلسي، السرقسطي، فقد اختار لهذه الشخصية الأندلسية مصدراً أندلسياً، فقال: "وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة وأثنى عليه وعدد فضائله، وتوفي يوم الأحد مستهل المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة"[2].

ومن المصادر التي أشار إليها اشارة وافية في مقدمة ترجمة أرباب المعاني والبيان، قال: "وقد ذكر ابن أبي الأصبع في كتابه "تحرير التحبير" أن ابن المعتز، وقدامه أول من اعتنى بعلم البديع، قال –ما معناه- إن ابن المعتز هو الذي سماه بالبديع، واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب، وهي الاستعارة منفرداً

---

[1] ابن رشيق، أبو علي الحسين، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991: ص 365، العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 429.

[2] ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، الصلة، الدار المصرية، القاهرة، 1966، ص105، العمري، مسالك الأبصار: ج7 / 269.

بها، على أن قدامه قد ذكرها في العيوب في ضمن المعاطلة لأنـه قـال: ولا أرى المعاطلة إلا ما حسن في الاستعارة فاقتـضى كلامـه أن مـن الاسـتعارة حـسناً وقبيحاً..." [1].

ونلحظ الأمانة العلمية التي عرف بها العمري في تراجمه من خلال الإشـارة إلى المصدر، وإلى نوعية النقل، فحينما يختصر يشير إلى ذلك بقرينه فقـال، مـا معناه.

ومن المصادر التي أشار إليها العمري في ترجمته لفئة حفظة ألسنة العـرب كتاب "محاضرات الأدباء"، للراغب الأصفهاني، ففي ترجمة أبي عثمان، الجـاحظ، يقول: "وذكره أبو القاسم الراغب في كتاب المحاضرات في كثـرة آيـات الأنبيـاء وقلتها..."[2].

ولم تكن مؤلفات المترجم له بمنأى عن العمري، بل كان يطلع عليها، وينقـل منها إذا استدعى الأمر، فكان كتاب البيان والتبين للجاحظ من مصادره التـي أفـاد منها في ترجمة الجاحظ نفسه وإلى ذلك يشير بقوله: وقال الجاحظ في كتاب البيـان والتبين: "وقد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها أو خالف أحد شطريها للآخر، وقد رأينـا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس" [3].

كما أشار إلى زبدة الحلب لابن العديم في ترجمة أبي محمد، عبد ا بن سعيد بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي، قال: "وقد ذكره ابن العديم منه شذوراً وبلغ بها أماني كأنما وفي بها نذوراً" [4].

---

[1] ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد العدواني، تحرير التحبير، القاهرة، 1956: ص 60، العمري، مسالك الأبصار: ج7 / 353.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء: 445/2 ت، العمري، مسالك الأبصار: ج7 / 466.

[3] الجاحظ، البيان والتبين: 60/1، العمري، مسالك الأبصار: 7/ 471.

[4] ابن العديم، زبده الحلب: 36/2، العمري، مسالك الأبصار: 480/7.

2.2 المصادر الشفوية:

ظلت الرواية الشفوية تحظى بمكانة عالية، على الرغم من انتـشار التـدوين بشكل واسع، بسبب ما تميزت به من خصائص كالدقة والضبط، فضلاً عن أنها تقليد علمي لكبار العلماء السابقين، ولذلك اهتم العلماء بالحفظ وكان من صفة العالم الكبير أن يكون حافظاً، ومن ثم ألف العلماء الكتب المعنية بالحفاظ على مدى التاريخ.

إن عناية العمري بالتخصص والمعاصرة في انتقاء الروايات التاريخيـة مـن الموارد، قد أعطت أهمية كبيرة لكتابه، إذ حفظ لنـا عـدداً كبيـراً مـن التـراجم والنصوص التي لم تصل إلينا إلاّ من خلال كتابه.

وقد اعتمد العمري في مصدره هذا على العلماء الذين عاصـروه، والـشيوخ الذين أخذ عنهم معارفه، فكان يقدم المعلومات التي استقاها مـن هـؤلاء العلمـاء بعبارات قد ظهرت جلية في موسوعته مثل: أخبرني، حدثني، حدثنا، وقـال لـي، وذكره... كما نلمس من خلال إيراده لبعض من اعتمد عليهم في الترجمة اعترافـه بفضل الآخرين، وتقديره لجهودهم، ومن ذلك ما أورده في ترجمة محمد بن إبراهيم التجاني البجلي:[1] وقد ذكره شيخنا أبو حيان، وأثنى عليه بما لا تذهبه الأحيان.

تتباين مصادر العمري في المشافهة لبعض الأحداث التي ينقلها قائمة على المشاهدة وشهادات الآخرين والمعاصرة، ورد في ترجمة البحراني.

ومن ذلك أيضاً قوله: وحكى لي المجير أبو القاسم بن مبشر الخولاني، قـال: لما شغرت وظيفة الخطابة بدمشق تطلع كل متعين إليها، فقال والدك: مـا لهـا إلا الفزاري وعينه فلما وصل التوقيع الشريف له بعثني به إليه، وهو لا يعلم، ففرح ثم قال: قل له: يا سيدي قد وصلت الوريقة وبقيت الخريقة يعني الخلعة، فأتيت والـدك وبلغته ما قال فضحك ثم أمر بالخلفة فعينت له وجهزت إليه.

واللافت أن بعض من ترجم لهم العمري من معاصريه لا نجد لهم ذكراً عنـد غيره، مما يعد من الميزات التي تكسب الكتاب أهمية كبيرة، فقـد تـضمن تـراجم معاصرة كان العمري أول من دون أخبارها، ومن ذلك في ترجمة الضياء العجمي[2]

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 7 / 89.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج7 / 245.

الذي لم نجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا، كما وردت ترجمة عبد الجبـار بن عدي[1]، ولم نجد له ترجمة غير الترجمة التي أوردها العمري، والأمثلة على ذلك كثيرة[2].

ومن مصادر العمري في ترجمته للمغنيين المعاصرين له الروايـة الـشفوية، وتوضيح تطور الألحان والموسيقى على أيديهم فهو يقول في مقدمة الجزء العاشر: "ورأيت بين القدماء والمحدثين اختلافاً في ألقاب الأنغام التي صنعوا فيها الأصوات، اختلافاً في الأسماء لا في المسميات، وكنت وقفت على كتاب ابن ناقيا في الأغاني، وهو على طريقة القدماء، ولم اجد على طريقة المحدثين ما أرجع إليه ولا أتفهم منه، وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر، عرف بابن زاده الدشتي المشرقي عن هذا ليبنيه لي وهو علم هذا الشأن بالشام، فلجلج ولم يبين، غير أنه قال: إنما غيرت التسميات إذ نشأ التوتي صاحب الأرمل الأربعة والأربعين ضرباً ثم سراج الـدين الخرساني صاحب شيوه وكلاهما من أهل ما وراء النهر، وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري" [3].

مما تجدر الإشارة إليه في هذا القسم ترتيب العمري لمصادره، فقد رتبها ترتيباً راعى فيه الأهمية للمصدر المكتوب ثم الشفوي.

كما نلمح الشكوى من قلة المصادر التي تتحدث عن المتأخرين، فهو يطـرق جميع السبل في الحصول على المعلومة الدقيقة التي يثق بها، لذا نراه يميز تميـزاً دقيقاً بين مناهج المؤلفين الذين ينقل عنهم.

وكان العمري في بعض تراجمه التي يعتمد فيها على الرواية الشفوية، يـشير إلى أنه لا ينقلها نقلاً حرفياً بل يتصرف فيها، وإلى ذلك يشير في قولـه: "أخبرنـي الجمال المشرقي ما معناه: أن أبا كتيله كان يعزف، وزجاجته ما أبرزت، وكانت له معه نوادر تستحسن، ووقائع لا يعرف أنها أحسن، قال: ومنها أنه لما اشـتد يافعـاً وأصبح لا يراد منه نافعاً، سلك سبيل العتب في الإدلال، وفرط وأفرط في الاحتمال،

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج11 / 15.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج11 / 327- 328.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق2 / 12.

حتى آتى إلى بركة كان قد صنعها النجم يحيى ملونة بالزجاج، ومشققة كالقـصور والجام، وقد أقيمت حروفها وأحكم تأليفها، فأخذ حجراً بيده ورماها به، فثلمها وحط رتبة حسنها وحطمها... "[1].

ويعتمد العمري في الترجمة لمعاصريه على المشافهة والمحادثة والمـشاهدة، ولا نجد في تراجمهم مصادر يشير إليها، فهو أول من دون أخبارهم، ومن الأمثلـة على ذلك ترجمة الكركية، يقول: "حكى لي شيخنا أبو الثناء الحلبي عنها قـال: لـو كنت أستحسن أخرج خيبة لأضحكت به الحزين الثاكل، واقتديت به الجحود الناكل، وبهذا ومثله كانت نستلين من الظاهر وأهل دولته أولئك الصخور، وتنـزل أولئـك الشم وما منهم إلا كل مختال فخور، وهيهات إن كان يندى لأحد منهم راحة، أ وتبل لواحد منهم يد بسماحة"[2].

وتكشف لنا بعض التراجم عن علاقة العمري بمشايخه، فهو يترجم لهم، وينقل عنهم، وهذا يشير إلى مدى ارتباطه بهم وتقديره لهم، إضافة إلـى الأمانـة التـي يتوخاها العمري في نقله من جميع مصادره سواء الكتابية أو الشفهية، فهو لا ينتقي إلا أمهات الكتب المتخصصة في الفنون التي ترجم لأصحابها، ولا يروي أو ينقـل إلا عن ثقات القوم ممن يعدون أعلام في الترجمة لأصحاب هذه الفنون.

ولم يكتف العمري برواية شفوية واحدة، بل يعدد الروايات وينوع مـصادرها الشفهية، ويتحرى الدقة. ففي ترجمة الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخي الذي عرف بابن السلعوس[3]، اعتمد العمري على أكثر من مـصدر من مصادر المشافهة، منها الروايات العائلية التي انفرد بها، كما أشار إلى مـصادر أخرى إشارة خفية لم يفصح عنها بل أجملها، فقال: "حدثني عمي الصاحب شـرف الدين أبو محمد رحمه ا ، وقد جرى ذكر حمق ابن السلعوس وترفعه قـال: كـان الرجل في رأسه حمق وزاده الملك الأشراف وكان عامياً، وطار ثم شـرح يحـدث

---

[1] العمري، مسالك الأبصار:ج10 / ق2 / 182.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج10 / ق2 / 271-272، ولم نجد له ترجمة فيما اطلعنا عليه من المصادر.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج 11/ 320، الصفدي، الوافي بالوفيات: 86/4.

قال: كنت في الخدمة الأشرفية بالنبك وقد نصبت خيمة السلطان على العين، فمر بي كرت أمير أخو أحد مقدمي الألوف، فسلم علي فقمت له ورديت عليه السلام، فرآني الملك الأشرف فطلبني فلما جئت إليه أنكر علي وقال: هاها تقوم لكرت وتمشي لـه وتخضع له، ومن هو كرت حتى تعمل هذا معه، وأنت لساني ويدي وأذني وعيني، وا لولا أنك شيخ كبير لقطعت رأسك، وإن عدت إلى مثلها قطعت رأسك..."[1].

ثم يعقب من كلامه فيقول: "قلت: وعلى الجملة فلقـد أحـسن إلـى أصـحابه الدماشقة، وكان يتلقاهم بالرحب والسعة، ويقضي حوائجهم ويحسن إلـيهم، وكـان كامل الأمور، محباً للرئاسة إلا أنه أفرط حمق العامية، ولم يقع في أيامه اقبح مـن واقعة ابن بنت الأعز القاضي والحمالة عليه ونكبته له، وكانت بإغراء المصريين له عليه، ولم يكن فيه أقبح من أنه كان تياهاً متكبراً كثير الخيلاء، معجباً بنفسه، معتزاً بسلطانه.

ثم يضمن العمري في الترجمة نفسها مصدراً آخر يعتمد فيه على أحد شيوخه، يقول: وحدثني شيخنا أبو الثناء محمود الكاتب رحمه ا قال: رأيت ابن الـسلعوس وقد جاء قضاة القضاة إلى باب داره بدمشق، وفيهم من خلع عليه في يوم الجمعـة، فجلسوا في انتظاره ليخرج فطال مكثه إلى أن حانت الـصلاة فخـرج، واسـتأذنه حاجبه عليهم، فقال قد ضاق الوقت فليأتوا بعد الصلاة..."[2].

ثم يتلو ذلك بحادثة أخرى من مصدرشفوي آخر لم يذكره، يقول: "وحكى لـي غير واحد أن الملك الأشرف لما قتل كان ابن السلعوس بالإسكندرية وقد رفع رأساً إلى السماء، وظهر بسيما الجبروت، وهدد الوالي وتوعده بما فيه الإتيان على روحه فلما خرج من عنده وقعت إليه البطائق على جناح الحمام الرسائل بقتـل الأشـراف ورسم له فيها بالقبض على ابن السلعوس..."[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 11/ 323.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج11 / 324.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج11 / 324.

نلاحظ أن العمري في تراجمه لمعاصريه قد بث في ثنايا ذلك سيرته الذاتية، كما كان لعلاقاته الشخصية جانبٌ من تلك الترجمة كذكره لشيوخه الذين تلقى عليهم العلم وتعداده لمعارفه وعلومه.

ويكشف العمري من خلال تراجمه لمعاصريه عن العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بأساتذته، وإلى ذلك يشير في ترجمة محمد بن الصائغ[1]، الدمشقي أبي يوسف، شمس الدين، قال: "وهو ممن أخذت عنه العروض، وكان فيه إماماً، وقطعت بحوره لاأرد الماء إلا حماماً، وتعلمت منه علم القوافي، وطرت في دقيقة وجليلة بالقوادم والخوافي، وكانت حانوته بقيسارية الصاغة بدمشق شوق ذهب وأدب" [2].

ولما كان العمري قد أراد من تراجمه تخليد آثار الأدباء وإماطة اللثام عن محاسنهم، أراد لمآثره أن تخلد، فأدخل بعض آدابه وما انتجته قريحته في متن التراجم، فكان يورد في ثنايا تراجمه، ويطيل في ذلك.

ومن ذلك قوله "قلت: وسئلت في تقليدٍ لطفيلي، فعملت: الحمد الله الذي نعم طيبات رزقه، ورزق بعض خلقه، وأجاز للمرء في بعض المذاهب التواصل بما قدر عليه إلى أخذ حقه، نحمده على نعمته التي وسعت الولائم، ومتعت بأكل كل ملائم، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة أول ما نبدأ منها، باسم الله الآكل، ونهنأ بها ما يهيئ من المآكل، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، والذي ما عاب قط طعاماً، ولا دعي إلى طعام إلا أكل ما لم يكن نوى صياماً، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، صلاة تتلقمها المسامع التقاماً، وسلم تسليماً كثيراً، وبعده... "[3].

وكان العمري يشير إلى الروايات المتعددة المتعلقة بمجريات حياة المترجم له ويرجح إحداها على الأخرى، ومن ذلك ما ورد في ترجمة موفق الدين القاسم بن هبة الله، أبي المعالي، قال: ومنها: (الخفيف)

---

[1] انظر ترجمته: الكتبي، فوات الوفيات: 326/3، الصفدي: الوافي بالوفيات:261/2، ابن حجر، الدرر الكامنة: 40/4.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 241/16.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج 12/ 20-25.

ثروتي فوق همتي ومرامي   فوق طولي وساعدي مغلولُ

وقد رواها شيخنا أبو الثناء الحلبي لأخيه الموفق، وكلاهما ثبت، لعل الكنـدي أدرى بطرق الرواية [1].

كما يذكر المكاتبات التي كانت تدور بينه وبين بعض من ترجم لهم، ومن ثـم نثره قوله من رقعة كتبها إلى قال فيها، وكتبها المملوك في يوم توقـدت جمرتـه، وطالت في نهار القيظ حجوله وغرته، وناره على الأكباد موقدةٌ، لو لم يكن إلا لأن المملوك فارق سيده، ونسيم المملوك سموم، وشربه يحموم، وحشاه تمـاد تـذوب، وحقه كراه في نهاره وليله مسلوب، وهيهات ضعف الطالب والمطلوب"[2].

ومن المصادر الشفوية التي اعتمد عليها العمري في ترجمته لبعض معاصريه السماع المباشر من المترجم لهم من الأدباء والعلماء.

ومن ذلك ما ورد في ترجمة أبي الفتح يحيى بن سلطان بن فنق مجـد الـدين كان لا يعدم بينهم تمجيداً، وله شعر. (البسيط)

والشمس مضفرةٌ في الغرب قد نشرت   شعاعها في تفاريـقٍ مـن السحبِ

كأنمـا السحب أعـلام مـــوردةٌ   والشمس من تحتها ترس من الذهبِ

وروى هذه أيضاً لغيره، "وإنما شيخنا علاء الدين الكندي رواهما لـه، ومنـه سمعت[3] ثم تبعه بمصدر مشافهة آخر وهو المحادثة، يقول: "وحدثني الحـافظ أبـو الفتح بن سيد الناس اليعمري، قال: كان قاضي القضاة ابن دقيق العيد يثنـي عليـه ويقول: من يحسن مثل قوله: (السريع)

سرتْ بنا في ليلةِ القر   تجمع بين الإثْمِ والأجْرِ

ويتقصى العمري الحوادث الخاصة بالمترجم له، خصوصاً ما يتعلق بإنتـاجهم الأدبي، حيث يتصل اتصالاً مباشراً بمن هم على صلة بالمترجم له من تلاميـذه أو أصدقائه، حتى يتيقن من صحة المعلومة وإثباتها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 12/ 235.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج 322/12.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج 16 / 39.

ومن ذلك ما ورد في ترجمة محمد الدين بن الظهير: ورثـاه تلميـذه شـيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود [1] الكاتب بقصيدة منها: (الطويل)

ألا في سبيل ا من ضِيْم بعْده   حِمى المجدِ حتى لان للجهل جانبه

كما كان للسماع نصيباً من كتاب العمري، حيث كان مـصدراً مهماً،وكانـت تعني ظاهرة السماع أن يقرأ التلميذ على أستاذه ما دونه من كلامه، فإن أقره الأستاذ كان من حق التلميذ أن يروي هذا الذي دونه منسوباً إلى الأستاذ، والهدف من هـذه العملية هو توثيق المادة أو المعلومة التي دونها.

وكثيراً ما نرى العمري ينقل أو يروي عن شيوخه، حتى إنـه حينمـا تكثـر الروايات وتتضارب يعتمد مصدر المشافهة ويرجحه على غيره لأنه اخـتط لنفـسه نهجاً في تراجمه، فهو لا ينقل إلا عن الثقات، ففي ترجمة أبي الفـتح يحيـى بـن سلطان بن منقذ مجد الديك كان لا يعدم بينهم تمجيداً، ولا يطول أخدعاً وجيداً، وإلا أنه كان يتنعب من العيش زهيداً، ثم قتل بعد ذلك شهيداً وله شعر. (البسيط)

والشمس مضفرةٌ في الغرب قد نشرت   شعاعها في تفـ ـ ـاريقٍ من السحبِ

كأنمـا السحب أعـ ـلام مـ ـوردةٌ   والشمس من تحتها ترس من الذهبِ

وروى هذا أيضاً لغيره، وإنما شيخنا علاء الدين الكندي رواهـا لـه، ومنـه سمعت" [2]

وينقل العمري عن معاصريه. ويختصر ما ينقله ويشير إلـى ذلـك فيقـول: وحكي لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود، وقال ما معناه [3].

ومن المصادر المهمة التي اعتمد عليها العمري، المشاهدة مما يدل على ذلـك ما ورد في ترجمة ابن الحكيم، قال: "اجتمعت به وأخبروني أنه من بني أمية بن عبد

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج 16/ 108-111، وهو أبو عبد ا بن عمر بن أحمد بن أبـي شاكر الإربلي، الحنفي، إمام الأدب: انظر حياته مقدمة ديوانه، تحقيق ناظم رشـيد، 1998، توفي سنة 677 هـ.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج16 /39

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج17 / ق2 / 185.

شمس، ثم من بني عمر بن عبد العزيز" [1] لم يكن العمـري بمنـأى عـن الأدبـاء والشعراء ممن ترجم لهم، بل كان على اتصال مباشر معهم فقد سمع منهم، وحضر مجالسهم، فكان ينقل عنهم نقلاً مباشراً، فقد ورد في ترجمة عبد المجير، أحمد بـن الحسين الخياط، مجير الدين ومما أملانا من نثره قوله مع قصيدة كتـب بهـا إلـى بعض الرؤساء،وهو: فأرسلتها كالمهدي قطرة إلى البحر المحيط، أو النـافح بغيـة ليزيد بنفسه في الهواء البسيط [2].

وتكمن قيمة موسوعة ابن فضل العمري في المعلومات الثرية التي تـضمنتها، هذا فضلاً عن تباينها وغزارتها، كما تتميز بمفرداتها وندرتها، فقد حـوت أشـعاراً وتراجماً ومعلومات، في عداد المفقود سواء المعلومة أو المصدر، فبعض التـراجم والأشعار لم يعثر عليها إلا من خلال هذه الموسوعة، حتى دواوين الـشعراء التـي نقلت منها الأشعار.

لم يعثر على هذه المقطوعات، فالمقطوعات التي أوردها من شعر ابن نباتـه غير موجودة في ديوانه المطبوع، وأشعار السراج الوراق فهي في عداد المفقود.

وبذلك تكون مصادر العمري قد تعددت وتنوعت أنماطها، تبعاً لـزمن الـذي تناول رجاله، فامتداد الفترة الزمنية، فقد حتم عليه هذا التنوع في المـصادر التـي اعتمدها، ولأن ديدنه الدقة والأمانة العلمية والتحري، فقد اختط لنفسه منهجـاً فـي ترجمته لجميع الطوائف التي ترجم لها، وقد ذكر ذلك في مقدمته، وقد أشـرنا إلـى ذلك سالفاً، فقد اعتمد المصادر المتخصصة بفنها وذلك بيان علـى سـعة اطلاعـة ومعرفته بمصادر الفنون التي تعرض لها.

فحينما ترجم لأهل الغناء والطرب تخير المصدر المتخصص في ذلك والـذي لا يفوقه مصدر في ذلك الفن إلا وهو الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ليطمئن قارئة إلى دقة المعلومات وصدقها، كما ذكر المصادر التي اعتمدها في مقدماتـه، كمـا اعتمد على دواوين الشعراء لنقل الأشعار، لكن هذه الدواوين لا تضمن المقطوعات الشعرية التي تناولها العمري، لذا تعد هذه المقطوعات مادة عزيزة المنال، لأنها في

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج17 / ق2 / 199.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج16 / 246.

عداد المفقود حتى في مصادرها الأصلية، كما اعتمد على بعض المصادر المفقـودة مثل كتاب ابن ناقيا، وجنان الجنان، فيعد كتابه مصدراً غنياً للمعلومات المفقودة، هذا بالإضافة إلى المعاصرة التي لعبت دوراً كبيراً في تراجمه فقد أتاحت له الفرصـة بالاتصال المباشر ببعض الشيوخ والأدباء من شعراء وكتاب ووزراء، فقـد أوكـل نفسه التحري والسؤال والتقصي عن أخبار هؤلاء الطوائف، فكان خير مسؤول عن ذلك، فقد شاهد وسمع وعاين وذكر له وسأل وقيل له، فقد تضخمت لديه المادة، لـذا وقف موقف الناقد الحصيف المدقق في انتقاء المعلومـات، وتـرك مـا لا يلـزم، وتلخيص ما يطول، والاعتذار عما يقصر، وتعليل مـا تـضارب حولـه الآراء، وترجيح الأقرب.

وبذلك يكون العمري قد استوفى لموسوعته جميع المصادر اللازمة بأنواعهـا المختلفة، فقد استقصى المصادر المدونة الخاصة والعامة التي تتوافق مع من ترجم لهم وما يتعلق بخصوص الطوائف والشخصيات التي ترجم لها، فلم يأل جهداً فـي الإفادة منها، كما كان للمعاصرة دورها في الترجمة لشيوخه وأصدقائه أو من التقى بهم، فالفترة الزمنية وتعدد الطوائف التي ترجم لها أفصح له المجال للاطلاع علـى جميع المصادر التي تتعلق بشخصياته التي ترجم لها.

الفصـل الثالث
بناء الترجمة الأدبية ومادتها

تتعدد أنماط الترجمة عند العمري تبعاً للمواد التي ترصـد هـذه الترجمـة، وللتوجيه الذي يقصد منه إيرادها للوصول إلى الأهداف التي يحددها شرط العمري بصفة عامة.

وتكون الترجمة من خلال هذه المواد تركيبة متعددة الأجزاء والعناصر، تفـي جميعها بالغرض المقصود وبالكيفية التي يريدها العمري للكـشف عـن الـشخص المترجم له والتعريف به.

ويلحظ الباحث في كتاب مسالك الأبصار أن الترجمة تختلف من طبقـة إلـى أخرى تبعاً للهدف الذي يسعى إليه العمري من خلال تلك التراجم والتوجـه الـذي تصاغ مواد تلك الترجمة تحت ظروفه، لذا تنوعت ألوان الترجمة عند العمري تبعاً لتنوع الأهداف والغايات، وتبعاً لاختلاف المادة المدونة، فقد تضمن كتاب العمـري ثلاثة أنواع من التراجم تتمثل فيما يلي:

أولاً: الترجمة الأدبية التي يبتدعها العمري ويقدم بها لما ينقله من المـصادر التـي ترجمت للشخصية التي يتحدث عنها، وهذا النوع يمثل لوناً من الترجمة الموجزة أو القصيرة، كما يمثل صدى لقراءاته حول هذه الشخصية، فهي عند ترجمته للحكمـاء والأطباء والصوفية والفقهاء والقراء والمحدثين فمن الشواهد على ذلك ما ورد فـي ترجمة الطبيب ابن البذوخ، وهو ابن موسى بن علي القلعي[1] "كان من أعلام أهـل الفضائل، وأواخر من لحقه السلف من الأوائل، جنى بيده الأدوية وركبها، وعـرف مقادير رتبها ورتبها، إلى سوى هذا مما قضى فيه أيام عمره، وذهـب وقـد أبقـى للناس من ثمره، وكان وكأنه ما مات ولا أكلت أنواره الظلمات، وفني وهذا أثـره، وبقي ذباب السيف وهو أكثره"[2].

---

[1] ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم، عيون الأنباء، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، 1999م: 581.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 9 / 380.

قال ابن أبي أصيبعة: "كان عارفاً بالأدوية المفردة والمركبة..." [1]

ونلاحظ أن العمري قد صنع تقدمه يبتدئ بها الترجمة، ليعقب بعدها النقل الذي اعتمده وانتقاه بما يتناسب مع منهجه، وقد قدم بمعلومات قد انتهى إليها من قراءته حول الشخصية المترجم لها، لقد عبر بهذه التقدمة عن منزلة المترجم له، وما اشتهر به بإسلوبٍ أدبي رفيع، لكنه في حقيقة الأمر قد نسج من الترجمة المنقولة ترجمةً من صنيعه.

ولم يغفل العمري الجانب الأدبي في تراجمة، فقد عني بهذا الجانب حتى في ترجمة الأطباء ومن ذلك ترجمته للفتح[2]، حيث قال: "وكان مثل أبيه، وإن لم يكن مثله فيدانيه. وقال ابن أبي أصيبعة فيه: كان نزهه النفس، صائب الحدس، حسن المداواة، لطيف المداراة، فصيح اللسان، كثير الإحسان، خدم الكامل والصالح وفي أيامه توفي بالقاهرة "[3].

لقد انتقى العمري من التراجم المنقولة ما ينبئ عن الجانب الأدبي لشخصية المترجم له، حيث أن العمري يهتم بهذا الجانب كثيراً فقد حاول أن يمازجه مع جميع تراجم الفئات.

ومن هذا الأنموذج ما ورد في ترجمة محمد بن يوسف المنجم: "أديب غلب عليه التنجيم، وعلا قدره فما حفر بالتقويم، وسير الشهب حتى صورها من توليد خاطره، وصيرها على لسانه بدلاً من ناظره، وصيرها حتى وقفت له فأصبحت قريحته منها متخيرة، وأضلها بلألاء أنواره فظلت متحيره " [4].

قال ابن رشيق: "وشعره صحيح البناء، ملتئم الأجزاء، ملموم القوافي، كأنه قطعة واحدة، غلب عليه التنجيم كأبيه، كتب ليعلي بن فرح ثم لوله بعده، وامتدح نصر الدولة مرات "[5] وأورد من شعره قوله:

---

[1] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: 581.

[2] هو ابن عثمان بن هبة ا بن عقيل القيسي، انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء 540.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: 540، العمري، مسالك الأبصار: 488/9.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 9 / 193.

[5] ابن رشيق، انموذج الزمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م: 327.

لعمري لئن كنا حليفي صناعةٍ لقد سبقت ريشَ الخوافي القوادم
فقل للذي استهزأ بنا في فعاله مقالي يقظـان وعرضك نائـم
سيغسل عنـي الماء فعالك كله وقولي باقٍ والعظـ ـام رمائـم

كما كان للفقهاء نصيب من هذا النوع من التراجم، فقد قدم للمتـرجم لـه ثـم أتبعها نقولات من مصادر متعددة، ومن الأمثلة على ترجمة هذه الطائفـة ترجمـة موسى بن سليمان الجوزجاني[1]، حيث قال: "أحد القومة بالـدين والقولـة ولـو أن خصمه أسد العرين، له أسوة بمن تقدم، وسلوة عما يروق من وجه دينار ودرهـم، يغتر بزخرف الدنيا الغرور، ولا يتقلب حزن وسرور، تفقه على يد أبـي يوسـف، ومحمد بن الحسن، وروى عنهما الكتب والأمالي، قال أبو بكر الخطيب: "كان فقيهاً، بصيراً بالرأي، يذهب مذهب أهل السنة، سكن بغداد وحدث بها"[2]، وقال ابـن أبـي حاتم: " كان يكفر القائلين بخلق القرآن كتب عنه أبي وقال: كان صدوقاً"[3].

وقال الصيمري: "كان من الورع والدين وحفـظ الحـديث والفقـه بالمنزلـة الرفيعة"[4].

لقد قدم العمري في هذه الترجمة عدة عناصر أهمها أحوال المترجم ومنزلتـه وسيرته، ومن أخذ عنهم من الشيوخ. ثم يتبعها بنقولات تتناسب مع ما أراده العمري لهذه الشخصية.

وقد تفاوتت تراجمه لهذه الفئة ما بين الطول والقـصر، فقـد قـدم لـبعض الشخصيات تقديماً موجز ثم اتبعه بنقولات كما مر معنا في الترجمة السالفة، ولكنـه في بعض الشخصيات كان يطيل التقديم لها وربما كان دافعه إلى ذلك هو منزلة هذه الشخصية أو وفرة المعلومات المتوفرة لديه حولها، أو كثرة المؤلفات التي ترجمـت

---

[1] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 13 / 39، العمري، مسالك الأبصار: 6/ 54.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 13/ 39.

[3] ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن 1953م: 7/ 145.

[4] الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه: 154.

لهذه الشخصية، فتكون لدى العمري مادة غزيرة ينهل منها ويصنع ترجمة تعود في أصولها إلى مصادر متعددة وبذلك يكون العمري قد أفاد من عدة مصادر.

وهي عند ترجمته للرؤساء والساسة والمؤرخين تهتم بـأحوال المتـرجم لـه وأخباره عامة، والمناصب التي تبوأها، مع ذكر مولده ووفاته، ومن الشواهد علـى ذلك ما ورد في ترجمة عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الفزاري، البدري، الشافعي، الشيخ تاج الدين، أبي محمد، وأبي إبراهيم، قال: "إمام أنشأ غرس العلمـاء، وبـث منهم في الأرض مثل النجوم في السماء، وأنجب غرسه وثبت أسه، لم يبق إلا مـن اغترف من بحره واعترف لبره، طبق البلاد علماء، وملا الجواد إليـه ارتمـاء... مولده سنة أربع وعشرين وستمائة، وحين ولد ضاق صدر أبيه لما رأى في رجليـه التغيير، وكان رجلاً صالحاً فرأى النبي (صلى ا عليه وسلم) وهو يسأله عن ذلك ويبشره أن الناس ينتفعون بعلمه، ورآه بعد موته رجل مقعد وكان صاحباً له فـشكا إليه، فقال له قم فاستيقظ، وقام كأن لم يكن به شئ. وتوفي الشيخ تاج الدين رحمـه ا ضحوة الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة "[1].

لقد وقف العمري على أحوال المترجم له وأخباره العامة، ثم أشار إلى مولـده ووفاته. وقد شمل هذا النوع من الترجمة معظم الفئات التي ترجم لها العمري حيث كان يبتدئ تراجمه بهذه النتف والمقاطع النثرية التي كان يستلهمها من مصادره التي يعتمدها في تراجمه. وقد عد العمري ذلك مقدمة للنوع الثاني من تراجمه وهي التي كان يعتمد فيها على المصادر المتخصصة لكل فئة من الفئات التي ترجم لها، كـان يشير إلى ذلك سواء في مقدماته الخاصة بكل فئة أو فـي ثنايـا التـراجم كمـا أن العمري قد باين في طريقة النقل عن المصادر المعتمدة، حيث كان ينقل حرفيـاً أو يختصر أو يعمي مصادره وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الخاص بمصادر العمري.

وبذلك يكون العمري قد جعل النوع الأول من تراجمه تمهيداً للنوع الثاني وهو الترجمة الأدبية المنقولة أو المستخلصة من قراءاته في المصادر التي نقـل عنهـا حول الشخصية التي يترجم لها، وقد كان هذا النوع من تراجمه السمة الغالبـة فـي فئات الطبقات التي ترجم لها، فقد اعتمد على مصادر متخصصه لكل فئة بعينها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 6/ 314- 315.

لقد وجد العمري مادة كبيرة كان عليه أن ينتقـي منهـا مـا يـراه مناسـباً لموسوعته، لا سيما أنه اختصر في الحوادث كثيراً قياساً مع التراجم التي أوردهـا، لقد كانت لديه خطة منظمة اتبعها في تنظيم كتابه، حيث كان ينتقي ما يـراه مهمـاً حرياً بالذكر جديراً بالتدوين، ولكنه لا يهمل ما يظفر به من مادة حول بعض مـن ترجم لهم , ولم يكن العمري ناقلاً عن المؤلفين الذين سبقوه وسارداً فقط، بل كـان يعلل ويمحص ويرتب، وهذا ما نلحظه في كثيرمن تراجمه ومن ذلك ترجمته لأهل الغناء، وهذه دلالة على سعة الإطلاع ومعرفته بأهل كل من الفنون المعروفة آنذاك، وما يشتهر به كل أديب ونابغ، كما كشف عما اعترى التصنيف في تـراجم بعـض الطوائف التي ترجم لها من خلل ونقص وانقطاع، وإلى ذلك يشير في حديثـه عـن أهل الغناء والموسيقى، وإذ يقول في ثنايا التراجم لهذه الفئة: "وهذا آخر ما يقع عليه الاختيار من جامع أبي الفرج الأصفهاني، اقتصر فيه على من ذكره مـن مـشاهير المغاني، وقد بقيت مدة لا أجد ما أذيل عليه، ولا ما أصله به إلى زماننا هذا على ما جرينا عليه في جميع هذا الكتاب، لقلة اعتناء المتأخرين، ولا سيما بهذا الفن الـذي فني ولم يبق من يعاينه أو يسمعه، لرغبة ملوك زماننا فيما سوى هذا،... ثم ظفرت لابن ناقيا بتأليف جاء في تضاعيفه عرضاً ذكر جماعته على ذيل زمان أبي الفرج، ثم اقتطفت من كتب التواريخ والأخبار المقيدة... ثم اتبعته بما التقفته من ذماء بقيـة من أهل الاعتناء ممن تأخر بهم الأجل إلى هذا العصر..."[1].

لقد تضمنت هذه المقدمة مجموعة من المعلومات التي تفيد في توضيح المنهج الذي سار عليه العمري في ترجمته لهذه الفئة، بل الفئات أجمع، حيث افـصح مـن خلالها عن مجموعة من المعايير التي اتبعها في تراجمه، وتتمثل في ما يلي:

1. التمحيص في البحث عن المصادر ذات العلاقة التي تقدم معلومات مهمة حول الطائفة التي يترجم لها.
2. ترتيب المصادر التي يعتمد عليها حسب أهميتها.
3. تعليل أسباب قلة التراجم في بعض العصور.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق2/ 77-78.

وهي عند ترجمته للأدباء وأرباب الأقلام، وأهل البلاغة والنحو وخدمة اللغـة لا تهتم إلاّ بالبعد الأدبي للمترجم له، وذلك تمهيداً لغرض نتاجه الأدبـي الـشعري والنثري، إلى جانب اهتمام قليل بالرواية أو المشيخة أو الولادة في الأغلب.

كما جعل العمري من هذه الجوانب محور الترجمة في كتابه، وذلك من خلال مقدماته لترجمة القراء والمحدثين والفقهاء والصوفية والحكماء والأطبـاء[1]، ومـن الأسس التي اعتمد عليها في التراجم الابتداء بالقراء، وذلك لاشتغالهم بالثقافة الدينية التي عدها العمري هي الأساس، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة ترجمته لهذه الطائفة، حيث قال: "وهذا أوان الشروع وبا التوفيق، والبدأة بالقراء، وبدأنا بالقراء لـشرف القرآن العظيم، ولما تضمنه من الآيات والذكر الحكيم، وإذ لا ترى حائماً على معينه وهائماً به، وما أرى أعين عينه، ومغرى شغفاً بسبب تنزيله، ومغرما كلفـاً بطلـب تأويله، ومحتجاً به لحقه وآخر وحاشاه لأباطيله"[2].

ومن المقدمات التي أشار فيها العمري إلى الأسس التي بنى عليهـا تراجمـه ترجمته للحكماء والأطباء، حيث قال: "ونقتصر على المـشاهير والأعيـان الـذين يكادون يعدون من المشاهير، ونأتي منهم بمن تكلم في العلـوم الثلاثـة: الطبيعـي والرياضي والالهي أو أحدها، وأجاد في جميعها أو مفردها..."[3]. كما أن العمري قد قدم ترجمته لبعض الطوائف في إطار أدبي، فحينما ترجم للصوفية فقد صبغ ترجمته لهذه الفئة بصبغة أدبية حيث ركز على الشعر، والأمثال والحكم مما جعله أكثر قبولاً للمطالعة , فمن الشواهد على ذلك ترجمته لأبي القاسم، عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري، المعروف بابن الفارض، قال: "مظهر جمال، ومظهر تمام، وكمال، إلى علوم مقام وعلو شريعة تقام، وكلام فـي حقيقـة وكمال في حديقة وآداب..."[4] ثم يتبع تلك الترجمة بقوله ومن مختار شعره قوله:

---

[1] وردت ترجمت هذه الفئات في الأجزاء التالية: القراء والمحدثون:5، والفقهاء: 6، الـصوفية: 8، والحكماء والأطباء: 9.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 5/ 104.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 3/9.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 8/417-443.

أرج النسيم سرى من الزوراء سحراً فأحيا ميت الأحياء

ويختار له العمري مقطوعات شعرية متعددة الموضوعات مما ينبئ عن اهتمام العمري بالجانب الأدبي، حتى في ترجمة الطوائف الأخرى التي لم يكن الأدب صنعتها. لذا نلمح أنه في ترجمة هذه الشخصية قد اعتمد على الفاصلة التي تميزت به ترجمته الأدبية ثم أتبع ذلك بمقطوعات من أشعاره.

وقد ركز العمري في بناء هذا النوع من الترجمة على مجموعة من الثوابت أهمها ذكر ولادة المترجم له ومشيخته والآخذين عنه، وعرض أحواله وتواليفه ووفاته. ولا تخلو مادة هذه الترجمة في بعض الأحيان من تقويم له في سلوكه العلمي.

ومن الأمثلة على ذلك ترجمة العمري لعبد الرحمن بن سباع بن ضياء الفزاري، البدري، الشافعي، الشيخ تاج الدين، أبي محمد، وأبي إبراهيم: "إمام أنشأ غرس العلماء، وأنجب غرسه وثبت أسه، لم يبق إلا من اغترف من بحره واعترف لبره، طبق البلاد علماء، وملا الجواد إليه ارتماء، وأوجب للخلائق إليه انتماء، واقتضى أن تومئ إليه الحقائق إيماء... تفقه على الامام أبي محمد بن عبد السلام وبرع في المذهب بروعاً تاماً، وكان تفقه قبله على ابن الصلاح، وقرأ الأصول العربية، ونظر في الطريقة، وسمع الحديث من جماعة كابن الزبيدي وطبقته، وخرج له مشيخة عن مائة شيخ سمع عليهم، وجلس للإقراء...مولده سنة أربع وعشرين وستمائة...و توفي الشيخ تاج الدين رحمه ا ضحوة الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة "[1].

ومما تجدر الإشارة إليه في ترجمة طائفة الفقهاء أن العمري يبتدئ الترجمة بتقويم أحوال المترجم له حيث ينشئ له وصفاً منمقاً يتناسب مع أوصافه وأحواله ويقترب في ذلك الأسلوب النثري من الأسلوب الشعري من خلال الفواصل والأوزان والألفاظ ذات الجرس الموسيقي وتساوي الجمل في الطول والقصر.

ثم يتبع ذلك بالحديث عن مشيخة المترجم له لما لذاك من أهمية قصوى في معرفة قدر علمه وتواليفه وعرض أحواله العلمية ومنزلته بين أترابه من العلماء، ثم

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 314/6.

يختم بالوفاة حيث تنتهي الترجمة بإنهاء حياة المترجم له، وقد سار على هذا المنهج في أغلب تراجم هذه الطائفة ولا يفوتنا أيضاً الإشارة إلى أنه كان يشير إلى المصادر التي ينقل عنها في ثنايا تراجمه، كما كان العمري يطيل نسب المترجم له وذلك من خلال إطالة الاسم في بداية الترجمة وقد غلبت هذه الصفة على جميع من ترجم لهم في هذه الطائفة. ومن الشواهد على ذلك في تراجمه: عبد الواحد بن اسماعيل بن أحمد بن محمد الروياني، الفقيه الشافعي، أبي المحاسن الشهيد [1]، كما كان يتبع الاسم باللقب والكنية.

لكن العمري لم يتبع نهجاً واحداً في تراجمه لجميع الطوائف بل كان يتخذ أساليب مختلفة فمن الطوائف التي ترجم لها الحكماء والأطباء، فقد ترجم لبعضهم ترجمة أدبية لكن تراجمه لهذه الطائفة تعدو قصيرة، حيث يبتدئ ترجمته برسم صورة عامة عن أحوال المترجم له من حيث منزلته وعلمه وأسلوبه ثم يتبع ذلك ما نقله من الآخرين، وقد اعتمد في هذا الجزء اعتماداً كلياً على ابن أبي اصيبعه في كتابه عيون الأنباء، وهذا مما أشرنا إليه في اعتماده على المصادر المتخصصة لكل طائفة فمن الشواهد على ذلك في ترجمة: يحيى بن عدي، أبي زكرياء المنطقي: "حكيم علمه والورق شيئان، وقلمه والبرق سيان، كان أول حاله علماً في ملته، ومعلماً لأهل قبلته، عرف بالمنطق مع انه بعض علومه، ومن جملة ما دخل من الخصائص في عمومه، وأضاءت له من الأدب لمع تممت فضائله، ونمت هلاله، والبدور الكوامل متضائلة "[2].

قال ابن أبي أصيبعة:"انتهت إليه الرياسة، ومعرفة العلوم الحكمية في وقته، وكان أوحد دهره في مذهب النصارى اليعقوبية، وكان كثير الكتابة وكتب تفسير الطبري مرتين، وقال: لعهدي بنفسي أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل"[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 271/6.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 40/9.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: 293.

وأوصى أن يكتب على قبره:

رب ميتٍ قد صار في العلم حياً ومبقـىً قد مات جهلاً وعيا

فاقتنـوا العلم كي تنالـوا خلوداً لا تعدو الحياة في الجهل شياً

فمن الملاحظ في هذه الترجمة بأنها تختلف عن الترجمة التي سبقتها من طائفة الفقهاء، فقد عمد العمري إلى عرض أحوال المترجم له بصفة عامة دون تفاصـيل، ودون إشارة إلى سنة الولادة ولا سنة الوفاة، فقد قدم ترجمة قـصيرة نـسبياً مـع تراجمه للطوائف الأخرى، ثم نقل ما قاله ابن اصيبعة في كتابه عيون الأنباء، وهو يتناسب مع المادة التي قدم بها، ويبدو أن العمري قراء حول المترجم ثم قدم ثم نقل ما قرأه مرة أخرى.

وردت بعض التراجم التي تمتاز بالقصر، وذلك في ترجمة صنجهل الهندي: "وهو ثانيه في الرتبة، وثالثة في صعود الهضبة، فلو نطقت النجوم لما عدت شكره أو العلوم لما عدت إلى بره"[1].

قال ابن أبي أصيبعة:"كان من علماء الهند وفضلائهم الخيـرين بعلـم الطـب والنجوم"[2].

لم يفصح العمري في هذه الترجمة إلا عن منزلة المترجم له لم يذكر إلا الاسم الأول والنسب إلى البلد فقط ويتبعه بمنزلته، ثم ينقل كلام ابن أبي أصـيبعة الـذي يومئ إلى منزلة المترجم له.

كما أن العمري قد صنع بعض التراجم التي تخلو من اسـتخدام الـسجع فـي تراجمه لهذه الطائفة مثال ذلك ما ورد في ترجمة يعقوب بن اسحاق الكندي، أبـي يوسف: "فيلسوف العرب، من ولد الاشعث بن قيس، والأشعث مـن ولـد معاويـة الأكبر ابن الحارث الأصغر ابن معاوية بن الحارث الأكبر، وكان الأشعث ملكاً على كندة، وله صحبة، وللأعشى منه مدائح، وكان من أبائه ملوك بالمـشقر واليمامـة والبحرين..."[3]، فقد ركز العمري في بداية تراجمه على نسب المترجم له وأصله كما

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 9/ 32.

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: 435.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 9/ 27.

أن العمري في ترجمته لهذه الفئة كثيراً ما نراه ينسب المترجم لهم إلى بلدانيهم وأماكنهم، كما أن العمري في هذا الجزء المخصص للحكماء والأطباء قد ترجم لغير العلماء العرب والمسلمين، ومن ذلك ترجمته للهرامسة الثلاثة وفلاسفة اليونان، قال: "وإليهم تنسب أحوال هذه العلوم، وقال ذلك أبو معشر البلخي[1]" [2].

قال ابن أبي أصيبعة: أما هرمس الأول، وهو المثلث بالنعيم، فإنه كان قبل الطوفان، وهرمس لقب كما يقال كسرى وقيصر، وتسميه الفرس في سيرتها للجهد، وتفسيرها ذول عدلٍ، وهو الذي تذكر الحرانية يعني الصائبة نبوته، ويقول الفرس:"إن جده كيومرت وهو آدم عليه السلام، ويقول العبرانيون أنه خنوخ وهو بالعربية إدريس"[3].

أما بالنسبة لترجمته للقراء والمحدثين، فقد كانت تتسم بالسمة العلمية، أكثر من غيرها من التراجم الأخرى، لأن العمري كان يركز جلّ اهتمامه على الوصف العام الذي يقدم به الشخصية وذلك يتأتى من قراءاته حول الشخصية، وبيان منزلة المترجم له وتميزه العلمي وشيوخه ومؤلفاته ومجال الاهتمام والاشتهار وذكر سنة وفاته. ومن الشواهد على ذلك ترجمة محمد بن علي بن أحمد، الإمام أبي بكر الأذفوني المصري: "المقرئ، النحوي، المفسر، والصدر المتصدر، والمقرر والنحوي الذي لا يعجزه في توجيه غريب الاعراب متعذر... قرأ القرآن على أبي غانم المظفر بن أحمد، وسمع الحروف من أحمد بن إبراهيم ابن جامع، وسعيد بن السكن، ولزم أبا جعفر النحاس، وحمل عن كتبه. وبرع في علوم القرآن، وكان سيد أهل عصره بمصر، قال أبو عمرو الداني[4]. انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته في قراءة نافع مع سعة علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وتمكنه من علم العربية،

---

[1] أبو معشر، جعفر بن محمد البلخي، توفي (272هـ) انظر النديم، الفهرست، تحقيق يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م: 441.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 9/ 5.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: 24.

[4] الذهبي، معرفة القراء والكبار، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1/ 354.

وبصره بالمعاني، روى عنه القراءة جماعة من الأكابر، وله كتاب (التفسير) في مائة وعشرين مجلداً، وهو موجود في القاهرة"[1].

قال سهل بن عبد ا البزاز: "صنف شيخنا أبو بكر الأدفوني في كتابه (الاستغناء في علوم القرآن) في اثنتي عشرة سنة، وتوفي في سابع ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وعاش خمساً وثمانين سنة، سكن مصر، وكان خشاباً يتجر، وإدفو قرية من الصعيد مما يلي أسوان"[2].

ويلحظ المتمعن في هذه الترجمة بأنها ترجمة علمية لأنها مبنية على تقديم معلومات بأسلوب مباشر تقريري، يخلو من المسحة الأدبية، ويعود ذلك إلى طبيعة الطائفة التي يترجم لها التي لا تتناسب والأسلوب الأدبي المنمق الذي تنسجم معه تراجم طوائف الشعراء والمغنيين والوزراء والكتّاب أي ما أطلق عليه الترجمة الأدبية. ويشير ذلك إلى أن العمري قد نوع في منهجه للترجمة، فقد اتخذ لكل طائفة منهجاً يتناسب مع طبيعة المعلومات التي يذكرها، والخصائص والسمات التي تمتاز بها كل طائفة من طوائفه عن غيرها.

أما بالنسبة لترجمته للصوفية حيث يعد هذا الجزء أوسع كتاب يترجم للصوفية منذ بداياتهم حتى القرن الثامن، فقد صبغها العمري بصبغة أدبية تركز على الشعر والأمثال والحكم مما جعله أكثر قبولاً للمتلقي، كما اعتمد العمري في هذا الجزء في بعض الترجمات التي لم يعاصرها على روايات عائلية أو وثائق ديوانية لم يتح لغيره فرصة الاطلاع عليها، كما ترجم للكثير من رجالات الصوفية المعاصرين له، والتي انفرد فيها بتلك الترجمات حيث أصبحت ترجمته لهم مدار اعتماد المؤلفين اللاحقين. وقد شمل العمري في تراجمه المشارقة والمغاربة على عادته، والترجمة إلى زمانه وقد أشار في مقدمته لتراجم هذه الطائفة بقوله: "فأما طوائف الفقراء، خلاصة ذوي القلوب، وخاصة المحبوب، فقد ذكرت من أمكن إلى زماننا... وقد ذكرتهم من أهل الجانبين جرياً على العادة، وبا التوفيق "[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 227/5.

[2] الذهبي، معرفة القراء الكبار: 354/1، ياقوت، معجم البلدان: 126/1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 7/8.

ومن الشواهد على هذا النمط ترجمة محمد الأرموي [1]: "مشيد بيت وأبيـات، وصاحب أناشيد وتلاوة آيات، أشرق بيته الشام والعراق، وصب في زجاجة زيتـه فأضاء المغرب والمشرق، وسكن الشام فاخضر واديه وابيض بكرم أياديه، وتفجرت أنهاره مثل قريحته، وطالت جبهته مثل لألأ صبيحته..."[2].

ومن كلامه فصل يتعلق بالسماع، قال: "افتقار السماع إلى الوجـد، افتقـار الصلاة إلى النية والقصد، فكما لا تصح الصلاة إلاّ بالنية والقصد، كـذلك لا يبـاح السماع إلاّ بالوجد..."[3]. ثم يتبع ذلك مجموعة من المختارات الشعرية التي تتراوح بين النتف والمقطوعة والبيتين، في أغراض متنوعة منها قوله:

أيـ ـ ـام الربيـع وطيبهـا | وتفاخر الأطيار في الألحان
والورد ينمى في الغصون كأنما | مـاء الحياة بوجنة الخجلان

وقوله:

يا طيب ما جاء النسيم بعرفكم | وحديثه عنكم حديث مرسل
حملتـه منـ ـي السلام إليكم | فأطاعنـي لكنـه يتعـلل

أما بالنسبة إلى الصنف الثاني وهو الترجمة البلدانية، وهـي الترجمـة التـي تختص بأعلام البلدان، فتُعرف بالرجال الذين يثبت إنتماؤهم إلى بلد معين أو حلولهم به، وهي تختص بصنف معين من الرجال، وقد قسم العمري على هذا الأساس العالم الإسلامي إلى قسمين رئيسين هما: المشرق، ويقصد به حسب مـا ورد فـي ثنايـا تراجمه، وإلى ذلك يشير بقوله: "وفي أماكن من المشرق وأماكن من المغرب ما هو مذكور في القرآن والحديث مثل: مكة والمدينة وبابل من المـشرق ومـصر مـن المغرب ومكة والمدينة والشام من المشرق"[4].

كما يشير العمري إلى المشرق في نقله عن ابن سعيد حينما قال:"ثم قال ابـن سعيد نقلاً عن البيهقي: أن حد المغرب من الجهة التي ذكرها بطليموس فـي أن ا

---

[1] الصفدي، أعيان العصر: 4/ 215، ابن حجر، الدرر الكامنة: 3/ 287.
[2] العمري، مسالك الأبصار: 303/8.
[3] العمري، مسالك الأبصار: 8/ 303 – 322.
[4] العمري، مسالك الأبصار: 62/5.

تعالى قسم الأرض نصفين بحر حدة وخليج القسطنطينية علـى أن يجعـل الأرض المصرية أول الغرب وكلّ هذا يؤيد بعضه بعضاً في إثبات الفخار للمشرق لاشتماله على أشرف البقاع ومدن الجنة وأجل الأقاليم العرفية كالشام والعراقين وأذربيجـان وخرسان إلى نهاية المشرق "[1].

والغرب الإسلامي يشمل مصر والمغرب والأندلس، أما المشرق فيشمل الشام والجزيرة العربية، وقد أراد العمري من ذلك رداً على ابن سعيد في كتابـه حينمـا جعل الفضل و والمزية للمغرب في كتابه: (المغرب في حلـى المغـرب) فأدخـل القطعة التي أراد بها الإنصاف بين المشرق والمغرب[2].

وقد جعل المكان أساساً لتراجمه للعلماء والأدباء والمتصوفة والقراء والملـوك والأمراء والوزراء والكتّاب، وغيرهم من الرجال ممن تتوفر فيهم شروط الإنتمـاء إلى البلد الذي يختصه العمري بتاريخه أو الحديث عنه، فيعرف كـل صـنف مـن هؤلاء العلماء حسب أماكنهم، ومن ذلك ما أشار إليه العمري في تقدمتـه لتـراجم النحويين واللغويين وأصحاب البيان، حيث قال: " فأما مـن كـان مـنهم بالجانـب الشرقي فمن عبر منهم وبقي" [3].

يختم ترجمة هذه الطائفة التي تنتمي إلى المكان بقوله: "وهذا آخر ما ذكرنـاه من أهل اللغة بالجانب الشرقي إلى حين انقطع بهم الزمان ولم يوجد به من نـصلهم إلى الآن، فأما من كان منهم بالجانب الغربي من أهل هذا الشأن فإنما طنـت لغـة العرب في آذانهم وتعلموا النطق بلسانهم بعد أن أتى عليهم حين من الدهر، وأمسكت مخانقهم بيد القهر"[4]، ثم يشير في ثنايا تراجمه إلى بلد آخر فيقول: "وهذا آخـر مـا ذكرناه من أهل اللغة بالجانب الغربي. فأما من وقع بمصر منهم وأمثالهم "[5].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 5/ 63.
[2] العمري، مسالك الأبصار: 5.
[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/7.
[4] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 78.
[5] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 85.

وكان العمري ينوه في بدايات تراجمه إلى البلاد التي يترجم لأعلامهـا، ومـن ذلك ما ورد في قوله: "وأما علماء النحاة بالمغرب: قـدور عـدد، واولـوا مـدد، وأصحاب لسان فيه ويد"[1].

ولم يهمل العمري البلاد التي ينتسب إليها المترجم له، فقد كان يشير إلى ذلـك في تقديمه الاسم ومن ذلك ترجمة عبد ا بن محمود المكفوف النحوي القيرواني[2]، كما نسب إلى إشبيلية فقال الاشبيلي[3] والبلنسي والاندلسي، والمرسي والمغربي. ومن الاشارات التي نوه إليها العمري حينما ترجم للوزراء فقد صنف الـوزراء حـسب أماكنهم فقال: "وزراء المغرب والأندلس"[4] ثم أتبعها بوزراء "الأيـوبيين والمماليـك بمصر"[5].

الصنف الثاني: الترجمة الأدبية وهي التي تهدف إلى التعريـف بالنـشاط الأدبـي واللغوي والبياني والموسيقي للمترجم له، وعرض نماذج من نتاجـه الـشعري أو النثري أو اللغوي أو البياني، والموسيقي. وتختلف هذه التراجم من صنف إلى آخر، كما يتباين حجمها وطريقة عرضها، غير أن الغالب على هذا النوع من الترجمة أن تتضمن تعريفاً بالمترجم له، يغلب عليها طابع التعميم، ويراعي فيها تأنق المؤلـف في لغتُه وصياغَته من خلال استخدام الألوان البلاغية المختلفة، وذلك تمهيداً لعرض نتاجه الأدبي واللغوي والفني بالتفصيل.

وأكثر التراجم الأدبية التي أوردها العمري لا تتعرض لذكر أحوال المتـرجم له، لأن هدفه في بناء الترجمة هو التعريف بالمترجم له في، ومهما يكن من أمـر، فإن الباحث في كتاب مسالك الأبصار يجد نفسه أمام لونين للترجمة، يتفاوت فيهمـا كل صنف عن الآخر بحسب المادة المدونة، والتوجـه والغايـات التـي يقـصدها العمري، وهي:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 259.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 259.

[3] انظر، مسالك الأبصار: 7 / 261.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 241.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 303.

اللون الأول: الترجمة العامة التي يقصد بها التعريف بالرجال الذين لهـم مـشاركة علمية، ومفهوم هذه المشاركة العلمية هي التي عبر عنهـا فـي ترجمتـه للقـراء والمحدثين والحكماء والأطباء والصوفية[1]، ومن الأمثلة على ذلك ترجمة أحمد بـن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار: القيرواني، أبي جعفر: "طيب كان فـي فعله محموداً، وعلى فضله محسوداً يكاد طبه يدافع الآجال، ويضيق على جـالينوس المجال، إلى دقائق اخرى وحقائق أبقت له إلى الأخرى، مع رتبة لو أنهـا للنجـوم لتقرطت بأشنافها، أو بالعلوم لما كانت إلا لاشرافها وكان لا يشمخ الكبر بعرنينـه، ولا يطمع البيد في دخول عرينه... "[2]

نلمح من خلال الترجمة التي تقدمت بأنها ترجمة عامة، كان يهدف العمـري من خلالها إلى التعريف بمشاركة بعض المترجم لهم في مجالات الحياة المتعـددة، كما أننا لا نجد تفصيلات دقيقة تظهر شخصية المترجم له، ولم يفصح أيـضاً عـن مولده ولا وفاته، وإنما قدم معلومات عامة ينبئ بمشاركته في هذا المجال.

ومن الشواهد على هذا اللون من ترجمة أحمد بن الفرات، الحافظ، الحجة، أبي مسعود الرازي[3]، "محدث أصبهان، وصاحب التصانيف الحسان، رقّـت حواشـيها وقرت عيوناً بأن النجوم لا تماشيها، صنفها ابن الفرات وكأنها بين ضفتيها تترقرق، وبين دفتيها تجمع من جدا جداولها ما تفـرق، فهـي عذبـة سلـسال، ذات تـدفق واسترسال وسعت الزمان إملاء فيما يفيد، وأخذت الزمان وقد ضـاقت بمـدارجها البيد، أكثر التراجم في لُقي الرجال "[4].

[1] انظر: العمري، مسالك الأبصار الأجزاء التالية: 5/ 6/ 8/ 9.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 9/ 437، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: 442.

[3] ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، آباد الدكن، 1953، 2/ 67.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 5/ 263.

وقال أحمد بن حنبل: "ما أظن بقي أحد أعرف بالمستندات من ابـن الفـرات، وقال أيضاً: ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول ا (صلى ا عليه وسلم) من ابن الفرات"[1].

وقال ابن عدي: "لا أعرف له رواية منكرة، وهو من أهل الـصدق والحفـظ. وكانت وفاته في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين"[2].

لم يقف العمري عند حياة من ترجم له بالتفاصيل الدقيقة التي تظهر الجانـب الخاص للشخصية، بل ذكر أخباراً عامة وإنما تظهر مدى مشاركته في المجال الذي اختص به، كما أن العمري اتبع هذه الترجمة العامة بنقولات تخلـو مـن المـسحة الأدبية لكن العمري عمد إليها لأنه اراد أن يرسخ ما ابتـدئ بـه حـول مـشاركة المترجم له.

لقد كان للطبيعة الموسوعية لكتاب مسالك الأبصار أثر كبير في تنوع تـراجم الأعلام وأصنافهم، فقد استوعب العمري، ذكر رجال المشرق ومـصر والمغـرب والأندلس في مختلف فروع المعرفة الإنسانية (كالطب والفلسفة والفلك والفقه والأدب والوزارة والكتابة والصوفية والفقهاء والقراء والمحدثين) فقد قسم هؤلاء الأعلام إلى أصناف وفق حقل شهرتهم، وقسمهم على أساس أمكنـتهم وأزمنـتهم، فنجـد أنـه خصص الجزء الخامس للقراء والمحدثين والجزء السادس للفقهاء والجـزء الـسابع للنحويين واللغويين وأصحاب البيان والجزء الثامن للـصوفية والتاسـع للحكمـاء والأطباء والجزء العاشر للمغنيين والجزء الحادي عشر للوزراء والكتّاب والجـزء الثاني عشر لكتّاب الإنشاء والجزء الثالث عشر لكتّاب الإنشاء المغاربـة، والجـزء الرابع عشر فقد خصصه لشعراء الجاهلية والدولة الأموية والشعراء المخـضرمين وشعراء الدولة العباسية، والجزء الخامس عشر فقـد خصـصه لـشعراء الدولـة العباسية، والجزء السادس عشر فقد خصصه لشعراء المشرق الإسلامي في عصري

---

[1] ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد الدمشقي، طبقات علماء الحديث، تحقيق إبـراهيم الزيبـق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، 2/ 228.

[2] ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر، بيروت 1404هـ: 1/ 193.

الأيوبيين والمماليك، والسابع عشر لشعراء المغرب والأندلس،والثامن عشر لـشعراء مصر والتاسع عشر لبقية شعراء مصر.

وقد غدت مشاركة العمري في كتابه ألوان الترجمة بارزة ومثيرة، تجعل منه أحد أقطاب كتّاب الترجمة في الثقافة العربية الإسلامية، ونلاحظ ممـا تقـدم فقـد خصص عدة أجزاء للترجمة العلمية حتى شملت طبقة الفقهاء القـراء والمحـدثيين والصوفية والحكماء والأطباء.

أما في لون الترجمة الأدبية التي تشكل محور الاهتمام في هذه الدراسة، فقـد ترجم لطوائف الكتّاب والوزراء والشعراء والخطباء وعلماء اللغة والبيـان ترجمـة أدبية محور اهتمامها الأسلوب الأدبي المسجوع المتأنق بالإضافة إلى التركيز علـى الإبداع الأدبي والإنتاج الشعري والنثري.

1.3 طريقة ترتيب التراجم الأدبية في مسالك الأبصار:

لقد شكّل رجال مسالك الأبصار ممن تيسرت تراجمهم بـين يـدي العمـري أصنافاً وطوائف متعددة وطبقات متباينة كما ذكرت فيما تقدم، فقد جعلهم في عـدة أصناف أو طوائف هي:

1- الشُعراء.
2- الوزراء والكتّاب.
3- الموسيقيون.
4- أصحاب العلم كالفقهاء والقراء والمحدثين والصوفية.

لقد سلك العمري طريقة قائمة على التلفيق بين أصناف الترتيب في تجـارب سابقة من أصحاب كتب التراجم والسير، وقد سارت تراجم المـسالك علـى هـدى الخطوات التالية:

الشهرة العلمية: أشار العمري في مقدمات تراجمه إلى ذلك، فقد ذكر المـشهورين ولم يذكر المجهولين، فقال بخصوص ذلك "وسنأتي منهم على الغرض: فمنهم مـن تذكره لاشتهار اسمه، ومنهم من تذكره باستحقاقه ثم قسم هؤلاء على قسمين"[1].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 11/12.

وبذلك يكون العمري قد اعتمد المعايير التالية:

1- الكثرة في الانتاج والقبول في الجودة.
2- المقدرة على الغوص في البحث عن المعاني.
3- الاستحقاق.

ويظهر ذلك جلياً حينما ترجم للمغنيين حيث يقول في التقديم لهم، "وقد أتيت منهم على مشاهير أهل الغناء، ممن ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الجامع، وفي كتاب الإماء"[1].

الشمول النوعي:

لم يقتصر العمري تراجمه على نوع معين من المشهورين والأعلام، بل تنوعت الفئات والطوائف التي ترجم لها، فشملت معظم الوزراء والكتّاب والشعراء والمغنيين وأصحاب البيان وحفظة ألسنة العرب والخطباء والعظماء والبلغاء والنحاة وغيرهم، ممن عاشوا في عصره، و العصور التي سبقته، ولقد حظي معاصروه بنصيب كبير من تراجمه، وعد العمري المصدر الرئيس لترجمتهم، ذلك أنه أول من ترجم لهم، فلم يسبقه أحد إلى ذلك، نراه في تراجمه لهؤلاء الفئات من الناس يعتمد على مصادر مباشرة عن شيوخه أو من الشخصية المترجم لها أو من مشاهداته ومعاينته لأمور كثيرة.

عناصر الترجمة:

تختلف المادة التي يضمنها العمري تراجمه من ترجمة إلى أخرى، ويعود ذلك إلى طبيعة طائفة المترجم له ودوره العلمي أو الأدبي أو مكانته السياسية من جهة، فترجمة المغنيين على سبيل المثال لها نمط مختلف بعض الشئ عن ترجمة الوزراء والكتّاب. فضلاً عن طبيعة المصادر التي اعتمد عليها العمري، فالمصادر لها دور كبير في طبيعة الترجمة، وقد أشار العمري إلى ذلك في مقدمات تراجمه بطرائق متعددة، وكان يخصص لكل طائفة مصادرها الخاصة بها، يدل ذلك على سعة علمه واطلاعه، ومعرفته الوافية بكل المصادر المتعلقة بكل فئة من الفئات التي ترجم لها، وكان للعمري توجه خاص في صياغة تراجمه الأدبية، يمثل حسه الفني، فهو نابع

[1] العمري، مسالك الأبصار: 10/ 11.

عن ثقافة أدبية ثرة وخبرة واسعة، واطلاع عميـق فـي مجـالات الأدب والفـن، واستطاع من خلالها الوصول إلى أحكام وتفصيلات أدبية في كثير من المواضـع[1].
على أننا نستطيع أن نميز المنهج العام الذي سار عليه العمري في كتابه فـي ذكـر محتويات تراجم الأدباء وغيرهم بالأمور الآتية:

1- اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته.
2- مولده أو ما يدل على عمره وعصره وتحديد تاريخ الوفاة.
3- نشأته ودراسته.
4- إنتاجه وتلامذته.
5- مكانته العلمية وعقيدته وآراء العلماء فيه، ورأي العمري.

ولكن ليس شرطاً أن تتوافر جميع هذه الأمور في الترجمة الواحدة، وقد توجد جميعها في ترجمة واحدة، وقد توجد طائفة منها، أو لا يتوفر منها إلا القليل، اعتماداً على طبيعة المترجم له ووفرة المعلومات عنه وعن عصره.

الاسم والنسب واللقب والكنية:

يبتدئ العمري الترجمة بذكر اسم المترجم له، واسم والده وأجداده أي نـسبه، ولكنه يباين في ذكر الأسماء فأحياناً يبتدئ بذكر الاسم والنسب واللقب والكنية على هذا الترتيب، وأحياناً يبتدئ بذكر اللقب قبل الاسم، وأحياناً يذكر الكنيـة ويتبعهـا بالاسم واللقب، ولم يعتمد العمري ترتيباً نمطياً في ذكر الأسماء، لأن ذلك لا يـشكل عند العمري محوراً أساسياً من محاور الترجمة ذلك أنه يقصد من ذلـك التعريـف باسم المترجم له بغض النظر عن لقبه ونسبه، فهو يـذكرها مـن أجـل التعريـف بالمترجم له، ففي ترجمته للنحويين واللغويين وأصحاب البيان، يبتدئ التراجم بذكر الكنية ثم يتبعها بالاسم واللقب، ومن ذلك قوله:"أبو الحسن، النضر بن شميل التميمي المازني"[2] ولكن في ترجمته للأصمعي يبتدئ بذكر اللقب حيث يقول: "الأصـمعي،

---

[1] انظر: الهروط، عبد الحيلم النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، ط1، 2006م، 1426هـ: 124.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/7، انظر ترجمته: ابن أبي حاتم، الجرح والتعـديل: 8/ 477، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 397/5.

عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو بن عبد سمش الباهلي أبو سعيد الأصمعي البصري "[1].

ويترجم لبعض أعلام هذه الطائفة بقوله: "أبو عبيد القاسم بن سلام الأنصاري، ومولاهم البغدادي القاضي"[2] ونراه في بعض التراجم يطيل الحديث عن النسب والألقاب، فيقول: "أبو عبد ا ، محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، الكوفي، اللغوي، مولى آل العباس بن محمد الهاشمي"[3]، ونراه في بعض الأسماء يكتفي بالاسم الأول والثاني والكنية فقط، كقوله: "أبو يوسف يعقوب بن السكيب"[4]، وأحياناً يذكر اللقب ثم الكنية ثم يتبعه الاسم، يقول: "الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد ا بن منظور الأسلمي، الديلمي، الكوفي"[5].

ويورد في تراجمه لبعض الأعلام نسبتهم إلى العلم أو الحرفة أو الصفة التي يشتهرون بها، ولأن تراجمه يغلب عليها الطابع الأدبي، نراه يولي ذلك أهمية كبيرة، فهو يترجم لشخصيات أدبية، فيعنى بانتاجهم وتخصصاتهم، وما نبغوا فيه من علوم وآداب وفنون؛ لذا تكثر في تراجمه هذه الألفاظ التي تدل على تخصصهم ومجالات اهتماماتهم الأدبية، فمنهم النحوي، اللغوي، والأخباري، والمؤدب، وصاحب التفاسير المشهورة، والكاتب، إن هذه العناية الكبيرة بذكر أنساب المترجم لهم وبلدانهم وانتماءاتهم تشكل في حقيقتها مادة غنية وجزءاً مهماً من الترجمة.

ولم يول العمري في ترجمته للشعراء النسب أهمية كبيرة كغيرهم من الفئات الأخرى التي ترجم لها، فقد ركز في ترجمته لهذه الفئة على اختلاف أزمانها وأمكنتها على الإنتاج الشعري لهؤلاء الشعراء، لذا نراه يطيل في سرد أشعارهم ويباين في موضوعاتها، وهذا أمر غير مستغرب من العمري فقد غلبت على تراجمه الصبغة الأدبية، فهو معني بإنتاجهم الأدبي الشعري والنثري.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 29.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/7.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 36.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 7 / 37.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 111/7.

ومن الشواهد على ذلك ترجمة السراج الوراق[1]، اكتفى العمري بـذكر اسـم الشهرة ثم ترجم له من صنيعه حول صفاته وأسلوبه وما تميز به، بعد ذلك يطيل في إيراد منتخبات ونماذج من شعره في موضوعات مختلفة، سعى من خلالها إلى إبراز موهبته الشعرية والأدبية. حيث يقول: "سراج ما برح لسانه يلهج، وإحـسانه فـي تجلية الظّلام طريقاً ينهج، طارت أجنحة ضرمه بالسمعة، وتوقد منه الـسراج وقـد شرقت بالبكاء الشمعة وكان من شعراء ذلك العصر على توقد جمـرتهم، وتـوقّي نيران أسرتهم " [2].

والافت للانتباه أن العمري كان يستغل قدرته الانشائية على توظيـف أسـماء بعض الذين يترجم لهم، في إضاءة جوانب في سيرهم الأدبية، أو إلقاء الضوء على بعض ملامح نتاجهم الشعري أو النثري، فحينما ترجم لابن السراج المالقي، قـال: "ومنهم أبو عبد ا بن السراج المالقي، سراج يجلّي من الليل ما بقي، ومجـاج مـا عدم الشهد من له لُقي"[3].

ومن ذلك أيضاً قوله في ترجمة ابن محرز، يقول: "محرز لغاية، ومبترز فـي غوايه، تردد بين الحرمين، مكة والمدينة، للقاء المحسنين والالقاء من المغنين "[4].

كما كان العمري يولّد من أسماء المترجم لهم ألفاظاً تحمل دلالات في الثنـاء عليهم. ومن الشواهد على ذلك. بنو مخلد وبنو صاعد: "ولهم ذكر مخلد وجد صاعد، واكتفى من ذكرهم بقول البحتري فيهم"[5]: (الكامل)

وإذا رأيت شمائل ابني صاعدٍ	أدت إليك شمائـل ابني مخلد
كالفرقديـن إذا تأمـل ناظـر	لم يعْلُ موضع فَرْقَد عن فَرْقَدِ

---

[1] الوراق، عمر بن محمد بن حسن، سراج الدين الوراق، توفي سنة 695 هـ، انظر: الكتبـي، فوات الوفيات: 140/3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 8/ 83.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/19، وقد امتدت ترجمته من صـفحة 11- 129 وتـضمنت مقطوعات شعرية متعددة.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق2 / 70.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 10 / ق1 / 13.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 101/11.

ومن الظواهر التي تثير انتباه الدارس للترجمة الأدبية أن الغالب الأعم فيهـا أنها تتضمن حديثاً عاماً عن الأعلام المترجم لهم، دون تعمق في جزيئات حيـاتهم، كما هو الحال في أصناف الترجمة الأخرى، وأنها تقدم في إطار من تأنق المؤلـف في لغته وصياغته بطريقة فنية حافلـة بـضروب المحـسنات البديعيـة: اللفظيـة والمعنوية، آخذة بالمثل الأعلى السائد وسائرة على مقاييس العصر الأدبية.[1]

ولم يكن من اهتمام العمري أن يقف على تفاصيل حياة من ترجم لهـم، مـن معاصريه أو سابقيه، بل كان يسعى إلى تخليد مآثرهم وتسجيل أروع مـا انتجتـه قرائحهم من نظم ونثر، لذا نراه يطيل في سرد نماذج من نتاجه الأدبي، فهو يقـصد إلى ذلك قصداً ؛ لأن الهدف العام من الترجمة لهذه الشخـصيات، وكأنـه أراد أن يعرض هذه الترجمة بطريقة مدبجة لا يقحمها إقحاماً بل يقدم لها بغرض يتناسب مع مادتها، لذا جعل الاسم والنسب مدخلاً ورافداً لتعرف على الانتاج الأدبـي بـشقيه النظم والنثر، فقد اتخذ ذلك سبيلاً للولوج إلى مضامين تراجمه. وما يؤيد ذلك كثرة الأشعار التي يوردها لبعض من ترجم لهم، وتباين موضوعاتها وهي تكشف لنا عن ذوقه الأدبي باعتبار الاختيار لا يخلو من أثر الذات[2].

لقد استطاع العمري بذوقه وبراعته أن يورد تراجم لطوائف متعـددة، تتبـاين اصنافها ومادتها، فقد نهل من معين لا ينضب فـي الاختيـار والتعليـل والتحليـل والاستنتاج فلم تكن مادته للترجمة مادة أولية، بل أعاد تشكيلها بما يتناسب مع ذوقه وفكره وثقافته، مراعياً أمور عدة في ذلك منها الزمان والمكان والطائفة والمصادر التي ينهل منها، وخصوصية بعض الشخصيات التي ترجم لها.

المولد:

لقد اعتنى العمري بذكر تواريخ ولادة المترجم لهم، عند توفر ذلك، لما لـذلك من أهمية كبيرة في الاطمئنان على لقاء المترجم له بشيوخه، وسـماعهم لهـم، أو اجازتهم له.

---

[1] القيسي، فايز ترجمة ابن السيد البطيوسي للفتح بن خاقان، المجلة الأردنية في اللغة العربيـة وآدابها، المجلد (4)، العدد (2) ربيع الأول 1429 هـ - نيسان 2008 م: ص 62.

[2] جبران، فنون النثر في اثار لسان ابن الخطيب: 1/ 467.

وحينما تتضارب الآراء حول دقة تاريخ الولادة، يرجع إلى قرائن قد ترشده لذلك، ومن ذلك ما ورد في ترجمته أبي عبيدة معمر بن المثنّي التيمي: "ولد في رجب سنة عشرة ومائة، وقيل غير ذلك، والأول أصح لأنه سئل متى ولدت ؟ فقال: قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة، وقد قيل له: متى ولدت ؟ فقال: في الليلة التي مات فيها عمر ابن الخطاب، فاي خير رفيع، وأي شر وضيع، وإني ولدت في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، فجوابي جواب عمر بن أبي ربيعة "[1].

وحينما لا يجد ما يدعم رأيه ويرجحه، يذكر الآراء المتضاربة ويبقيها دون تعليق، يقول في ترجمة أبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر، الأزهري، الهروي، "وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وقيل سنة احدى بمدينة هراة، رحمه ا تعالى"[2].

ولكننا نستشف من منهجه أنه يميل إلى رأي دون آخر، فحينما يقول كانت ولادته، فهو يقرر ذلك، أما حينما يقول وقيل نلمح شكه في المعلومة.

وعني العمري بنقل سنة الوفاة أكثر من عنايته بسنة الولادة، وذلك لتوفر المعلومة عن سنة الوفاة أكثر من سنة الولادة بالشكل الدقيق، لذا نلمح في كتابه ذكراً ليس بالقليل لسنة الوفاة نسبة إلى سنة الولادة، ولكن تتباين طرق الإشارة إلى ذلك التاريخ فأحيان يذكرها باليوم والشهر والسنة، وأحياناً يشير إلى السنة، وتارة أخرى يقرنها بحوادث أخرى قد حدثت، أما بالنسبة إلى الترتيب لذكر الحوادث فلم يعمد إلى ترتيب معين، فكان يذكرها في بداية الترجمة، أو في ثناياها أو يختم بها ترجمته، وبعض من ترجم لهم لم يذكر سنين ولادتهم ولا سنين وفاتهم. ومن الأمثلة على ذكره تاريخي الولادة والوفاة اللذين يختم بهما ترجمته، قوله: في ترجمة ابن جماعة، "ولد لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وأربعين وخمسمائة وتوفي بها سحر يوم السبت تاسع المحرم سنة ثلاثة وعشرين وستمائه"[3].

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 25.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 51.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 215.

وأحياناً يذكر العمري سنة الوفاة بعد التعريف بالاسم، فيقول:"أبو منصور، عبد الملك بن أحمد بن اسماعيل الثعالبي: توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائه"[1]. وحينما تتشابه الأخبار التي يوردها وينقلها من غيره، يعبر عن ذلـك ويظهـر اسـتغرابه تجاهها، وقد ظهر ذلك حينما ترجم للشريف الشجري، ففي نهاية الترجمة يشير إلى سنة الولادة والوفاة ويبدي استغراباً بقوله: "ولد في رمضان سنة خمس وأربعمائـة، وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، وعندي ما ذكره ابن خلكان، أي مدة عمره نظر، فإنه قل أن يبلغ أحد هذا المدى من العمر في زماننا الأخير في خطة العمر القصير"[2].

ولم يكن شعراء الدولة العباسية كغيرهم ممن ترجم لهم العمري، فقد عني بسنة الوفاة وقدمها فذكرها بعد الاسم، ربما لتوفر المعلومة، ولما لهذا التاريخ من أثر في تحول الحياة الأدبية بفقد علم من أعلامها، ومن الشواهد على ذلـك ترجمـة أبـي العتاهية: "اسمه اسماعيل بن القاسم، توفي سنة إحدى عشرة ومائتين، "[3]

وقوله: ومنهم أيضاً،" أبو نواس: الحسن بن هانئ توفي سنة خمـس وثمـانين ومائة "[4].

و "مروان بن أبي حفصة، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة "[5]

و"ديك الجن: عبد السلام بن رعبان المعروف بالحمصي توفي سـنة خمـس وثلاثين ومائتين"[6].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 142.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 148.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق2 / 80.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 14/ 2/ 29.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 14/ 2/ 19.

[6] العمري، مسالك الأبصار: 14/ 2/ 124.

ويشير العمري إلى مكان الوفاة في بعض التراجم، ومن ذلك قوله في ترجمة البحتري حيث يقول: "توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين بمنـبج "[1]، وفـي ترجمـة: "اسماعيل الهربذ حيث يقول: توفي ببغداد سنة ست وعشرين ومئتين"[2].

كما يشير أحياناً إلى الوفاة وسببها والاختلافات في تأريخها، ومن ذلك قوله في ترجمة علية بنت المهدي: "ماتت علية سنة تسع ومئتين، ولها من العمـر خمـسون سنة، وصلى عليها المأمون، وكان سبب وفاتها أن المأمون يوماً ضمها إليه وجـل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطى، وذكر أيضاً فشرقت من ذلك وسعلت ثـم حمـت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت"[3].

ولعل ذلك يعود إلى تباين من ينقل عنهم العمري، فمرة يشير إلى سنة الولادة والوفاة، ومرة أخرى يذكر التواريخ بدقة في اليوم والشهر والسنة والمكان، وثالثـة يذكر السنة لا غير، وتارة يربطها بحوادث آخر، وأخرى يذكر أكثر مـن تـاريخ ويرجح بينهما لقرائن قد تهديه إلى الصواب.

أما بالنسبة إلى موقع هذه التواريخ من الترجمة، فقد تمـايزت المواقـع عنـد العمري، فكان يبتدئ بها الترجمة حيناً، وكان أحياناً يذكرها في ثنايا الترجمة، وفي أحيان أخرى يختم بها الترجمة، وفي أغلبها أغفل هذه التواريخ.

وتتآزر عناصر الترجمة التي يعرضها العمري، لتفصح عن إبداع المترجم له، ذلك أنه عني عناية فائقة بالعناصر التي تظهر إبداع المتـرجم لهـم، وهـذا لـيس بالمستغرب لأن العمري قد أراد لتراجمه أن تكون أدبية الصبغة مما يعنيه من حياة الشخصية هو إنتاجه وإبداعاته ولكن هذا الانتاج والإبداع لا يتأتى من فراغ لا بـد من روافد ومقومات كان لها الأثر الأكبر في تقويم هذه الشخصية، لذا نرى العمري لم يغفل هذه المؤثرات التي كشفت الستار عن المواهب وأزالت الغمام عن القرائح، فكان للدراسة والشيوخ الأثر الأكبر في إبداع الشخصيات التي تـرجم لهـا لـدى العمري.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14/ 2/ 151.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق1/ 105.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق2 / 25.

فكان للنشأة والشيوخ أثرُ بالغٌ في إبداع الشخصية المترجم لهـا، لـذا نـرى العمري لم يغفل هذه القضية، والكشف عن مواهب المترجم له وأسراره وعبقريتـه من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه. ففـي ترجمتـه للنحويين واللغويين وأصحاب البيان، قد أظهر اهتماماً في نشأتهم لما لذلك من أثـر يترتب على الإبداع، ومن ذلك ترجمته لكمال الدين عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الشهبي الشافعي[1]، فذكر شيوخه بقول:"أخذ الفقه عن الشيخ تاج الدين، والنحو عـن أخيه شرف الدين وغيره، وبرع فيها"[2].

وذكر ذلك حينما ترجم لابن المعتز، بقوله: "وأخذ الأدب عن المبرد، وثعلـب، وغيرهما، وكان محباً للعلماء معدوداً منهم "[3].

أما بالنسبة إلى التصانيف والإنتاج الأدبي، فهو ما يسعى إلى إظهاره العمري، فلم يأل جهداً في تعدادها وتقييمها، وتمحيصها، وتضمينها تراجمه، فقد كانت بعض القصائد تستوقفه فيقوم بتحليلها ونقدها وتقديم الآراء حولها، لذا نظفـر بعـدد مـن المقطوعات الشعرية المختلفة الموضوعات، والنصوص النثرية المتنوعة القـضايا. وقد ذكر ذلك في ترجمته لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر، "وكـان أبـو منصور المذكور جامعاً لشتات اللغات، مطلعاً على أسرارها ودقائقها، وصنف فـي اللغة كتاب، "التهذيب" وهو أكثر من عشر مجلدات، وله تصنيف في "غريب الألفاظ التي يستعملها الفقهاء" في مجلد واحد، وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل علـيهم من اللغة المتعلقة بالفقه وكتاب "التفسير" "[4].

ونلاحظ أن العمري يورد المصنف ويورد معه وصفاً في عدد اجزائه ومادته.

---

[1] توفي سنة 726 هـ، انظر ترجمته: الصفدي، أعيان العصر: 205/3، والـسيوطي، بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البـابي الحلبي، القاهرة، 1964م: 124/2.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 242.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 65.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 51/7.

كما يحرص العمري على إظهار الجانب الإبداعي للمترجم له، فحينما لا يسمح المجال بذكر التصانيف فرادى، يذكرها جملةً واحدة، ويشير إلى ذلك لضيق المجال لذكرها أو لعدم إطلاعه عليها، وربما يكون أحد الأسباب تعذر الوصول إليها لأنها قد تكون في حكم المفقودة أو لكثرة هذه المصنفات، وقد أشار إلى ذلك في ترجمة يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد ابن الحسن من ولد عمر بن هبيرة الشيباني، قال: "له تصانيف مشهورة، ومفيدة، لا أدعي حضورها لأنها عديدة"[1]. كما يذكر ذلك في ترجمة قطرب، وهو أبو علي: "وله التصانيف المفيدة وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وكتابه وإن كان صغيراً فيه فضيلة السبق"[2].

وفي ترجمة ابن السراج، قال: "وله التصانيف المشهورة في النحو "[3].

وجاءت بعض الإشارات للمصنفات بمثابة قرينة تدل على عدم إطلاعه عليها، فحينها يجملها مرة واحدة أو يذكرها دونما تعقيب أو إشارة إلى مضامينها، ومن ذلك ما ورد في ترجمة ابن مالك، "وهو عبد ا ، محمد ابن عبد ا بن مالك الطائي، الجياني النحوي، جمال الدين، وله عدة تصانيف حسنة مفيدة"[4].

وبذلك يكون العمري قد أفاد من الترجمة إفادة كبيرة ومتنوعة، وذلك من خلال إطلاعه على الإنتاج الأدبي المتنوع، فقد ظفر بدقائق الأمور على الرغم من كثرة أعداد من ترجم لهم من فئات متباينة، ولم يقنع العمري بذلك بل تعدى إلى الإنتاج الشعري في ترجمته لطوائف الشعراء، فقد انكب على الشعر دراسةً وتحليلاً ومقارنة وموازنة، لذا يزخر كتابه بالأشعار المتباينة في موضوعاتها ومستوياتها الفنية، وهو يعمد إلى ذلك، ليبرز مقدرة الشاعر الإبداعية وهذا ما يصبو اليه من التراجم.

يقول في ترجمة بشار بن برد: "ولكنه كان فحلاً من فحول الشعر لا يذاد سوامه، ولا تهيب لليقظة نوامه، لو تقدم في صدر الدولة الأموية لما حمد شعر حميد

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 135.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 110.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 127.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 235.

بن ثور الهلالي، ولا أثبت الفخر لأبي صخر الهذلي، ولا جـرى ذكـر الفـرزدق وجرير، ولا أجلس الأخطل عند الخليفة على السرير، ولا عد عدي بن الرقاع، ولا كان الراعي ممن لا يراعي، ولا قيل قال مالك بن اسماء بـن خارجـة، ولا وفـر نصيب في هذه الأسماء الرابحة" [1].

إن هذه الموازنة والمقارنة بين من يترجم لهم العمـري، تـدل علـى سـعة اطلاعه، ومعرفته بطرائق الشعراء ومنازلهم.

فيقول في هذا الشأن: "وربما انحط في شعره تعمداً، وانحل للنساء تقـصداً أو تصيداً، وإلا فهو العالي نمطه، الغالي ما يخبأه سفطه، ويهنيه أن الدر سقطه "[2].

ومما يعلي من شأن كتاب العمري هنا ذكره نصوصاً شعرية لـم تـرد فـي المصادر الأخرى التي انتهت إلينا، وبذلك يعد المصدر الوحيد لهذه الأشعار، ومـن الشواهد على ذلك، ما ورد في ترجمة إبراهيم بن خفاجة، أبي اسحاق[3]، قوله:[4]

أذى الناس كالماء عند المذاق	منه الزلالُ ومنـــه الأجـاج
ونقصـان هذا كمـالٌ لـذا	ولولا الدجى ما أضاء السراج

وقوله:[5]

وسود الوجوه كوجه الصدود	تبسمن تحت عبوس الغبش
إذا مـا تجلى بيـاض النهار	تطلّعـن في وجهه كالنمش
كأنـي أقطف منهـا ضحى	ثـدي صغار بنات الحبش

وهي مما لم يرد في ديوان ابن خفاجة.

ويسترشد العمري ببعض أقوال المترجم له من مؤلفاته، ويـشير إلـى ذلـك، فحينما ترجم للجاحظ، نقل نقلاً مباشراً من كتابه البيان والتبين، بقوله: "وقال الجاحظ

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14 / ق2/ 22.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14م ق2 /22.

[3] توفي سنة 450 هـ / 1137م، انظر مقدمة ديوانه، تحقيق دار صادر.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 17 /ق1/ 139، لم ترد الأبيات في الدبوان والذخيرة.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق143/1 , لم ترد الأبيات في الديوان والذخيرة.

في كتابه البيان والتبين: وقد صحت الإبانة عن الحروف منه إذا سـقط أكثرهـا أو خالف أحد شطريها للآخر، وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس" [1].

ويبدي العمري أحياناً أحكاماً نقدية، يعلل فيها أسباب إيراده لـبعض القـصائد وتأويله ما يتعلق بها، ومن ذلك مما جاء في ترجمة زين الدين المالقي: ذكر قصيدة فقال: وذكر في أحدها قصيدة البدر يوسف بن لؤلؤ، وهي [2]:

هـل ذاك برق بالغويـر أنـارا أم أضرموا بلوى المحصب ناراً

وكلاهما إن لاح من هضب الحمى بي شـق ومهيج تذكـــاراً

وقد أوردها العمري كاملة، ثم اتبعها بتعليل وتأويل، حيث قال: "وهذه القصيدة وإن لم يكن هذا موضوعها، فقد ذكرتها لاستشهاده بها لأنه كان من سـببها، ولمـا تفردت به من حسن مذهبها وأظنه إنما قصد معارضتها بقـصيدته التـي ذكـرت مطلعها:

إن السماء بطير الماء في الزرق

ويبدي العمري اهتماماً واضحاً بالأشعار التي يرفد بها ترجمته للشعراء، فقـد تعددت الأشعار التي نقلها العمري من مصادرها المختلفة، وقد تعددت الموضوعات التي اختارها، فلم يأل جهداً في حشد العدد الأكبر من القصائد التي تألق بها الشاعر، إذا قل شعر الشاعر اعتذر العمري عن قلة الأشعار. ومن الشواهد على ذلك ترجمته ابن بليطه [3] حيث قال:"ولم أظفر من شعره إلا بنزر يسير، على أن إحـسانه فيـه كثير" [4].

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، توفي 255هـ، البيان والتبـين، تحقيـق عبـد الـسلام هارون: 1/ 61.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 281/7.

[3] هو أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة، كان في وقته إحدى الغرائب، وأعجوبة فـي عيـون العجائب، انظر: ترجمته، ابن بسام، الذخيرة: ق1. م2/ 790. ابن سعيد، المغرب: 2/ 17.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق2 / 61.

ولأن العمري أراد للترجمة الصبغة الأدبية، فقد استوقفته بعض القصائد، فوقف عندها مطولاً ذاكراً مناسباتها وتحليل مضامينها، وإصدار احكام بشأنها، وأحياناً يعتمد في أحكامه على غيره من النقاد، وأخرى يبدي أحكاماً خاصة.

فمن القصائد التي استوقفت العمري، في ترجمة إبراهيم بن سهل الإسلامي[1]، حيث يقول: "ولقد مدح وهو على دين اليهودية الجناب الشريف النبي المحمدي زاده ا تشريفاً بقصيدة لم تدع مسمعاً، ولم تدع مدمعاً، وسأذكر بعضها لغرابتها، وعلو ّ رايتها على غرابتها، ولأنها من الدر الذي يخزن، والذهب الذي لا يسمح به أن يوزن، هذا مع عجائب وقوعها من مثله قبل إجابته وروجوع بصره وإنابته"[2] وهي:

وركـبٍ دعتهم نحو طيبةٍ نيةٌ	مما وجدت إلاّ مطيعاً وسامِعا
ويسابق وخد العيس ماء شؤنهم	فيقفون بالبرق المدى والمدامعا
إذا انعطفوا أو رجعوا الذكر خلتهم	غُصوناً لدناً أو حماماً سواجعا

أما بالنسبة إلى الكتّاب، فقد أورد العمري نماذج من إنتاجهم النثري من رسائل وخطب ومقامات، وقد كان يفسر أحياناً ما يرد في ثنايا الرسائل، ففي ترجمة بديع الزمان الهمذاني، يترجم له بذكر مواهبه وما يتميز به، ثم يوازن بينه وبين بعض الكتّاب، ثم يورد له نماذج من نثره، ويفسر ما ورد في ثناياها، حيث يقول: "وكان يقترح عليه عمل قصيده أو إنشاء رساله في معنى غريب وباب بديع، فيفرغ منها في الوقت والساعه، والجواب عما فيها، ويوشح القصيدة الفريدة من قلبه في الرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم ومن النثر، ويعطي القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عروض، فيرتجله في اسرع من الطرف، على

---

[1] هو إبراهيم بن سهل الإشبيلي الإسلامي، كان يهودياً فأسلم، انظر ترجمته: ديوانه، تحقيق إحسان عباس: ص9 وما بعدها، ابن سعيد، المغرب: 1/ 269.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق2/ 159.

ريق لا يبلعه، ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة، وقبض اليـد، ومـسارقة العلم، ومجاراة الخاطر "[1].

وينسب العمري الأشعار إلى أصحابها، ويفسر بعض الكلمات التي تـرد فـي الأشعار وتكون غامضة، ومن ذلك ترجمة ابن العلاف نديم المعتضد، حيث يقـول: "والشعر لقطري بين الفجاءة، وروي لعمر القنا، وروي لحبيب بن سهم، وقيل: بـل لعبيدة بن هلال اليشكري، ودولاب اسم قرية من أعمال الأهواز كانت بهـا حـرب الأزارقة وابن عنبس بن كريز أيام ابن الزبير "[2]. وبذلك يكون العمري قد ركز في تراجمه على الجانب الإبداعي لكل شخصية قد ترجم لها، فقد أولى ذلـك اهتمامـاً بالغاً، فقد ظهر جلياً من خلال التراجم التي أشرنا إليها.

2.3 التنظيم الداخلي للترجمة:

تندرج الترجمة في مسالك الأبصار كما سبق وفق مجموعـة مـن العناصـر والوحدات يتصدر كلا منها عنوان يحدده صنف المترجم لهم المندرجين تحته، وهي وحدات تتفاوت من ترجمة إلى أخرى في العدد، والمادة الإخبارية، ولتوضيح ذلـك يمكن القول أن هذا الأمر يتوزع على ثلاثة أشكال هي:

1- الترجمة التمهيدية:

ويتمثل هذا اللون من التراجم بتلك المقدمات التي كان يبتـدئ بهـا العمـري تراجمه لجميع الطوائف التي ترجم لها من شعراء وكتّاب ومغنين ووزراء وغيرهم، وتتسم بالإيجاز، ويقدم فيها مجموعة من المعايير التي يعتمدها في تراجمه من حيث الاسم والمنزلة، ومن الشواهد على ذلك ترجمة محمد بن جعفر، أبي عبد ا القزاز التميمي[3]، حيث قدم له بقوله: "لا ينسج له على طرح، ولا يغار لبزه علـى شـرح، وهو أدرى بنسيج حلله، وأعرف بقدر حلله، يسلم القريض منه إلى بزازه، ويقدم منه

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 56-63. للمزيد حول الإنتاج الإبداع النثري للكتّاب، انظـر: الجزء الثاني عشر وهو مخصص لترجمة الكتّاب المشارقة، وقد أكثر العمري مـن إيـراد نصوص نثرية.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق2/ 90.

[3] انظر ترجمته، ابن خلكان ن وفيات الأعيان: 374/4، الصفدي، الوافي بالوفيات، 302/2.

إلى العلم بما هو أوفق لطرازه، ولو سبق ميلاده في تميم لألحقه لعردفها، ووازت شمسه بقمرة في أفقها"[1].

فقد ربط العمري بين اسم المترجم له وترجمته، كما ولد معانٍ من اسمه للترجمة، وبذلك يقدم العمري وصفاً عاماً يستند فيه إلى قراءاته حول الشخصية المترجم لها، بإسلوبٍ أدبي شائق من خلال استعماله الألفاظ المتساوية الأوزان، هذا فضلاً عن تساوي الجمل في الطول والقصر، كما كان للفاصلة دور في تمكين الجرس الإيقاعي، وظهر ذلك جلياً في تراجمه المختلفة حيث كان العمري يهتم كثيراً بتأنق الأسلوب الأدبي الذي يقدم به للمترجم له.

ومن الشواهد أيضاً قوله في ترجمة عبد ا بن جدعان[2]:

"سيد تيم في الجاهلية، ومشيد المفاخر الجلية، شرفه رسول ا (صلى ا عليه وسلم) بدخول داره، وطرفه مطارف فخاره، وكان قد أتى ملك آل ساسان، وسمع عنه غناء الحسان، وشدا جانباً مما سمع، واحتذى منه ما لو علم جمع، وإنما كان هو وسادات العرب يتغنى غناء الركبان، ويتأتى بها حلا الفضلاء ورؤوس الكتبان"[3].

ونلاحظ أن العمري قد بين منزلته، ثم عرض طرفاً من مجريات حياته الاجتماعية، فقد كان العمري يوائم بين المقدمة والطائفة التي يترجم لها، في هذه الترجمة التي هي جزء من طائفة أهل الطرب، فقد جعل موضوعها وفكرتها التي يمهد بها للترجمة الغناء والطرب، ومنزلته فيهما.

ومن النماذج التي كانت تستوقف العمري البيوتات الأدبية، حيث كان يورد لهم ترجمة عامة ثم يفصل الترجمة فيهم، ومن الشواهد على ذلك قوله في ترجمة بني الفرات؛ يقول: "وهم كبراء الوزراء والكتّاب الذين تلقوا أمر الخلافة، وأطربوا

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 263.

[2] عبد ا بن جدعان: التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي (صلى ا عليه وسلم) قبل الإسلام، كان من حكماء العرب في الجاهلية، توفي بالجاهلية قبيل البعثة. الأصفهاني، الأغاني: 449/8.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 10/ق1/ 109.

ببدائعهم لا بالسلافة، وتنقلوا في المماليك فكانوا نواها، وتتبعوا خللها وكادوا لأواها وضعوا الأيام بالمبرات، وسعوا بالتئام المسرات، وخدموا الملوك، ونظموا السلوك، وأفادوا فئناً جساماً، وكسفوا البدور وهوجاً وساماً، فما حلو في إقليم إلا وحلوا بحلوله كنفه، وولوا قمارهم تحفه وتدفق في كل يوم مرتع منهم عذب فرات ونافق كما نشرت عليه خيرات..."[1].

وقدم العمري لهذا النمط من الترجمة بتمهيد يتكلم فيه عن منزلة هؤلاء الوزراء، ثم تتبع جانباً من حياتهم وصفاتهم، فقد قدم من خلال هذه المقدمة لترجمتهم صورة عامة عن منزلتهم وصفاتهم، وهذا غالباً ما تختص به ترجمة الوزراء.

أما بالنسبة إلى كتّاب الإنشاء المشارقة، فقد قدم لهم العمري بما يتناسب مع الوظائف التي يؤدونها تجاه الحكّام، فمن ذلك ما ورد في ترجمة ابن بصاقة، فخر القضاة، أبي الفتح، نصر الله هبة الله بن عبد الباقي بن الحسين بن يحيى الغفاري، الكناني [2]، يقول: "كتب للناصر داود بن عيسى، ووزر وجلس معه في صدر الإيوان والطرد، ونشأ وتأدب بالشام، وأومضت له بارقةٌ كانت تشام، ثم صرف عن وزارة الناصر عنانه، ونفض منها بنانه، لأمور نقمها، وشرور خاف نقمها وكان يحذر سوء خلائق مالكه، وتوعر طرائق مسالكه..."[3]، فقد ابتدئ العمري ترجمته بالوظائف التي تقلدها صاحب الترجمة، وذلك لأن هذه الطائفة تعنى بهذا الأمر كثيراً وهو مجال تخصصها وشهرتها، لذا نرى العمري يناسب بين الترجمة والمترجم له والطائفة التي ينتمي إليها المترجم له، ثم يعرض نماذج من إنتاجه النثري.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 113/11.

[2] انظر ترجمته: الكتبي، فوات الوفيات: 4/ 187، الصفدي، الوافي بالوفيات: 27/ 41، توفي سنة 650 هـ.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 236.

أما بالنسبة للشعراء فقد اتخذ نمطاً مغايراً في التقديم لهم، حيث كان يشير إلى سنة الوفاة في المقدمة وخاصة شعراء العصر العباسي، ومن الشواهد علـى ذلـك ترجمة أبي علي الحسين بن الضحاك الخليع [1]، حيث قال: "تـوفي سـنة خمـسين ومائتين، ربي بالبصرة، ويرى إلاّ أن يقوم لأهل بلاده بالنصرة فكاف نفسه من الأدب فوق ما أطاق، وخاف وراء تقدمه أدباء العراق، واتصل بالخلفاء اتـصال العـضد الساعد..."[2].

وبذلك يكون العمري قد قدم لكل كاتب وشاعر ومغنٍ ووزير بما يتناسب مـع الطائفة التي ينتمي إليها، وبذلك يتأتى من قراءات العمري حول الشخصية المترجم لها، فيصنع ترجمة يقدم فيها قبل أن ينقل من مصادره المتخصصة بكل طائفة، وقد صاغها بأسلوب أدبي رفيع، أظهر فيها مقدرته الأدبية على استخدام وتوظيف كـل الأشكال البلاغية.

2- الترجمة المقتبسة:

وهي تتمثل في تلك التراجم التي نقلها من المصادر المدونة التي اعتمد عليها، وقد تصرف في هذه التراجم المنقولة التي تتفاوت في المادة وطبيعتها، وبذلك بنـاء على طبيعة الشخصية المترجم لها وحقيقتها وألوان إبداعها.

ولقد تنوعت المصادر التي نهل منها العمري مادته، فمن هذه المصادر كتـب المؤلفين الذين سبقوه إلى بعض الفنون والشخصيات التي ضمنّها كتابه، فقد راعـى في ذلك أسساً ومعايير تضبط له المادة المنقولة من هؤلاء المؤلفين، وقد ظهر ذلـك جلياً في الجزء المخصص لترجمة شعراء المغرب والأندلس، حيـث اخـتط لـذلك منهجاً مختلفاً بعض الشيء عما سبق من تراجم الطوائف الأخرى، وقد أشار إلـى ذلك في المقدمة الخاصة بترجمة هذه الطائفة، بقوله: "ثم لم يبـق إلا ذكـر الـشعر

---

[1] أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الخليع الأشقر، باهلي بالنسب وقيـل بـالولاء، ولـد بالبصرة في حدود سنة 155 هـ، توفي في سنة 250 هـ، وهو شـاعر ظريـف، لقـب بالخليع لمجونه، انظر مقدمة أشعار الخليع، جمع وتحقيق عبد الستار أحمـد، دار الثقافـة، بيروت، 1960م.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق2/ 136.

بالجانب الغربي، وأول ما بدأ به منهم ابن سعيد، وهو المتأخر المجيـد، المنتـصر لجمعهم، والمقتصر على تحسين صنعهم من أول المائة الرابعة، وساقهم إلى زمانـه في المائة السابعة، مرتباً على المئين، منظماً لهم نظام العقد الثمين، وأول ما قال إذا ذكرهم ما صورته: شعراء المغرب من أول الديار المصرية إلى البحـر المحـيط، والجاهلية وما بعدها إلى المائة الرابعة عاطلة مما هو من شروط هذا الكتاب، وقـد زدنا على من ذكر ابن سعيد في عدد الأسماء، وفي عدد المختار أضعافاً مـضاعفة ممن أهملهم إذ كان كتابنا هذا و الحمد على غير نمطه، ولا على حد مشترطة، بل بينهما بعد المشرقين، ونأتي ما بين الخافقين، ولعل حملة كتاب المغرب تأليف ابـن سعيد ومن قبله لا يجيء حجمه معنا قدر السدس، ولا فوائده إلا دون السبع، هذا إلى ما تضمنه كتابنا من علوم جمة، وأمور مهمة، وتراجم أعيان هم الناس "[1].

ويوضح العمري لماذا اعتمد على ابن سعيد في كتابه، ثم يقارن بـين كتابـه وكتاب "المغرب في حلى المغرب" من حيث الحجم والمادة والعلوم والتراجم، إنـه يذكر المصدر الذي اعتمد عليه ويقيمه، ويمثل ذلك أنموذجاً لما يتمتع به العمري من أمانة علمية في ذكر المصادر التي اعتمد عليها، واعتراف بفضل المؤلفين السابقين ودورهم في التأريخ والترجمة لأعلام الأدب في بلدانهم. وبذلك يكون العمـري قـد اختط لنفسه منهجاً عند النقل عمن ترجموا للشخصيات التي ترجم لها، وقد وضـح ذلك في ثنايا تراجمه، بقوله: "قلت: وسأذكر جملة ما ذكره ابن بـسام فـي كتابـه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" من أخبار وأجيء به مختـصراً، وعلـى لفظـه مقتصراً، إلا أنني أخذف ما طول، فما لا حاجة إليه على عادتنا في مثله"[2].

لقد اعتمد العمري منهجاً واضحاً في النقل عن الآخرين الـذين سـبقوه فـي الترجمة أعلام كتابه فهو: ينقل ما ذكره الآخرون من أخبار المترجم له، ويجيء به مختصراً حيناً ويقتصر على لفظ المؤلف حيناً آخر، ويحذف ما طوله مما لا حاجـة إلى ذكره.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 11.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1 / 89.

لقد تعامل العمري مع كل مصادر من مصادره بطريقةٍ أو منهج سـار عليـه فحينما نقل عن ابن سعيد أشار إلى ذلك فأتم النقص، أما في كتاب ابن بـسام، فقـد اختصر وحذف مما لا حاجة إلى ذكره، وبذلك يكون العمري قد اتبع عدة طرق في النقل عن المصادر كل حسب طبيعته وقيمته ومنهجه، فهو ينتقي ما يراه حرياً بالنقل والتدوين، وقد أشار إلى ذلك في الجزء المخصص لترجمته شعراء مصر، بقوله: "وأما جماعة المصريين ممن ذكر ابن سعيد، ومن نكب عن طريقة وما هو بعيـد، ومن جاء على ذيل تلك الطبقة، وأتو تاز بهم جيادهم المستبقة إلى أهل عصرنا الذين هم أحياء يرزقون، وبلغاء ينطقون كدأبنا في الاستيفاء بجهد الطاقة لمحاسـن كـل شاعر، ولم نقنع بما قنع به ابن سعيد من شذور تلك النتف، ولم يعد النظر إلى مـن عدل من الغرض على عادتنا فيما سلف" [1].

وبذلك تكون من سمات طرائقه في الترجمة: الاستيفاء بجهد الطاقة لمحاسـن كل شاعر، وعدم الاقتناع بما أورده أصحاب التراجم، وعدم النظر إلى من عدل.

لقد بذل العمري جهد طاقته في تطبيق الأسس العامة التي وضعها في المقدمة العامة للكتاب، حيث إنه أجمل بها كل المعايير جملةً واحدة ثم أفرد وفـصل هـذه المعايير في مقدمات وفواصل الأجزاء الخاصة بكل طائفة من الطوائـف المتـرجم لها. وبذلك يكون كتاب العمري قد حفظ لنا ثروة كبيره من شـعر الـشعراء الـذي يغطي عصور الأدب من العصر الجاهلي القديم حتى عـصر المؤلـف، مـروراً بالعصر الأموي والعصور العباسية والأندلسية، حيث يقول: "ومنـه شقـشقت فـي الجاهلية فحوله وزمجرت أقياله" [2]، فقد أشار العمري إلـى تـراجم الفحـول مـن الشعراء دون غيرهم فقد ترجم لأمرئ القيس والنابغة الـذبياني، وعنتـرة العبـسي وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية.

وقد أشار إلى شعراء الدولة الأموية، وذلك وفقاً للأسس التي أرادها العمري، بقوله: "وبها انتهاء شعراء دولة بني أمية ممن وقع عليهم اختيارنـا، موافقـة فـي الغالب لاختيار علي بن سعيد في كتابه المسمى بعنوان المرقص والمطـرب وهـم

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 18/ ق1 11.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق1/ 11.

حليةً ذلك الصدر وعليه أولئك النجوم العالية القدر، وفتية تلك الدولة اللامع وفاؤهم في جوانب ذلك العذر"[1]

لقد ضمن العمري كتابه عدد كبيراً من الشعراء من كافة العصور الأدبية، كما ترجم للكتّاب والبلغاء والنحويين والخطباء والمغنيين، فلم يترك طائفة من الطوائف إلا وترجم لها، كما يتتبع العمري مواقف النقاد المتآخرين من الشعراء الذين تـرجم لهم ويصدر أحكامه وآراء حول نتاجهم الشعري، مما يشير إلى معرفتـه بطرائـق الشعراء ومسالكهم الإبداعية ويطلق أحكاماً نقدية بشأنها، ومن ذلك مـا جـاء فـي ترجمة أحمد بن مفرج "أتى بطريقة الصنوبري في الولع بالأوصاف فما أخطأ منها حرفاً"[2]. كما يظهر العمري اعتراضه على أقوال النقاد السابقين: في ترجمة أبي عبد ا بن شرف. "قال ابن رشيق: وهذا الكلام قد اشتدت متونه، واسـتقامت بطونـه، وراقت من كل ناحية محاسنه وفنونه"[3].

قلت: "وهذه الأبيات أعظم شأناً مما ذكره ابن رشيق وأتم احساناً، وانطق لساناً مشيدة البناء، موثوقة الحسن، تلج كل إذن، وتعلق بكل خاطر، آيـة مـن الإبـداع، وغاية ضربت سرادقها على اليفاع "[4].

لقد أضفى العمري على تراجمه بصماته الخاصة، حيث كان للبعد الشخـصي أثر واضح في ثنايا الكتاب، فقد دون بعض أشعاره ووسائلة في ثنايا التراجم، ومنها ما ورد في ترجمة ابن اللبانة: "قلت: وذكرت بذكر العذار بيتين كنت قلتهما هما من هذه المادة وليسا منها قريباً منها وبعيداً عنها، قلتهما قبل أن أقف على شـيء مـن هذا، أو ألم به وهما "[5].

بعارضيـه بـدا عـذار	به جميع القلوب تَعْذر
يا قلب كيف الطريـقُ حتى	أسلـو هواه وقد تَعذر

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق1/ 235.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 125.

[3] ابن رشيق، أنموذج الزمان: 276.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 106.

[5] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 152.

ومنها أيضاً: " قال: وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين قلتهما في هذا المعنى، ليلة نصف شعبان سنة تسع عشرة وسبعمائة بدمشق، ونحن بالجامع الأموي، وعلقت مصابيح الوقود، كأنها خدود، وأقبل شاب ماطر شاربه هو البدر التمام في تلك الليلة، ويقاربه، ثم طفق في الجامع يتمشى، ويأخذ بمجامع القلوب ولا يخشى، فقلت"[1]:

ولاحت مصابيح الوقود كأنها عيون رأت معنى الحبيب فحدقت

وولّت تريد العود من خوف خده وقد سرقت منه الشعاع فعلّقت

كما كان العمري يورد في ثنايا تراجمه شيئاً من أعماله، منها ما ورد في ترجمة أبي اسحاق الطائي: "قال وسئلت في تقليد الطفيلي، فعملت: الحمد الذي نعم في طيبات رزقه، ورزق بعض خلقه من خلقه، وأجاز للمرء في بعض المذاهب التوصل بما قدر عليه إلى أخذ حقه، نحمده على نعمة التي وسعت الولائم، ومتعت بأكل كل ملائم، ونشهد أن لا إله إلا ، وحده لا شريك له، وشهادة أول ما نبدأ منها باسم الآكل، ونهنأ كل المآكل، ونشهد أن سيدنا محمداً ورسوله، الذي ما عاب قط طعاماً... "[2].

لقد باين العمري في الترجمة المنقولة عن مصادره ذكر الاسم والنسب وأصالة المترجم له وبلادته، ومن ذلك، ترجمة أبي الحسن علي بن السلام المنعوت بالملك العادل سيف الدين، قال ابن خلكان: "رأيت في بعض النسخ من تواريخ المصريين: أنه كان كردياً زرزارياً، وكان تربية العصر بالقاهرة، وتقلبت به الأحوال إلى الولايات بالصعيد وغيره إلى أن ولي الوزارة للظافر في رجب سنة ثلاث واربعين وخمسمائة "[3].

ذكر أحوال المترجم له من صفات خِلْقية وخُلقيه، ومما تميز به في مرحلة طلب العلم وممارسته الفن، وما حازه من فضل ومكانه بين أقرانه وأصحابه ومعاصريه، وما تقلده من مناصب، وما صدر عنه من مواقف، ومن الشواهد على

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 121.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 20- 21.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان: 3/ 416، العمري، مسالك الأبصار: 11/ 281.

ذلك ترجمة أبي منصور، موهوب بن أبي طاهر أحمد ابـن الخـضر الجـواليقي البغدادي، قال ابن خلكان: "هو من مفاخر بغداد، قرأ الأدب على الخطيب التبريزي، ولازمه حتى برع في فنه، وهو ثقة، غزير الفضل، وافر العقل، مليح الخط، كثيـر الضبط، حسن التصانيف المفيدة، وانتشرت عنه، وكان يختار فـي بعـض مـسائل النحو مذاهب غريبة، وكان في اللغة أمثل منه في النحو، وكان إماماً للمقتفي يـصلّ به الفرئض وألف له كتاباً لطيفاً في العروض"[1]

ومن التراجم المنقولة التي يشير فيها العمري إلى حدود الترجمـة المقتبـسة، ترجمة القاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد الأرجاني، قال العماد الكاتـب في في حقه الخريدة: "وهو إن كان في العجم مولده فمن العرب محتده، سلفه الكريم من الأنصار لم يسمح بنظيره سالف الأعصار، أوسي الأس خزرجيه قسي النطـق إياديه، فارسي العلم، وفارس ميدانه، وسلمان برهانه، من أبناء فارس نـالوا العلـم المتعلق بالثريا، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا" [2]. انتهى كلام العماد.

كما كان العمري يحكم على أقوال المؤلفين الآخرين، كقوله في ترجمة أبـي المظفر، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقـذ، الكنـاني، الكلبـي، الشيزري، مؤيد الدولة. وقد ذكره العماد الكاتب ذكراً يوشح الأعطـاف، ويرشّـح لفواضل هزاته السلاف، قال: "وسكن دمشق، ثم نبت به كما تنبوا الـدار بـالكريم، فانتقل إلى مصر، فبقي بها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم إلى أيام الصالح ابن رزيـك، ثم عاد إلى الشام، انتهى كلامه "[3].

ويبدي العمري بعض الملحوظات على تراجم المؤلفين الذين يعتمد عليهم فـي تراجمه ومن ذلك ما ورد في ترجمة علي بن عبد العزيز بن زيادة ا ، حيث قـال: "لم يفرده ابن بسام بذكر، ولا جاء به إلاّ في ذيل عمه مروراً على طريـق الفكـر، وأظنّه استغنى عن تفصيل ذكره بقوله الجملي عند ذكر عمه من أهل بيت أشتهروا

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان: 342/5، العمري، مسالك الأبصار: 7/ 73-74.

[2] الأصفهاني،عماد، خريدة القصر في ذكر فضلاء أهل أرجان والجبل، تحقيق عدنان محمد آل طعمه طهران: 154/3، العمري، مسالك الأبصار: 15/ ق2/ 222.

[3] الأصفهاني، خريدة القصر / قسم الشام: 1/ 498، العمري، مسالك الأبصار: 16/ 22.

بالشعر، ولئن كان فقد التفى بدرٍ غالية السعر، ورأيته حيث الظن أجـاده، وفوقـه زيادة" [1].

ومما أنشد له ابن بسام قوله:

كم بالهوادج بين البين من رشأٍ يهفو عليه وشاح هائلٌ قِلِق

وقد اعتمد العمري في مواد هذا اللون من التراجم ما توفر بـين يديـه مـن مصادر قديمة أو معاصرة تخص أخبار المترجم له، وغالباً ما يذكر هذه التراجم أو الفقرات المصدر الذي نقل منه، مسمياً إياه، أو مكتفياً بذكر مؤلفه.

ويشكل أدب المترجم له البؤرة الأساسية في بناء الترجمة في المسالك وأكثـر الفقرات مادة وغنى، ولا تكاد تخلو ترجمة أدبية في المسالك من قليل أو كثير مـن المادة الأدبية الشعرية والنثريـة، فكـان يكثـر مـن إيـراد النـصوص النثريـة والمقطوعات، والقصائد الشعرية مما يجعل الترجمة تفيض بالمتعة وتحفل بالعطاء.

كما أن العمري نوع النصوص الشعرية المختارة على حسب ما هو متـداول من الأغراض الشعرية كالمدح والرثاء والنسب والوصف وغيرها، كما بـاين فـي طبيعة النصوص الشعرية من حيث الطول، نتف، مقطوعـات وقـصائد، واعتمـد العمري أسس مختلفة اختياره النصوص الشعرية، وانتقى القصائد التي تعبـر عـن الأخلاق أو ما يعالج الزهد والتصوف والمديح.

معايير فنية تكشف عن جمالية بعض القصائد.

معايير مضمونية تضمنت أغراض متنوعة من وصف وغيره.

وقد استطاع العمري في عرضه لهذه النماذج أن يثير الجانب الأدبـي عنـد رجال مسالكه، ويحاول أن يشغل القارئ ببعض القضايا الأدبية مما له أهميـة فـي عصره (عصر الشاعر).

الكشف عن قدرة الشاعر.

الكشف عن تميزه في بعض الأغراض، ومن الشواهد على ذلك ما ورد فـي ترجمة عبد العزيز بن عمر بن نباته السعدي، فقد كان العمري يورد بعض الأحكام النقدية تجاه الأشعار التي ينتقيها فيها قوله: "فأما أبياته الخارجة مخـرج الأمثـال،

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق2/ 48، ابن بسام الذخيرة: ق1/ م1/ 547.

وكلماته التي كأنما تنصب في القلوب أو تنشال فما لا يطاولها يبـاع ملـتمس، ولا يحاولها شعاع مقتبس، وكل معنى لا يلتبس، وكل بيتٍ وأخوه يقول له: أنا أخوك فلا تبتئس"[1].

ومن ذلك قوله: (الطويل)

وولّوا عليهـا يقدمون رماحنا	وتقدمهـا أعناقُهـ ـم والمناكب
خَلَقْنا بأطرافِ القنا لظهورهم	عيوناً لها وقع السيوفِ حواجب

ومنه قول في السيف: (الطويل)

وأبيض بالأبصار يفعل لونُـه	فعالَ شُعاعِ الشمس في الأعين الرمْدِ
كذي شَوس تنبيك روعةُ لحظهِ	على ما حـواه في الضمير من الحقدِ

وقوله في المدح: (الكامل المرفل)

بلغـوا من الدنيـا نهايتهـا	وجرى بهم في صرْفِها المثَلُ
وإذا الرجال بغيرهم عرفوا	لم يعرفـوا إلاّ بما فعلـ ـوا

يقدم الصورة الحقيقية للمترجم له.

لا يكتفي العمري بعرض النماذج الشعرية دون تعليق نقدي يكشف عن مستواه الفني. ومن تعليقاته النقدية قوله في ترجمة سهم بن حنظلة الغنوي[2]، "ومن شـعره المجتلى منه أحسن الثمر، المجتنى منه ما حلا من نقيع الحنظل، ولحسده ما مـر"[3] قوله:

إن احتضارك مولى السوء تسأله	مثل القعود ولما تتخذ نشبا

ومن تعليقاته النقدية على المختارات الشعرية قوله:

"ومن فائق شعره وفالق الصباح بفجره، وفائق ريح المسك بنشره "[4]. قوله:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 15/ ق2/ 163-164.

[2] شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان فارساً مشهوراً، الآمدي، المؤتلف والمختلـف، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة: 2000.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق1/ 144.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 18/ ق2/ 25.

كـم ليلة أحييتهـا كلما ... قلت انتهت في طولها تبتدي

قالت دجاها لجفوني لقد ... شغلت عني فرقدي فارقدي

يبدي العمري بعض الآراء النقدية تجاه الأشعار التي يختارها للشاعر المترجم له منها، قوله: "قلت: هذه طريقةٌ متناسبة مختارة كلها، وليس منها النادر، ولا الذي إليه السمع يبادر. فأما أعلاها طبقةً، وأقربها من الغوص، فهو ما اخترته من حسنه، وآثرته من معدنه"[1] وهو قوله:

تبسم ثغرهـا والليـلُ داجٍ ... فنبهـتُ الندامـي للصبـوح

فكيف بقاء ليلٍ مع صباحٍ ... ولا سيما لذي القلب الصحيح

وقوله:

هات كأسي في حبه يا نديمي ... فهي تُغري منه لثغرٍ وخد

وأجلها في غلالةٍ من نُضـارٍ ... زررتهـا يد المزاج بعقدِ

وهذا يطلعنا على المستوى النقدي الذي يحظى به العمري كما يعرض جانبـاً مهماً من الاتجاهات النقدية السائدة في آنذاك.

كما كان للنثر أهمية لا تعدو أقل قيمة من الشعر، فقد وقف العمـري مطـولاً عند الناثرين وقدم نماذج من نثرهم، فهي فقرة لا تقل أهمية عن فقرات الشعر فـي المسالك.

يعرض نماذج من نثر المترجم له.

النصوص النثرية الطويلة من مكاتبات ومقامات ورسائل، وأوصاف، مما يعبر عن فضل المترجم له في ميدان الكتابة.

لم تخلو هذه النصوص من تعليقات نقدية، منها قوله "ومن نثره الذي أقطعـه سرى الآفاق ومجرى النجوم بين الغروب والإشراق"[2] فقد أبـدى العمـري حكمـاً انطباعياً عن نثر المترجم له.

كما كان العمري يفسر ما يردها في ثنايا بعض الرسائل التي يورها للمتـرجم له منها قوله في ترجمة بديع الزمان الهمذاني، حيث قال: وقوله، والعيون تنظر إلى

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق2/ 188.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 253/11.

الأعجاز: "إشارة إلى قول أحد الذين قتلوا عثمان لما دخلوا عليه، فنظروا إلى نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان، وهي تصيح،فقالوا، إن عجزها لكبير"[1]. يقارن العمري بين الأعمال الأدبية للأديب نفسه، كما يعلل لماذا لم يورد بعض نثره كما ورد في ترجمة الحريري، أبي محمد القاسم بن علي صاحب المقامات، حيث قال: "فأما هذا الرجل – أعني أبا محمد الحريري – فإنه – على ما رأيت – أنموذج كلامه هنا – قليل الغوص بخلاف مقامه، فإنه فيهما كمن طاب الروض بجنى زهرها، وصعد السماء فاقتطف زهرها، وإنما تركت اختيار شيء منها لشهرتها، ولأنها صارت كتاباً بذاته، لا تعد في سلك ترسلاته، وبينهما في حسن الكون، ما رأيت من هذا اليون، وعلى أن ما أوردت له من هذه الرسائل هي الفرائد التي لا تقوم، والفوائد التي تعنى من تعلم، متماثلة في توفية الأغراض، مغازلة كالجفون المراض، سهلةً على فهم المتناول، قرمةً لا تنالها يد المتطاول"[2].

ثالثاً: الترجمة المخترعة:

وهي تتمثل في تلك التراجم التي انفرد بإيرادها العمري، وهي خاصة بمعاصريه من الشعراء والخطباء والكتّاب. وهي تتعلق بشيوخه وأصدقائه ومعاصريه، وقد صاغها بأسلوب خاص، وضمنها مادة مختلفة عما سبق منها، ترجمة محمود بن سلمان بن فهد، الحلبي، شيخنا العلامة، حجة الكتاب، فد الزمان، شهاب الدين، أبي الثناء. حيث أطال العمري ترجمته وقد ابدى جميع عناصر الترجمة من اسمه وصفاته وأخلاقه وعلمه وما تميز به وأسلوبه ومصنفاته، كما عرض له عدة نماذج متباينة الأغراض وذلك ليظهر مدى قدرته وإبداعه الأدبي في كافة الأغراض الأدبية، كما أثنى عليه واعترف بحقه فضله عليه، وهذا يكشف لنا عن مدى تقدير العمري لهذه الشخصيات واعترافه بفضل الآخرين عليه.

حيث قال: "جبل أدبٍ لا مطمع في ارتقائه، وبحر علم لا مطمح إلاّ أني ما يؤخذ من تلقائه، رقي السماء وتلقى من ربه كلمات علم بها الكتّاب الأسماء، ناضلت الدول بأقلامه، وكلمت ملوك العدى بكلامه... فأما في توليد المعاني ففات ابني

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 63.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 41.

هانئ، ونهض جده وسقط صريع الغواني... وهو شيخي في الأدب، وإن لم يكن لي أبا مثل أب، لزمته منذ قدم دمشق حتى فات، وأقرأ عليه وأقرئ مما لديه، ومن حواصله أنفقت جمعت وفرقت، وسددت إلى الغرض وفوقت، وأقول ولا أخشى: فمهما وصفته به من المحاسن صدقت، لأن الرجل أشهر من الشمس، وذكره أشهر من "قفا نبك" قد أنجد ذكره واتهم، وأعرق وأشأم... "[1].

ونلاحظ أن العمري قد سبك ترجمته لشيخة بأسلوب أدبي رفيع، كما اعتمد فيه على مشاهداته الشخصية ورواياته الشفوية، لذلك حفظ لنا تراجم لم ترد عند غيره لأنه أول من أوردها، وقد ترجم لها عن قرب.

ونستنتج مما سبق أن العمري قد اتسع لديه النطاق المكاني والزماني في تراجمه، فقد بدأ منذ عصور الأدب الأولى مروراً بعصورها التالية الإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي حتى عصره، لذا تزاحمت المادة الأدبية بين يديه، فكان له دور في تهذيب هذه المادة من الشوائب التي علقت بتراجم الأعلام الذين ترجم لهم، ووقف العمري موقف الناقد المتفحص الذي يترك ما يشوبه ويحمل ما يزينه، وقد أشار إلى ذلك في المقدمات التي كان يبثها في ثنايا تراجمه لكل طائفة من الطوائف، كما أن العمري قد نوع من ترجمة فقد ترجم لطوائف متعددة لذا كانت ترجمته على ثلاثة أنماط هي الترجمة التمهيدية التي يقوم بصنعها من قراءته حول الشخصية، وبأسلوبه الأدبي الرفيع.

والترجمة المقتبسة التي ينقلها من مصادر مختلفة ترجمت لطوائف الأعلام الذين ترجم لهم.

والترجمة المخترعة التي تميز بها العمري في ترجمته لمعاصريه وشيوخه، كما أن العمري قد ركز جل اهتمامه على الترجمة الأدبية وما يتميز به الأديب، لذا تعددت النماذج الشعرية والنثرية التي اقتبسها العمري من المصادر التي ترجمت للشعراء، ولقد أفاد العمري من غيره من المترجمين لهؤلاء الأعلام، كما حفظ لنا ثروة أدبية كبيرة تنم عن رؤية عميقة واطلاع واسع، كما لم تخلُ هذه الترجمة من اللفتات النقدية التي كان يبثها العمري في ثناياها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 283-284.

الفصـل الـرابـع
الآراء النقدية والأحكام الذوقية في كتاب العمري

يتميز كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، بشموليته وسعة مادته وتنوع أخباره، فقد عالج العمري عدداً من القضايا البارزة في عصره والعصور التي سبقت عصره، لذا وسمه الدارسون بأنه مؤلف موسوعي[1]، ضم بين دفتيـه عـدداً مـن القضايا، ولهذا ينهل منه الدارس ما أراد من جغرافيا وتاريخ وتراجم وإنتاج أدبـي، هذا فضلاً عن القضايا النقدية التي بثها العمري في ثنايا كتابه، فهو لم يكن بمعـزل عن الساحات الأدبية التي كانت تدار في مجالات الأدب، فقد اطلع ونقّـب وسـمع وشاهد وروى له عن الجوانب الأدبية والنقدية في العصور التي تقـدمت عـصره، ويبدو من خلال القضايا التي طرحها العمري في كتابه بأنه قد يشكّل بعداً نقدياً فـي مضامين كتابه، فقد طرح معظم القضايا النقدية التي شغل بها النقاد فـي العـصور المتلاحقة، وهذا الطرح لم يأت عفوياً اعتباطياً بل قصد اليه قـصداً وعـن درايـة وعلم، لأنه يطرح الآراء النقدية حول القضية ثم يدلي برأيه الخاص حولها وربمـا يوافق أو يتحفظ أو يخالف بعض الآراء، وهذا ينبئ عن ذوقه النقدي الذي تشكل من كثرة اطلاعه وسعة ثقافته وقوة حافظته، ولكن العمري حين عرض لهذه القـضايا النقدية لم يرتبها ترتيباً، بل بثها في ثنايا الكتاب، دون تبويب أو منهجية لإيرادهـا،

---

[1] انظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر: 417، الكتبي، فوات الوفيـات: 13، سـليم، محمود رزق عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبـة الآداب ومطبعتهـا، 1374 هـ - 1955م، م5: 347، الشكعة، مصطفى مناهج التأليف عند العلماء العـرب، قسم الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، 1974: 742، محمد عبد المنعم الخفاجي، الحيـاة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث، دار الجيل بيروت: 75، باشا، عمر موسـى باشا، تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت: 514، سـلام، محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، فنون النثـر وأعيـان الكتّـاب، منـشأة المعارف بالإسكندرية: 367.

فمن خلال الترجمة كان يورد ما يتعلق بشخصية المترجم له من آراء نقدية. لذا سأسعى إلى تقصي هذه القضايا وتبويبها واستنتاج أطرافها من خلال التراجم التي وضعها العمري.

إن الناظر في كتاب مسالك الابصار يجد العمري يمتلك روح الناقد الدارس المحقق، بعباراته النقدية الواضحة التي يشير اليها في ثنايا كتابه، وبإشارات واضحة، يستدل عليها بالشواهد المختارة.

إن دارس كتاب مسالك الأبصار في ممالك الامصار يلحظ أن الكتاب يتضمن عدداً كبيراً من الآراء النقدية والأحكام الذوقية وهي ترد ضمن مجموعتين، أولهما: الآراء النقدية التي تضمنتها النصوص التي نقلها عن الآخرين في ثنايا التراجم، وثانيهما: آراء العمري النقدية وأحكامه الذاتية على الانتاج الشعري النثري لمن ترجم له، وهما في مجملهما يضمان عدداً من الموضوعات.

أولاً: اختيار النصوص الشعرية:

ولا يخفى أن اختيار النصوص الشعرية له أهمية نقدية كبيرة في بيان الرأي النقدي للكاتب، والاستدلال على ذوقه. وهذا ما ذهب اليه بعض النقاد، فابن هذيل الأندلسي يذهب إلى أن "الذي عليه في التأليف المدار، هو حسن الانتقاء والاختيار، مع الترتيب والتبويب..."، وقال بعض العلماء:اختيار الكلام أشد من نخت السهام، وقال: "اختيار المرء وافد عقله، ورائد فضله "[1].

على أن أكثر مختارات العمري جاءت بشكل مقطوعات شعرية لا سيما في أغراض الشعر المتعددة من غزل وهجاء ونقد اجتماعي ووصف ومديح وغيرها.

ولعل العمري قصد من التركيز على اختيار المقطوعات الشعرية استعراض قدراته على حشد فنون الحلى اللفظية والزخارف البديعية أو ربما لتبقى اعلق بالأسماع والقلوب، وتحظى بالذيوع والانتشار ؛ وكما يذهب ابن أبي الإصبع بقوله:

---

[1] ابن هذيل، الاندلسي، ابو الحسن عبد الرحمن، عن الادب والسيالسة وزين الحب والرياسة، دار الكتب العلمية، بيروت:1981م:8.

" وعليك بالمقطّعات، فإنها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أرشف وأجـول، وبالأسماع أعلق، وبالأفواه أعبق"[1].

لم يقتصر اختيار العمري على المقطعات الشعرية فقط، اذ نجد من مختاراتـه قصائد مطوله تزيد على التسعين بيتاً، من ذلك قصيدة أحمد بن ابي المحاسن يعقوب بن إبراهيم بن أبي نصر الطيبي الاسدي، ومطلعها:[2] (البسيط)

برقَ الصوارم والأبصار تُخْتَطفُ   والنقع يحكي سحاباً بالدما يكف

وموضوع القصيدة التهنئة بالنصر في مرج الـصفر، والإشـادة بالأبطـال، ووصف للمعركة الدائرة بين المسلمين بقيادة ناصر الدين محمد، وحشود الكفر مـن التتار بقيادة قازان، ويعلل نقله هذه القصيدة بتمامها قائلاً: "آيةٌ أحمدية، جاءت ببقية ما جاءت به السحرة لموسى"[3]، تعليلاً يتضح من خلاله رؤيته النقدية والاتجاه الذي سار عليه بقوله: وكتبت هذه القصيدة بتمامها، لاعجازها ولأن حقيقة كل بديع فـي مجازها"[4].لا شك أن العمري لاحظ طريق الصنعة اللفظية السائدة في عصره حتـى يمكن القول إنه أحد أئمته في كتابه هذا سواء، أكان ذلك في صياغته تراجمـه، أو اختياراته الشعرية والنثرية.

فمن القضايا النقديه التي تضمنها كتاب العمري، وأفاد مـن مواقـف غيـره النقديه، حيث كان ينقل مواقف النقاد تجاهها.

1.4 السرقات الشعرية:

لقد شغلت هذه القضية النقد العربي، لا بل الأدب العربي، فلا نجد ناقداً إلاّ وقد تعرض لها، وهم في ذلك بين مفرغ لها جهده، ومتتبع لما يظـن أنـه مـسروق او يتوهم أنه قد نظر اليه وبين عارض لها بحذر وتحرج، وبين مسرف علـى نفـسه وعلى الشعراء فيفرد لها كتاباً مؤلفاً، ويكاد يغلب على أسباب إثارة القضية ومعتقـد

---

[1] ابن ابي الاصبع، تحرير التحبير: 415، 416

[2] الطيبي، احمد بن ابي المحاسن يعقوب بن ابراهيم: 491.

[3] العمري، مسالك الابصار:228/16.

[4] العمري، مسالك الابصار: 232/16.

الفصل بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون، حيث لم ينظر إلى العطاء الفنـي بحسبانه وحدة متداخله لها كيانها الفني الخاص به. ويطالعنا في ذلك صاحب "عيار الشعر" إذ يجعل تنازل المعنى المسبوق إليه في صورة وكسوة جديدة لـيس عيبـاً، فيقول: "فإذا تناول الشاعر المعاني التي سبق اليها فأبرزها في أحسن مـن الكـسوة التي عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه"[1]. وقد قدمت النـصوص المتعلقة بالسرقات جملة من المحاور التي أوردها العمري في كتابـه، وأول هـذه المحاور الوقفات الطويلة عند المعاني والألفاظ المسروقة، فمنذ العـصور الأولـى تصادفنا نماذج من السرقات وتكثر أنواعها، ويصبح الحديث عنها من مـستلزمات المهتمين بالأدب عامة والنقد خاصة، فاهتمام العمري بهذه القضية وإيراده لها فـي مضامين كتابه يعد موقفاً نقدياً قد ارتآه العمري لنفسه، فالطريقة التي أورد بها هـذه القضية تنبئ عن موقفه، فاختيار المرء جزءاً من نفسه، ومن المحاور التي شـغلت النقاد استخدامهم للمصطلحات في تعيينهم للسرقات فلم يكتفوا بالفعل سرق ومشتقاته، بل نراهم يوظفون مصطلحات كثيرة، وهي ذات مدلولات محددة مستقرة نجدها في كتب النقد المتخصصة.

وقد رأينا العمري في هذه القضية دائب الحركة، ذا شخصية واضـحة يبـدي رأيه فيها ويوازن بين الآراء، ويرجح رأياً على آخر، ويفيد من ثقافتـه الواسـعة، واطلاعه على الشعر وقضاياه، لذا نراه يبدي تعليقاً على النص الذي ينقله اذا اعتراه الشك تجاه نسبته على سبيل المثال أو تردد في تعيين السرقة، ولعل هذا يؤكد عقلية العمري النقدية وتمرسه ودربته، فهو يقدم تلك الآراء عن درايةٍ وتفهم ولا يرصدها رصداً بل يحاورها ويناقشها ويقنع ببعضها.

ويروي العمري أرآء النقاد تجاه هذه القضية دون أن يتبعها بتعليـق أو رأي، وذلك ينبئ بموافقته لهم في ذلك، فقد ورد في ترجمة ابي مرهف نصر بن علي بن

---

[1] ابن طباطبا، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، شرح وتحقيـق عبـاس عبـد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1402 هـ، 1982 م: 79.

مقلد[1]، قال:" ذكره العماد الكاتب الأصفهاني، فقال: حضرنا عند الملك الصالح ليلـة بدمشق، في سنة احدى وسبعين وخمسمائة، والامير مؤيد الدولة حاضـر، يناشـدنا ملح القصائد، وينشد لنا ضالة الفوائد، وجرى ذكر بيتين لبعضهم، في المشط الأسود والمشط الأبيض، وهما لأبي الحسين أحمد بن محمد الدويدة وهما: (الخفيف)

كنتُ أستعملُ مِن الأمـ ـشاطِ والشعر في سوادِ الدياجي

أَتلقى مثلاً بمثلٍ فلمـ ـا صار عاجاً سرحتُه بالعـ ـاجِ

فقال أسامة: أخذ هذ المعنى عمي نصر، وعكسه، فقال:

كُنتُ أستعملُ البياض من الأمـ ـشاطِ عجباً بلُمتي وشَبابي

فاتخذت السواد في حالةِ الشيـ ـبِ سلُوا عن الصبا والتصابي

ونتبين من خلال ذلك اهتمام البلاغيين والنقاد في مؤلفاتهم، فقد كانوا يشيرون إليها في مواقفها المحددة، ونستطيع أن نحكم باطمئنان على مبلغ دقة الاقدمين فـي حكمهم على السرقة، حيث أن كل عبارة من عباراتهم تحدد درجة الاخذ والتـأثر، فحينما يلجأ الشاعر إلى قلب المعنى أو عكسه هي محاولة منه بغية اخفاء الـسرقة، فإذا تمكن الشاعر من غايته في الاخفاء فذلك لا يجري مجرى السرقة، وقد اطلـق مصطلح الأخذ حيث يعد أقل حدة من مصطلح السرقة.

وتتصل قضية السرقة أيضاً بموضوع المعاني، حيث قـسمت المعـاني إلـى قسمين متداولة وجديدة مخترعة، والقسم الأول هو ما شاع بين الناس، ومثل هذا لا تدخله سرقة كما قال حازم القرطاجني لأن معانيه ثابتة في وجدانات الناس مرتسمة في خواطرهم، وأما بالنسبة إلى القسم الآخر من المعاني فهو يعتمـد الزيـادة فـي المتداول أو قلبه والتركيب عليه غير أن المرتبة العليا في الشعر تتمثل في اسـتنباط المعاني: "من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى من ذلك، لأن ذلك يدل على نفاذ خـاطره وتوقد فكره حيث استنبط معنى غريباً واستخرج مكامن الشعر سراً لطيفاً" [2]، وهـذا النوع المبتكر لا يمكن أن يسرق وإنما يتحاماه الشعراء لضيق المجال فـي إخفـاء

---

[1] توفي سنة 491 هـ، انظر: العماد الاصفهاني، خريدة القصر(الشام): 567/1، ياقوت، معجم الادباء: 591/2، العمري، مسالك الابصار: 16/ 39.

2 القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1966" 172-196.

السرقة، وهذه الأنواع من المعاني التي تحدد مراتب الشعراء، لأنها أربع درجـات: اختراع واستحقاق وشكرة وسرقة" السرقة كلها معيبة وإن كان بعضها أشد قبحاً من بعض"[1]. وهذا ما أشار إليه العمري في ترجمة الفقيه عمارة بن علي بـن زيـدان الحكيمي اليمني، الشافعي[2]، حيث أبدى العمري رأياً نقدياً من صنيعه بقوله:" تأمـل اللفظ المحكم والمعنى المحكم، والتجنيس الخالي من التكلف، والعبارة البريئـة مـن التعقيد، والعروس المحببة إلى من زفت اليه، وجليت عليه، إلى المقاصد الملائمـة لهوى الممدوح، وقد جلاها هذا الفقيه السني، لابسةً إزار التشيع المحض بارزة فـي رداء الروض الغض. وقد اكثر الناس في هذا المعنى فما منهم من قارب هذا الفحل ولا داناه، ولا أشبه أعلى شعره ولا أدناه، ولهذا تحق له بهـذا المـدح ومثلـه ان يحض"[3].

وهذا ينبئ عن موقف العمري تجاه المعنى الذي انفرد به عمارة اليمني عمـا سواه مما استخدمه، فقد جنح من خلال ذلك إلى تداول المعاني بطرق متعددة، ولكن الميزة والفضل لمن تيقن وألبسها حلةً جديدةً لم يقاربه أحد في صنعته، لـذا أطلـق عليه سمة الفحولة.

ومن المعاني التي يقف العمري في بعض أشعار من ترجم لهم، حيث يلمـس فيها تكراراً وزيادة وهي مما دار حولها جدل طويل بأن يأخذ الشاعر المعنى ويزيد عليه فيكسبها حلة جديدة وبذلك يكون أحق بها من صاحبها، ورد في ترجمته محمد بن يوسف بن عبدا بن عبد الرحمن الحنفي [4]، قال: ومن قوله: (السريع)

---

1 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء: 192- 196.

2 انظر ترجمته: عمارة، النكت العصرية، العماد الاصفهاني، الخريدة(الشام): 101/3، ابـن خلكان، وفيات الاعيان: 431/3.

3 العمري، مسالك الابصار: 69/16.

4 محمد بن يوسف بن عبدا الدمشقي الحنفي، شمن الدين الخياط، الشاعر المـشهور الملقـب بالضفدع، ولد في شهر رجب سنة 693هـ، قال الصفدي: كان طويل النفس في الشعر لكن لم يكن له غوص على المعاني وقدرت وفاته بمعان بعد ان رجع من الحجة سنة 756هـو ودفن على قارعة الطريق.

مولاي سيفُ الدين يا من له   أصْلٌ زكِي في انتِسابِ الملوكِ
أسْمعْتَني وعْد دِيوكٍ وقـ ـدْ   أكلْتُ كفي قبل أكْل الديـ ـوكِ

ومن قوله وقد ردد مقصود المعنى وزاده: (السريع)

كم ليلةٍ بالبرْدِ قضيتُـ ـ ـها   في شِدةٍ والعين لم تَهْجـ ـعِ
وليس لي أكلٌ سِوى راحتها   وليس لي شُرْب سوى أدْمعِي

فقد تنبه العمري إلى تكرر المعنى والزيادة عند الشاعر نفسه، وهـي قـضية كانت مثار جدل كبير بين النقاد، حيث تكثر بين الشعراء، فالمعاني مطروحة والكل يبادر إلى تناولها كما يشاء، ويشكلها تشكيلاً يتناسب مع الفكرة التي ارادها، وكمـا رأينا قد ورد ذلك عند الشاعر نفسه، فقد يعيد الشاعر المعاني التي طرقهـا ولكنـه يزيد عليها ويخرجها بحلةٍ جديدةٍ، أي أن الذي يأخذ المعنى ويلبسه حلة مغايرةً لمـا سبق لا يعد من أسباب السرقة، وله حق الأفضلية في ذلـك المعنـى، كمـا يـشير العمري إلى المعاني المطروقة التي يكثر استعمالها بين الشعراء لكن الحسن يتـأتى من توظيف الشاعر لهذا المعنى توظيفاً جديداً، وقد أشار إلى ذلك في ترجمة محمـد بن نصر ا بن محمد الشيباني[1].

وعلى عادة العمري أن يذكر ما جادت به قرائح هؤلاء الشعراء، لأنه يعنـى بذلك بل يركز جلّ اهتمامه به: ومن مقطعاته قوله: (الرمل)

لمع البرقُ فهاجت لوعـ ـ ـةٌ   لفؤادٍ بالتجني متـعب
فتخال الجو من لمعـ ـ ـ ـهِ   حبشياً في رداءٍ مذهب

العسقلاني، الامام شهاب الدين احمد بن علي بن حجر، ت 852هـ، منشورات محمـد علـي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997: 184- 185.

[1] ابو الفتح نصر ا بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبـد الواحـد الـشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب ضياء الدين، كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بهـا، حفظ كتاب ا وكثيراً من الاشعار، ابن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق محمد محي الـدين، مكتبه النهضة المصرية القاهرة، ط1، 1949: 25/5.

ويعلق العمري على معنى هذين البيتين بقوله: "وهذا معنى مطروق يشبه الليل بالحبشي، ولكن حسنته هذه التتمة التي جاء بها، ولا شيء احسن من ردائه المذهب هنا، وإن نظر قول المعري، حسب الليل زنجياً جريحاً"[1].

وهذا ما يطالعنا به القاضي الجرجاني في وساطته بأن هنـاك مـن المعـاني والأفكار ما يكون مشتركاً بين الناس جميعاً، ويكون الفضل لمن يجد في الأداء وبناء العمل الفني مما يعطي خصوصية مما يعطي خصوصية له، وربمـا يكـون هـذا مقصوده من قوله:" وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم مـن العلـم بصفة الشعر، فتشترك الجماعة في الشيء المتداول، وينفرد احدهم بلفظة تستعذب، او ترتيب يستحسن، او تأكيد يوضع موضعه او زيادة اهتدى لها دون غيره، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبدع المخترع" [2].

ويعود بنا العمري إلى الدافع الاول لنشوء قضية السرقات الشعرية، وهـي أن المعاني قد استنفذها الشعراء الأقدمون، وأن الشاعر المحدث قد وقع في أزمة، تحد من قدرته على الابتكار، ولهذا فهو إما أن يأخذ معاني من سبقه أو يولد معنى جديداً من معنى سابق، وبهذا يتفاوت الأدباء في قدرتهم من هذه الناحية، فمنهم من يقتصر عن المعنى السابق ومنهم من يحتذيه، ومنهم من يزيد عليه، ومنهم من يولد معنى لم يخطر للأول، وبذلك حل التوليد محل الابتكار[3].

وقد أشار العمري إلى ذلك في ترجمته لأحمد بن دراج أبو عمر القسطلي[4]، قـال: ورد قوله معارضاً لقصيدة أبي نواس التي أولها:

أجارة بيتينا أبو غيور

---

[1] العمري، مسالك الابصار: 246/12.

[2] عيد، رجاء التراث النقدي نصوص ودراسة، المعارف- الاسكندرية، 1985: 346.

[3] احسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب: 39، مقداد رحيم، اتجاهات نقـد الـشعر فـي الاندلس في عصر بني الاحمر، المجمع الثقافي، ابو ظبي، 2000م: 200.

[4] ينظر ترجمته: الحميدي، الجذوة: 102، ابن سعيد، المغرب: 60/2، ابـن خلكـان، وفيـات الاعيان: 135/1، مقدمة الديوان، تحقيق محمود علي مكي، المكتب الإسـلامي، دمـشق، 1961: 19 وما بعدها.

ألمْ تعلمي أن الثّواء هو النوى | وأن بيوتَ العاجزين قُبــور
يخوفُني طُولَ السفار وإنــه | لتَقْبِيل كف العامري سفيــر
دعيني أردْ ماء المفاوزِ آجناً | إلى حيثُ ماء المكرماتِ نمير

إلى قوله:

لقدْ أيقنتُ أن المنى طَوع همتي | وأني بعطفِ العامري جدير

قلت: ومن وقف على هذه القصيدة، وقصيدة أبي نواس عرف فضله على من تقدم، وشهد له بأنه سبق وإن تأخر، وجزم بأن الرجال معـادن، وأن لكـل زمـانٍ محاسن، ولم يشك أن الخواطر موارد لا تزج، وأن الاوكار مصابيح لا تطفئ، وأن الأفهام مرايا لا تتناهى صورها، وأن العقول سحائب لا ينفـذ مطرهـا، وعلـم أن المعاني غير متناهية، الفضائل غير متوازية، ولم يعد يعالج نفـسه شـك الجهـال فيقولوا كما قالوا: إن الأوائل ذهبوا بالفضل كله وسبقوا إلى الحسن جميعـه، إن أم الليالي لولود، وإن الفضل في كل حين لمشهود، وان هذا الشاعر في قصيدته هـذه التي عارض بها أبا نواس لمجيد، قال: فلم يدع له عارضاً يستمطر، ولا عارضـةً تذكر.لحقيق بأن ينشد[1]:

وإني وإن كنت الأخير زمانه | لآتي بمالم تستطعه الأوائل

وهذا القول يشي برأي العمري من أن المعاني لا تنفذ وأنهـا ملـك للجميـع مطروحة في الطريق، والسبق لمن أحسن تدبيجها، والفضائل غير متوازيـة، كمـا يحدثنا العمري عن بعض تجاربه الخاصة. إذ يرى أن بعض ما يقع اتفاقـاً لا يعـد سرقة، وإنما توارد خواطر، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما أورده في ترجمة ابـن اللبانة[2]، ومما انشد قوله:

---

[1] العمري، مسالك الابصار: 17/ ق56/1.

[2] العمري، مسالك الابصار: 17/ ق1/ 149، الأديب أبو بكر بن اللبانة الـداني، محمـد بـن عيسى بن محمد بن بكر اللخمي الاندلسي الشاعر، له "كتاب مناقل الفتنة" ونظم السلوك في وعظ الملوك، و " سقيط الدرر ولقيط الزهر" في شعر ابن عباد. توفي بميورقة سنة سـبع وخمسين ومائة. الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء ديدرينغ، دار النـشر فرانـز شـتايز، 1411هـ، 1991م: 4/ 297.

بدا على خدهِ عـــــذار	في مثلهِ يعذر الكئيـــب
وليس ذاك العذار شعراً	لكنما سره غريـــــــب
لما أراق الدماء ظلمـاً	بدتْ على خدهِ الذنـوب

وهذا كقول عبد الجليل المرسي:

فطوقه الزمان بما جناه	وعلق من عذاريه الذنوبا

قال: وذكرت بذكر العذار بيتين كنت قلتها هما من هذه المادة، ولـيس منهـا قرباً منها وبعداً عنها، قلتها قبل أن أقف على شيء من هذا، او ألم به وهما:

بعارضيه بدا عـــــذار	به جميع القلوبِ تَعْذِر
يا قلب كيفَ الطريقُ حتى	أسلو هواه وقدْ تعـذّر

ويورد العمري بعض اشعاره في ثنايا تراجمه، وذلك ليحاور قضية نقدية قـد ارتأها العمري وهي توارد الخواطر التي لا يعدها العمري من باب الـسرقة، فهـو تشابه بين الأبيات الشعرية دون أدنى اطلاع عليها، ويؤيد ذلك بتجاربه الخاصة، لذا يومئ من خلال ذلك إلى آرائه النقدية تجاه هذه القضية التي شكلت قضية مهمة قـد وقف عندها النقاد وقفات طويلة.

كما أومأ العمري إلى التشابه الذي يحدث بين أقوال الشعراء، فقال، وهذا كقول عبد الجليل المرسي، ولم يعد ذلك سرقة، بل جعلها مشابهة.

تنبئ بعض التراجم الأدبية لدى العمري عن التوجه النقدي المتبع في الحقـب الزمانية التي ترجم لها، حيث يبدو واضحاً من خلال ما يثبته العمري في كتابه مـا كان قد دار بين الأدباء والشعراء حول القضايا النقدية آنذاك.

فقد ورد في ترجمة يعلى بن ابراهيم الاربسي[1]. وقال ابن رشيق: "أصله مـن مدينة الأربس، وتأدبه بالقيروان، وكان مليح الكلام، حسن النظام، لألفاظـه حـلاوة

---

[1] الاربسي: يعلى بن ابراهيم بن عبد الخالق، اصله من مدينة الاربس وتأدبه بـالقيروان، كـان شاعراً مجوداً مليح الكلام، حسن النظام، لألفاظه حلاوة وعليها طلاوة، يذهب إلى الفلـسفة في شعره، ويغرب في عباراته، ربما تكلف قليلاً، توفي بمصر سنة ثمانية عشر واربعمائة وقد أربى على الستين. ابن رشيق، انموذج الزمان في شعراء القيـروان، تحقيـق محمـد المطوي وبشير البكوش، تونس، 1406 هـ، 1986: 425- 433.

وعليها طلاوة، اجتمعت به مرة وأنا حدث السن، ولم اكن قبلها رأيته، فأخذ في ذكر الشعر، وغض من عبد الكريم، وقال: هو مؤلف كلام غير مخترع، فأغلظت له في الجواب، فالتفت الي منكراً علي، وقال، وانت ما دخلك بين الشيوخ يا بني؟ فقلـت: ومن يكون الشيخ ابقاه ا ؟ فعرفني بنفسه، ثم أخرج رقعةً بخطه فيها من شعره:

إياةُ شمسٍ حواها جسـم لـؤلـؤةٍ   تغيب من لطفٍ فيـها ولم تغـبِ

صفراء مثل النظارِ السكبِ لابسةً   درعاً مكـ ـ ـللةً دراً من الحـببِ

لم يتركِ الدهر منها غير رائحةٍ   تضوعتْ وسـناً ينساح كاللا ـهبِ

إذا النديم تلقاها ليشربـ ـ ـ ـها   صاغتْ له الراح أطرافاً من الذهبِ

فقال: كيف رأيت؟ فقلت وأردت الاشتطاط عليه: أمـا البيـت الاول فنـاقص الصنعة، مسروق المعنى فيه تنافر...."[1].

وينقل العمري موقف ابن رشيق حيث يقف ابن رشيق أمام النص الـشعري، ليعرف المدلول الحقيقي للكلمات وينتقد المعاني غير المناسبة، وينوه إلى ما يتداوله الشعراء بعضهم من بعض، وكأنه يقر بذلك الافادة، لأن مجمل رأيه في الـسرقات بأنها باب متسع جداً، ولا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، كما كرر في موقفه آراء النقاد السابقين، فذهب إلى ان المتفق عليه هو ان السرقة ما نقل معنـاه دون لفظه وكان مبعداً في الأخذ. وايراد مثل ذلك الاراء يـنم عـن ذوق العمـري النقدي تجاه بعض القضايا، والذي يتمثل في انسجامه مع اراء النقاد الـذين سـبقوه تجاه من ترجم لهم.

ويكثر العمري من طرح آرائه التي تمثل ذوقه الخاص، لكنه يتكئ بها علـى آراء غيره من النقاد، فمن النصوص التي تفصح عن موقفه تجاه السرقة وألوانهـا المتعددة، فيسميها الأخذ ولا يعدها من معايب الـشاعر، وذلـك ورد فـي ترجمـة الضرير الحصري[2]، قال: " أدباً بزغ، وشعراً دق أنوف العرب وفرع، وبياناً هـو

---

[1] ابن رشيق، انموذج الزمان: 340، العمري، مسالك الابصار: 17/ ق1/ 184.

[2] ابو الحسن الحصري، علي بن عبد الغني، الفهري المقرئ، العزيز الحـصري، القيروانـي الشاعر المشهور، قال ابن بسام في حقه" كان بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة، طرأ على جزيرة الاندلس منتصف الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه القيـروان، كـان

الصباح لا بل هو النهار وقد متع، وفصلاً هو الغمام لا بل هو الروض لمن رتـع، علماً كثير عنه الأخذ، وظهر لا سبيل عليه للمآخذ" [1]. لم ينفرد العمري بآرائه تجاه من ترجم لهم، بل كان يتكئُ على آراء غيره من النقاد الذين سبقوه، ويتمثلها ويشير إليها في ثنايا تراجمه ومن هؤلاء النقاد ابن بسام في كتابه الذخيرة، الذي يعد مـن أهم مصادر العمري في الترجمة للأندلسيين.

فقد ورد في ترجمة ابن العطار اليابسي [2]. " ذكره ابن بسام وانشد له:

هزت نواصيها لما فعلت بها	قب البطون لما فيها من اللحق
هي البحور ولكن في مواكبها	عند الكريهةِ منجاةٌ من الغرق

وقوله، وقد أخذ المعنى المعروف فقلبه، والمبتذل فغربه" [3].

لقد نبه العمري إلى موقف ابن بسام النقدي من قضية السرقات، وتناول قضية تشابه المعاني، والألفاظ لدى الشعراء من زاوية السرقة، فقد سماها "الأخذ" وكأنـه يميز بين الأخذ والسرقة، ويقيم بينهما حاجزاً منيعاً، وهو ينظر إلى مفهوم الـسرقة من وجهة نظر أخلاقية، بينما يجعل الأخذ نوعاً من التأثر بين الأدباء حين يـستعير أحدهما من الآخر بعض المعاني والألفاظ.

كما فرق بين المعنى المخترع الذي يحمل طابع صاحبه فلا نجده عند أديـب آخر. وبين المعاني المتداولة بين الناس التي ليست لأحد، وإنما تتميـز عنـد هـذا الشاعر أو ذاك بالصياغة اللفظية التي تُفصل لها[4].

ضيق العطن، مشهور اللسن، يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء. ابن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس: 3/ 331.

[1] العمري، مسالك الابصار: 17/ ق2/ 137- 139، الذخيرة: ق4، م1/ 381.

[2] الاديب ابي بكر بن العطار، اليابسي الدار، ويابسه من الجزائر الشرقية، وهي من الانـدلس من سمت دانية، وهو من جملة من القتية وانشدني شعره، ابن بسام، الذخيرة فـي محاسـن اهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، 1399هـ، 1979م: ق 4/ م 1:376.

[3] العمري، مسالك الابصار: 17/ ق2/ 139، الذخيرة: ق4، م1، 381.

[4] انظر: ابن بسام، الذخيرة، الجزائر، 1989، المؤسسة الوطنية للكتب: 259.

وتتباين الآراء النقدية التي يوردها العمري في كتابه، من حيث اعتماده علـى آراء ممن سبقه من الأدباء والنقاد، وبين الآراء التي تختص بذوقه وشخصه، فبعض الأحكام النقدية التي يبثها في تراجمه تنم عن شخصيته وذوقه النقدي تجاه نتاج مـن ترجم لهم، ومن ذلك ما ورد في ترجمة تميم بن المعز[1]، وقوله: (الطويل)

إذا حان من شمس النهار غروب	تذكر مشتاقٌ وحن غريب
وما بلد الإنسـ ـ ـان إلاّ الذي به	له سكن يشتَاقـ ـه وحبيب

قلت: وهذا البيت الأول لابن المعز هذا، وساقه الوزير المغربي فـي ترسـله ضاماً نطاقه إلى سلسله، وقد ادعاه ابن الظهير الأربلي، على سعة علمـه بـالأدب، وغزارة مدده منه، وسموه عن عرض الإدعاء بدأبه قصيدة نظمها، مر في ترجمـة أبيات منها، ولعله كان قد شذ عن خاطره وظنه إذ سنح له وقت نظمـه أن ناسـج ردنه، ومقتضب غصنه"[2].

ومن الآراء النقدية التي أوردها العمري، وكانت تعبر عن ذوقه، ما جاء فـي ترجمة السراج الوراق[3]، وقوله يشكو الحمى علـى طريقـة أبـي الطيـب، ووزن قصيدته ورويها. (الوافر)

وزائرةٌ وليس بها احتشام	تزور ضحى وتطرق في الظلامِ
بها عهد وليس بها عفافٌ	عن الشيخ الكبير ولا الغلامِ
إذ اطرقت أعاذ ا منها	سلوت عن الكرائمِ والكرامِ
لها في ظاهري برد وحر	بقلبي والفتور ففي عظامي

---

[1] هو ابن الخليفة الفاطمي، المعز لدين ا ،جاء اكثر شعره في مدح ابيه واخيه ولد في تـونس سنة 337هـ، وتوفي 375هـ، العمري، مسالك الابصار: 18/ق12/1- 24، انظر: تمـيم بن المعز، الديوان، تحقيق محمد الاعظمي، دار الثقافة، بيروت، 1970.

[2] العمري، مسالك الابصار: 18/ ق1/ 18.

[3] العمري، مسالك الابصار: 19/ 11، عمر بن محمد بن حسن، سراج الدين الوراق (ت 695 هـ) انظر: الكتبي، فوات الوفيات: 3/ 140، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 8/ 83.

" بمثل هذا تعرف قدرة الشاعر إذا تبع مثل أبي الطيب وتعرف مثل تطرفـه وتورع عن مغانيه لتعففه، ثم إذا ألم له معنى اتى به على غير ما اتى به الأول مع مقاربته ومفارقته لشأنه في البيت الأول، فأما الآخر فما لم يلح للأول منه رائحة ولا انتشق الطيب رائحة"[1].

ولم يكن العمري بمنأى عن المعارك النقدية التي دارت بين النقاد، وما انتجت من مؤلفات، ففي ترجمته لأبي محمد الحسن بن علي وكيع التينسي[2] أشار مـصنفه المعنون بـ" المنصف للسارق والمسروق في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبـي[3]، يقول: " صنف على شعر المتنبي كتباً سماه المنصف، تكلـم فيـه عـن سـرقاته الفاضحة، ومآخذه الواضحة، ورماه بالأوابد وأتى بنيانه من القواعد، أنبأ عن غزارة مدد وكثرة حفظ لا يحصر بعدد، ومن وقف عليه، علم بأن محل ابن وكيـع كقـدر البدر في فلكه الرفيع"[4].

إن هذا القول ينبئ بتتبع العمري لهذه القضية، فقد أوردها ومـا يتعلـق بهـا وطريقة إيراده للمعلومة تشكل موقفاً نقدياً تجاهها، فقد ذكرها دون تعليق منه علـى هذا الكتاب الذي خصص لسرقات المتنبي فالعمري لم يكن يجهل ما يـدور حـول سرقات المتنبي. ويقال أن الكتاب رد شاعر مغيظ على طبقـة المتعـصبين لأبـي الطيب، إذ كانت إقامة المتنبي في مصر قد أوجدت حولـه عـدداً مـن الأنـصار والمعجبين.

---

[1] العمري، مسالك الابصار: 19/ 110-111.

[2] ابن وكيع: هو ابو محمد الحسن بن علي بن احمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بـن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي، البغدادي الاصل التينسي المولد، ابـن خلكـان، وفيات الاعيان: 2/ 124.

[3] وكان ابن وكيع احد الذين اسهموا في هذا الصراع الذي نشب حول المتنبـي، ويعـد كتابـه المنصف وثيقة هامة من وثائق هذه المعركة، التي اشترك فيها عدد ضخم مـن الـشعراء والنقاد والكتّاب، وهي معركة تعدت فنه الشعري إلى الطعن والتجريح حيناً وإلـى الثنـاء والاطراء حيناً، حتى بدت روح المغالاة تسري فيها كتب فيما، فتبعدها عن النقد الهادف إلى التعصب المقيت والهوى البغيض، ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه: 25.

[4] العمري، مسالك الابصار: 15/ق2/ 19.

وكان لهؤلاء النقاد أنفسهم تلامذة يدرسون شعر أبي الطيب، ويذهبون في الإعجاب به مذهباً بعيداً، حتى فضلوه على من تقدم من الشعراء، وقالوا: " ليس له معنى نادر ولا مثل سائر إلاّ وهو من نتائج فكره، وكان بجميع ذلك مبدعاً ولم يكن متبعاً، ولا كان لشيء من معانيه سارقاً، بل كان إلى جميعها سابقاً وليس من الضروري أن يقول المعجبون هذا كله، وإنما هم خلقوا من حول ابن وكيع جواً لا يستريح إليه، ولا يلائم ما يرجوه لنفسه من شهرة في الشعر" [1].

ويشكل هذا الكتاب قضية نقدية أثارت جدلاً واسعاً بين النقاد نوه إليها العمري في ثنايا تراجمه.

وقال بشأن هذا المصنف: "ومن وقف عليه علم بأن محل ابن وكيع كقدر البدر في فلكه الرفيع"[2].

يتبين لنا من خلال النصوص الواردة في كتاب العمري التي تعالج قضية السرقات الشعرية، الموقف الذي تبناه العمري تجاهها، فقد حاول جاهداً أن يترصد الآراء التي تتوافق مع فكره، من حيث تسميتها بالأخذ بالإضافة إلى إيمانه بتوارد الخواطر، فكان ينتقي من الآراء التي يصدر من ذوقه الخاص، وبذلك يكون العمري قد بث في ثنايا تراجمه قضية نقدية تدارسها النقاد وأطالوا الحوار فيها، فلم يكن العمري بمعزل عن الساحة النقدية في عصره وفي العصور التي ترجم لمشاهيرها. لم يقف العمري عند هذه القضية بل تعداها إلى قضايا أخرى مبثوثة في ثنايا كتابه فمن القضايا التي أكثر من إيرادها ومعالجتها سواء بموقفه الشخصي أو مواقف غيره من النقاد والأدباء، ألا وهي قضية اللفظ والمعنى، والتي تكاد لا تخلو ترجمة من تراجمه إلا ونبه إليها.

---

[1] عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1404، 1983، 294-295.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 15/ق18/2.

2.4 اللفظ والمعنى

تعد قضية اللفظ والمعنى من أهم القضايا النقدية التي نالت اهتمام النقاد العرب القدامى عامة، وقد حظيت باهتمام العمري الذي أفاد من النقاد الذين سبقوه، كما كان يختص ببعض الأحكام التي يطلقها على انتاج بعض من ترجم لهم، فقد كانت أحـد المقاييس التي اعتمدها في تقييم الشعر، والحكم على الشعراء.

تستوقف العمري في التراجم أمور تفصح عن آراء وأحكام تصدر عن غيره، يقصد إليها قصداً، ليظهر غاية تكمن في نفسه تجاه هذا الخبر، فمن الأمـور التـي استوقفت العمري في ترجمة عبدا بن بري بن عبد الجبار بن بري النحوي اللغوي المصري[1] إذ يقول: " ويحكون عنه من الحذق، حسن الجواب عما يسأل عنه ومـا يعجب فسبحان الجامع بين الأضداد، ويحكى عنه أنه كان لا يتكلف في كلامـه ولا يتقيد في الإعراب، بل يسترسل في حديثه كيف ما اتفق حتى قـال يومـاً لـبعض تلاميذه ممن يشتغل عليه: اشتر لي هندباً بعروقو، فقال له التلميذ بعروقه، فعز عليه كلامه وقال: لا تأخذه إلا بعروقو، وإن لم يكن بعروقو لا فما أريده. وكانت له ألفاظ من هذا الجنس لا يكترث بما يقوله ولا يتوقف على إعراب"[2].

لم يكن العمري بمنأى عن الحركة النقدية السائدة في عصره، وفي العـصور السابقة، وما يتصف به كل شاعر وأديب من خصائص وسمات ترفع مـن قـدره، وتفضله على غيره، فقد اتخذ ذلك أداة لنقده والحكم على بعض من ترجم له بمقاييسه بمن برع في جانب من الجوانب التي أراد العمري إثارتها.

---

[1] أبو محمد عبد ا بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المـصري، الإمام المشهور في علم النحو واللغة الرواية، كان علاّمة عصرة، وحـافظ وقتـه ونـادرة دهره، أخذ علم العربية عن أبي بكر محمد بن عبد الملك الـشنتريني النحـوي القرطبـي، واطلع على أكثر كلام العرب، وله على كتاب الصحاح للجواهري حواشٍ فائقة أتـى فيهـا بالغرائب وكانت ولادته بمصر في الخامس من رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائه، وتوفي بمصر ليلة السبت السابعة والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائه، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس 108/3-109، انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: 4 /1510.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 348/7، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 109/3

فقد ورد في ترجمته لأبي نصر العتبي [1]: "وهو من أصحاب الغوص البعيـد، المعاني البديعة، واللفظ السهل " [2]، نظفر من خلال ما يقدمه العمري تجاه ما ابدعته قرائحهم، بأحكام نقدية تختص بالألفاظ والمعاني بعينها منها الغـوص البعيـد فـي البحث عن المعاني، واللفظ السهل، ويوائم العمري بين المعنى واللفظ، لكنـه يقـدم المعنى البعيد الذي يجهد عقل مفكره للحصول عليه، يغوص من أجل اتيانه، وفـي المقابل يقدمه بلفظ سهل، ولم يتوقف العمري عند ذلك فحسب، بل جعل لدقة المعاني ووثاقة المباني نصيباً من نقده الذي كان ينثره بين ثنايا تراجمه، منها مـا ورد فـي ترجمة " الحسين بن علي الأجهاني" المعروف بالطغرائي، الذي كان دقيق المعاني، وثيق المباني"[3].

وتستوقف العمري بعض الأبيات الشعرية، ويتتبع الألفاظ والمعاني المتداولـة بين الشعراء والكتّاب، ففي ترجمة محمد بن نصر ا بن محمد بن محمد بن عبـد الكريم الشيباني[4]، يقول العمري وله في المشمش: (السريع)

والمشمش الغض الجني بدا بين الغصون كأنجم السحر

إن رمـت أن أجنيه يشغلني طيـب المشمّ ورونق النظر

ويعلق على هذين البيتين قائلاً: "وهذه الكلمة حسنة لولا كاف التـشبيه فـي " أنجم" فإنها قذى في عين هذه العروس، ودعامةٌ ملحقةٌ في هذا البيت".

ولم يتوان العمري عن الإشارة إلى الأحكام النقدية التي نقلها عن شيوخه الذين شكل تراثهم النقدي أهم المصادر التي اعتمد عليها في تراجمه، ومن ذلك مـا ورد

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 19، انظر ترجمته: الثعالبي، يتيمة الدهر: 397/4، الصفدي، الوافي بالوفيات: 3/ 215.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 19/21.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 95/12، انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيـات الأعيـان: 2/ 185، الصفدي، الوافي بالوفيات: 3/ 215.

[4] العمري، مسالك الأبصار:244/12-250.

في ترجمته لابن الأثير الحلبي[1]، حيث يقول: " قال شيخنا أبو الثناء: كان يبطئ ولا يخطئ، وقال: كان انتماؤه بالألفاظ أكثر من المعاني، قلت: ويدل على هذا ما يرى وقد وقفنا على كثير منه وأكثر، متزن لو تجسد لاختزن، كأنه في تـساويه سـجع الحمامة، أو وقع الغمامة"[2]، فهو يأتي بآراء شيوخه النقدية ويؤكد عليها ؛ في حديثه عن الألفاظ والمعاني وتوليدها وحسنها.

ويقف العمري مواقف متباينة إزاء الأحكام النقدية التي يطلقها الآخرون علـى من ترجم لهم، فحيناًنراه مؤيداً لهذه الأحكام وحيناً آخر لا يطرح تعليقاً ولا رأياً.

على الرغم من ذلك، فقد ظهرت شخصية العمري النقدية جلية واضحة مـن خلال ما ورد في ثنايا تراجمه من قضايا نقدية، ومما يدل على ذلك مـا ورد فـي ترجمة عنترة العبسي[3]، حيث يقول: " قال ابن سعيد: إن كانوا قد جعلوه في الكتاب المصنف في أشعار الجاهلية آخراً فإنه متقدم بالنظر إلى معاني الغوص قلت: هـو كمال قال ابن سعيد لغوص لا يدرك قراره، ولا يدرى عما تنكشف بحاره" [4].

لقد أورد العمري رأي ابن سعيد في الحكم على معاني عنترة العبسي، ثم اتبعه بتعليق يؤيد ما ذهب إليه ابن سعيد ويوضحه.

ويطرح العمري أحياناً رأيه النقدي في النتاج الأدبي لمن يترجم له، ثم يتبـع ذلك بأحكام الآخرين، ومن ذلك ما ورد في ترجمة أبي فراس الحارث بن سعيد بن

---

[1] أحمد بن سعيد بن محمد الصاحب تاج الدين بن شرف الدين بن شمس الدين بن الأثير الحلبي الموقع كاتب السر، توفي بغزة ذاهباً إلى القاهرة في شوال سنة إحـدى ووتـسعين وسـت ومائة، وكان يجير القدر عديم الشر، وبيت ابن الأثير هؤلاء غير بيت ابـن الأثيـر فـي الموصل،. الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء ديدرينغ، دار النشر فرانز شتاينر، 1411هـ، 1991 م: 392/6.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 282/12-327.

[3] عنترة بن شداد العبسي أحد أعزبة العرب في الجاهلية، وأحد أبرز فرسانها ضـرب المثـل بقوته وشجاعته، توفي قبل الإسلام بنحو أربعين سنة، مقدمة ديوانه، تحقيق فوزي عطوي، دار المعرفة، بيروت، 1986م، وردت أحكام نقدية تختص بالألفاظ والمعاني، تتشابه مع ما قدمناه، لذلك أثرت أن أشير إليها: 28، 59،57،55،40،34.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 14/ق19/1-22.

حمدان[1]، يقول: "لهم الشجاعة في الملتقى والبراعة في اللفظ المنتقى. ثم يتبعه بقول الثعالبي: فيقول: قال الثعالبي في اليتيمة يصف معاليهم القديمة، ويشير إلى معانيهم الكريمة، أكفهم للسماحة، وألسنتهم للوقاحة، وأحلامهم للرجاحة". وينهـي العمـري ترجمة أبي فراس بحكم نقدي واعتذار عن التقصير في الترجمة، حيـث يقـول: " انتهى ما أثبتناه لأبي فراس، وهو عين ذلك الرأس، بل هو اللباب المحض، وزبـدة ذلك المخض، وإن أنصفناه فهو فوق ما وصفناه وليس في شعره ما يسقط، ولا رأينا قبله ورداً خلا من الشوك قط، ثمار مخترفة، وآثار بفضله رحمه ا معترفه، ومـا محاسن شئ كله حسن"[2].

ويطلق العمري أحكامه النقدية على ألفاظ الشاعر المترجم له ومعانيه، ومـن ذلك قوله في ترجمة مضرس بن ربعي الأسدي: " يفضي إلى المعاني فتطيعه على الفور، وقدر في السرد ويضرب المثل الفرد، ويصنع الألفاظ ذهباً مسكوباً، ويضعها وضعاً محبوكاً" [3].

لقد وقف العمري في هذا الرأي النقدي عند مقدرة الأسدي في اختراع المعاني االشعرية وسردها، وضرب الأمثال الشعرية، وحـسن صـياغتها ووضـعها فـي مواضعها المناسبة لها.

وينوه العمري إلى أن كل أداء لغوي يؤدي في تركيبه اللغـوي الخـاص مـا نفترق به عن أداء لغوي له تشكيله اللغـوي المختلـف، وإن بنيـة التركيـب لهـا خصوصيتها المستقرة فيهما، فنراه حين يعرض لذكر شعراء يراهم أجدر من غيرهم بالنظر وأحق منهم بالتقدير، فيدعوك إلى النظر في أشعارهم وتدبرها، يقـول فـي ترجمة مروان بن أبي حفصة: "وهذا التفضل مما لا يمارى فيه، ولا يخاف الرد من

---

[1] أبو فراس الحمداني، هو أحد الشعراء الفرسان، له شعر في الفخر والأخوانيات والروميـات، كما اشتهر بالقصائد التي سميت بالروميات، ابن خالويه، شرح ديوان أبي فراس الحمداني، إعداد محمد شريفة، مؤسسة عبد العزيز البابطين، 2000م: 9 وما بعدها.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14/ق325/2.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 14/ق1/ 166، 188، 204، 207، 208، 209، 222.

خرج من فيه، انظر إلى هذا الشعر وتناسبه لفظاً ومعنى ورجحانه قافيـة ووزنـاً، وتوافقه جزالةً ولطفاً، وقيامه في ضياء البصيرة بحيث لا يخفى"[1].

وينبه العمري في بعض أحكامه النقدية إلى مقدرة بعض الشعراء الذين تـرجم لهم على اختراع المعاني، ومما يشير إلى ذلك ما ورد في ترجمة أبي نواس. "ومنه قوله في الذكر وهو معنى مبتكر لم يقرع فكره عذراء بمثله، ولا اسـتعدت قريحـة ولود لأن تطرق بحمله " [2].

ويقف العمري أحيانا عند معاني بعض الأبيات الشعرية للمترجم لـه، ومـن الأمثلة على ذلك قوله معلقاً على أبيات أبي العشائر بن حمدان " وقيل له في علتـه: مم تشكو ؟ فأشار إلى غلام له كالريم يعطو، وقال: (البسيط)

أسقم هذا الغلام جسمي	بما يعنيه من سقـ ـ ـامِ
فتور عينيه من دلالٍ	أهدي فتوراً إلى عظامـي
وامتزجت روحه بروحي	تمازج الماء بالمـ ـ ـدامِ

قلت: تمازج الماء والمدام من أحسن ما يضرب به المثل فى الالتئـام للمـاء شرف، للمدامه ترف، اذا اجتمعا ولدا مالا يولده احدهما متى انفـرد، واورد العقـل موارد يأس لفقدها اذا ورد، وهذا شعر كله قلوب، ومهج عليه تذوب، فى كل لفظـةٍ جمال فاتن، وطرف فاتر، وبقية خمر سائل، ونفثه سحر سائر"[3].

إن هذا الحكم على معانى أبيات أبى العشائر ينبئ عن امتلاك العمرى ذائقـه أدبيه رفيعه مكنته من اصدار أحكام نقديه لا تخلو من نقد انطباعى.

ويظهر أن سعة اطلاع العمري على التراث الشعري القديم قد أثـرت تـأثيراً واضحاً في اختياره الأبيات ذات المعاني الخاصة، ومما يشير إلى ذلك قولـه فـي

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق19/2-21، 30، 49، 78.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 14/ق50/2، 217، 285.

[3] العمري، مسالك الابصار: 14/ق2/ 325- 623، انظر ترجمنه في الثعالبي، يتميه الـدهر: 115/1.

ترجمة الوامق، وظفرت له ببيتين علا مبناهما على من ناواهما وعمـرا بالـشمس والقمر وما والاهما، وهما"[1]: (البسيط)

انظر إلى منظرٍ يسبك منظره   بحسنهِ في البرايا يضرب المثلُ

نار تلوح من النازنج في شجرٍ   لا النار تخبو ولا الأغصان تشتعلُ

ويظهر أن العمري في بعض تراجمه يحكم على ديوان الشاعر الذي يقف عليه جملةً دون تفصيل مما يشير إلى ذلك ما ورد في ترجمة الأمير أبي الفتح الحسن بن عبدا بن أحمد بن أبي حصينة السلمي: قال: " ولقد وقفت على هذا الديوان فوجدته قد أكره ثقل التجنيس عفوه، وكدر رنق التكليف صفوة،إلا ما نذر له مـن الأبيـات الآهلة المغاني بأهلة المعاني البارعة جمالاً يفتن وكمالا يؤذن بأن قيمة كل امرئ ما يحسن"[2].

وتتباين أحكام العمري النقدية، ما بين الحكم على الشاعر والحكم على ديوانـه بأكمله، والحكم على بعض القصائد التي تستوقفه في بعض التراجم، والحكم علـى بعض المقطوعات والأبيات الشعرية، والبيت الواحد من الشعر، وأحيانـاً يـستوقفه معنى بعينه فيصدر عليه حكماً نقدياً، ففي ترجمة القاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد الإرجاني، قال: " ومنه قوله في وصف تركي والترك لا ينطق بإلغاء لأنها لا رهن لها قولاً بالوفاء، وابدع في البيت الثاني، واودع فيه مـا زاد علـى سـياق المعاني وهو"[3]: (الخفيف)

كيف يسخو لنا بفعل وفـــاءِ   ذو لسانٍ خالٍ من اسم الوفـاءِ

كيف يصحو من سكرة التيهِ بدر   ما خـــلا فُوه قَط من صهباءِ

كما يورد العمري آراء الاخرين النقدية، ويعقب عليها راداً مـا يـراه غيـر مناسب منها، أو ما يحتاج إلى تصويب أو توضيح، ومن ذلك ما جاء فـي ترجمـة

---

[1] العمري، مسالك الابصار: 15/ق2/ 122.

[2] العمري، مسالك الابصار: 15/ ق2/ 123.

[3].العمري، مسالك الابصار: 225/2/15.

عبدا بن شرف[1]، حينما أورد له مقطوعة شعرية ثم اتبعها بـرأي ابـن رشـيق: (البسيط)

ليلتنا إذ صاحِباىَ بـــــها	بدر وبدر سمائي وأرضـــي
إذا الهوى والهواء الطلق معتدلٌ	هـــذه وهـذا ربيعي طبيعي
بيتنا جميعاً وكل في السماع وفي	شرب المدامِ حجازي عراقـي
أُسْقَى وأَسْقي نديماً غـــاب ثالثه	والـدور منّا شمالي يمنـــــي
تحت الظلام الذي مثل الظَلِمِ جثا	والبدر ببيضته والجو أدحـــي
حتى علا واقع النسرين ذروتـه	كأنه بيدق بإثنين محمـــــــي
وقد تولتْ بنات النعش هابـطة	كأنما هي في بحـــرٍ سمـاري
وقيصر الشرق قد أبدى طلائعه	فانهد بالمغرب الجيش النجاشي
حتى إذا ما التقى الجمعان فت به	معرة الجيشِ كالمنشور ملـوي

قال ابن رشيق: " وهذا الكلام قد اشتدت متونه، واستقامت بطونه وراقت مـن كل ناحية محاسنه وفتونه، قلت: وهذه الأبيات أعظم شأناً مما ذكره ابن رشيق وأتم إحساناً، وأنطق لساناً، مشيدة البناء، موثقة الحسن، تلج كل إذن، وتعلق بكل خاطر، آية في الإبداع، وغاية ضربت سرادقها على الرفاع " [2].

ومن اللافت للنظر أن العمري لا يقف عند آراء النقاد الذين ينقل عنهم، بـل يتجاوز ذلك أحياناً إلى حشد الأدلّة التي تثبت ما ذهبوا إليه، ومن ذلك ما ورد فـي ترجمته لأبي مروان[3] سراج بن عبد الملك، قال: وأنشد له ما قاله بديهاً وهو:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/15/100-107، انظـر ترجمتـه، ابـن بـسام، الـذخيرة، ق4/م1/169، ياقوت، معجم الأدباء:19/37-43.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 12/22.

[3] كان أبو مروان عبد الملك بن سراج فذّ العصر وعلم الفخر، وبقية حسنات الدهر، ونخبة أهل التقدم في شرف النّصاب، وكرم الأحساب، ونسبه من كلاب بن ربيعة، ثم نشأ هذا الـشيخ أبو مروان فيهم محبي رسم علم اللسان بجزيرة الأندلس، ومقيم أوده، ومسدد زيغه ومثقف معوج قناته وموضح مفصله ومحليي غياهب مشكله، وجامع مفترق أدواته، وحاوي قصب السبق في إحراز بعيد غاياته، ابن بسام، الذخيرة، ق1/م2: 809.

عمري أبا حسنٍ لقد جئت إلي	عطفت عليك ملامة الإخوان
لما رأيتَ اليوم ولّى عمره	والليل مقْتبلُ الشبيبةِ دان
أطلعتَها شمساً وأنتَ صاحبها	وحققتَها بكواكب الندمان

ثم قال ابن بسام عقيب القطعة التي منها هذه الأبيـات: وهـذا وراء الـديباج الخسرواني، ورونق العصب اليماني، وبمثله فلتنتشر الصدور، ويـشرق الـسرور، ويذعن المنظوم والمنثور. ألا ترى ما آنف استعادته، وأرشق إشاراته، واقدر علـى الإتيان بالتشبيه دون أدائه، وكذلك دأبه في سائر مقطوعاته. على أن أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكليف شعرهم الذي يروى لهم ضعيف.

قلت والأمر كما قال ابن بسام، والعلة تقعرهم في الكلام، وزيادة حرصهم على الأحكام. فيقف جواد القريحة، وتسري خواطرهم دابيةً وتقع طليحة "[1].

لقد وافق العمري ابن بسام فيما يراه من شيوع ظـاهرة التكلـف فـي شـعر العلماء، والضعف، وتجاوز ذلك إلى تعليل هذه الظاهرة التي أعادها إلى التقعر في الكلام، وحرصهم الزائد على إحكام صنعتهم مما يقودهم إلـى ضـعف قـريحتهم وإخفاق مقدرتهم الفنية.

ويبدو اهتمام العمري واضحاً بنقل الآراء النقدية التي تضمنتها المصادر التـي اعتمدها في تراجمه، فقد انتقى من كتاب الخريدة للعماد الكاتب الأصفهاني، ما يعالج قضية اللفظ والمعنى في ترجمة الأديب أبي اسحاق ابـراهيم بـن عثمـان الكلبـي الأشبهي المعروف بالغزي [2]، قال: " وقد ذكره العماد الكاتب فقال: أتى بكل معنـى مخترع، ونظم مبتدع، وحكمة محكمة النّسج، وفقرة واضحة النّهج، وكلام أحلى من منطق الحسناء، وأعلى من منطقة الجوزاء"[3].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق66/2-68.

[2] أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشبهي، وقال ابـن النجـار فـي " تاريخ بغداد" هو ابراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد بن عمر بن عبدا الغربي الأشبهي الكلبي، الشاعر المشهور شاعر محسن، وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبة أنـه الف بيت. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس: 57/1-58.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 15/ق2/ 257.

ثم قال في كلام آخر: الغزي حسن المغزى وما يعز من المعاني إلى الغر إلاّ إليه يعزى، يعني بالمعنى، يحكم منه المبني ويودعها للفظ إيـداع الـدر الـصدف، والبدر السدف، فمن أفرد أبياته التي علت بها راياته، وبهرت آياته ولم تملل منهـا غاياته[1]. ولم يكتف العمري بإيراد الأحكام النقديـة، بـل كـان يتتبـع أراء النقـاد المتأخرين في الشعراء الذين ترجم لهم، ويقف عند ملحوظاتهم النقدية، ويظهر ذلك في ترجمة ابي بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلـسي القرطبـي[2] وذلك من كمال منهج النقد التاريخي عند العمري ما تتبع فـي بعـض اسـتعمالات الشعراء لبعض المعاني، إذا انحرفوا بها عما درجت عليه وشاعت فيه، فقد جـاءت موسوعته حافلة بالتعليقات والملاحظات والأحكام النقدية والآراء تجاه النتاج الأدبي في تلك الحقب التي ترجم لأعلامها.

ومن الشواهد على ذلك قول العمري[3]: " قلت: وقد تجاذب فقيهان مـن أهـل عصرنا في بيتي ابن بقي، وهما قوله:

إذا مالت به سنة الكرى والتالي له، في بيتي الحكم بن عيال الذين هما:

إن كان لا بد من رقادٍ فأضلعي هاك عن وسادِ

ونم على خفقها هدوءاً كالطفل في نهنةِ المهادِ

فقال أحدهما: على بيتي ابن بقي اعتراضان:

الأول أنه أفحش العبارة في قوله: "أبعدته" وكان ينبغي أن يقول "أبعدت عنـه أضالعي"، والثاني ما ذكره ابن عيالٍ.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار:15/ق258/2.

[2] أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعية، قال الفتح بن محمد بن عبدا القيسي في كتاب، مطمح الأنفس، فـي حقه: إنه كان نبيل النثر والنظام، كثير الارتباط في سلكه والانتظام، أحرز حظـاً وطـرز محاسنه بكراً وآصالاً وجرى في ميدان الإحسان إلى أبعد أمد، وبنى من المعـارف علـى أثبت عمد، توفي سنة أربعين وخمسمائة، ابن خلكان، وفيات الأعيان:202/6-204.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق163/1-173.

فقال الآخر: أما الاعتراض الأول فمسلم، وأما الثاني فممنوع لأن شعر ابن بقي يدل على أن خفقاته لكثرته وقوته مما يمنع النوع بخلاف ما ذكره ابن عيال. فإن تشبيهه بتحريك المهد يقتضي أن يسير ضعيف، ويدل عليه قوله هدوءاً، فقول ابن بقي دل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والترفق به، وتجاذبنا في ذلك فسئلت في توجيه الصواب، فاقترح في الجواب أن يكون على وزن بيتي ابن بقي ورويهما، فقلت:

قول ابن بقي عليه مأخذ	لكنه قول المحب الوامق
يكفيه في صدق المحبة قوله	زحزحته شيئاً وكان معانقي
وأراد شيئاً ما ليهدأ في الكرى	كي لا ينام على وسادٍ خافق
ما حبه كذب كدعوى غيره	ما الكاذب الدعوى نظير الصادق
تبا يهدأ فؤاد متيمٍ	كلا ولا هذا المقال بلائق
ومقال من قد قال أن ضلوعه	خفقاتها كالمهد غير موافق
ما الحب إلا ما تزال له الحشا	وتهدأ بسره فؤاد العاشق

انتهى الجواب.

وأنا أقول ماكان ضر ابن بقي لو قال: ابعدت عنه أضلعاً تشتاقه، فكان يزول المأخذ، ويناسب قوله زحزحته.

وقد روى بعضهم البيت الأول فقال: زحزحته عني: وأظنه من تلبيس المشنعين عليه لما في ذلك من قبح الجفا، وقدح الحبايب بقلة الوفاء.

ويربط العمري ربطاً وثيقاً في أحكامه النقدية، بين المعاني والغرض الشعري، ويفسر ذلك بأن بعض الأغراض تناسبها معانٍ معينة حتى يظفر بآثرها في المتلقين لأنها تكون موجهة لفئة معينة من المجتمع، وإلى ذلك يشير في ترجمة ابن الخيمي شهاب الدين أبي الفضل محمد بن عبد المنعم [1] قال:

إني لأكره ان أنام فالتقي بك	في الكرى خوف الفراق الثاني
ويلذ لي سكنى الثرى إذ جرت	ساكنةً به والدار بالسكان
أصبحت جارتنا الكريمة وإنما	لم يحظ منك بزورة الجيران

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج18 /ق2/ ص 107-134

وبعثت روحك للجنان فصار لي	من أجل ذا شوقان للأوطان
ويقول خالي القلب تلك صغيرة	لا تستحق أسى على الفقدان
يا صاح إن العين وهي صغيرة	فصلت كبار جوارح الإنسان
والقلب يا هذا على صغرٍ به	مأوى العلوم ومنزل الرحمان

"وهذا أسلوب غريب، ومستقى قريب، وكلام سهل يحـرك الجمـاد، يفـيض النشون، وهكذا الشاعر المجيد لا يتعمق في معاني المراثي، فإن تعمق قربها بسهولة اللفظ ووضوحة ليفهمها كل سامع، ولا تحتجب عن النساء لانهن أشد رقـة وأكثـر ندباً للميت وحزناً عليه ولا سيما صغار الأولاد خصوصاً البنات[1]".

إن قول العمري هذا يدعو إلى ضرورة التواؤم ما بين المعنى والأسلوب، كما يدعو إلى تنوع الأداء على حسب تنوع التجربة، فيدعو إلى مراعاة الموقـف، لمـا يستلزمه من أداء لغوي خاص به.

وتكثر المصطلحات النقدية في تراجم العمري مما يجعلها شاهداً على طرائـق النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري، فمنها قوله: "انظر رشاقة هذا المعنى ووثاقة هذا المبنى[2]"، "وافتض أبكار المعاني وكل عنيد[3]"، "وأعرض نظرك هذه التوريـات، وانظر لوامع هذا الفكر لموريات، وتأمل حسن هذا التوليد، وخذ بالنظر بالتقليد[4]".

وتستوقف بعض القصائد العمري، فيصدر أحكامه عليها، ومن ذلك ما ورد في ترجمة ابن الجباس الدمياطي أحمد بن منصور أسطوراس[5] قال:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج18 / ق2/ ص 109-110

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج18 / ق2/ ص 162

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج17 / ق2/ ص 104

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج19 / ص 98

[5] العمري، مسالك الأبصار: ج19 /ص 169

وردت إشارات كثيرة في ثنايا الكتاب تعالج قضية اللفظ والمعنى في أجزاء الكتاب سوف اشير إليها بذكر الجزء والـصفحة ج16/ ص 17، 69، 138، 274، 277، ج17/ ص 1، 15، 61، 126، 173، 204، 214، 222، 242، 245، 276، ج/17 /2 ص 112، 140، 159

وقصيدته التي وصف فيها الموز لا تطاول ذيولها، ولا تعارض سيولها، أبدع فيها كل الإبداع، وأبعد عنها الابتداع، ومن المختار منها، قوله: (المنسرح)

كأنمـا المـوز فـي عراجنـه	وقد بدا يانعاً على شجـ ـره
فـروع شعـر بـرأس غانيـةٍ	عقصن من بعد ضم منتشره
كأن مـن ضمـ ـه وعقّصـه	أرسل شرابه على أثـ ـ ـره
وفي اعتدال الخريف أحسن ما	يرفِل مثل الرجاح فـي أُزره
حاملة طفلهـا علـى يدهـ ـا	تظله بالخمار من شعـ ـ ـ ـره

3.4 الموازنات الأدبية:

تُعد الموازنة الأدبية من أقدم القضايا التي أشغلت النقاد العرب القـدامى، فقـد لازمت هذه القضية تطور الأدب في عصوره المتلاحقة، حيث كانت بسيطة ساذجة ثم أصابها تطور ملموس في العصور التي شهدت تطور الأدب وازدهاره، فاتسمت بالإحاطة بالنص من جوانبه اللغوية والنحوية والبلاغية والذوقيـة، كمـا تميـزت بعرض لآراء نقدية في جودة الشعر ورداءته، فاصبحت هنـاك مقـاييس معروفـة يطرحها النقاد في الموازنة بين الشعراء، فقد جعل الآمدي عمـود الـشعر مـذهب الأوائل، في تفضيل الشعر وإليه ذهب، وعدد من أسسه التي كانوا يفـضلون بهـا، الإلمام بالمعاني وأخذ العفو منها مع جودة السبك وقرب المأتى [1].

وفصل القاضي الجرجاني ذلك بقوله: " وكانت العـرب إنمـا تفاضـل بـين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فاغزر، ولمن كثرت سوائر أمثالـه وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس، والمطابقة، لا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض " [2].

---

[1] الآمدي، الموازنة: تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعـارف، القـاهرة (1961-1965): 1/ 496.

[2] الجرجاني، الوساطة، تحقيق محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، ط4، عيسى البـابي - (القاهرة 1966):33/34.

ولقد تعددت فنون الموازنة في كتاب مسالك الأبصار، فكان منها الموازنة بين الشعراء ممن سبقوا أو ممن تميزوا بفن من فنون الشعر، والموازنة بين شعراء الحقبة الزمانية الواحدة، والموازنة بين نماذج شعر الشاعر نفسه، والموازنة بين الشعر والنثر، والموازنة بين قصيدة وأخرى، والموازنة بين لفظة ولفظة، وكان العمري يعتمد في ذلك على آراء النقاد السابقين، كما كان يبدي رأيه في كثير من الموازنات التي أوردها.

ومن الشواهد على الموازنة بين الشاعر ومعاصريه أو ممن سبقوه: ما ورد في ترجمة أبي الفرج، عبد الواحد بن نصر بن محمد القرشي المخزومي المعروف بالببغاء[1]. "وهو رأس الجماعة، ورئيس القوم في البضاعة، ما قصر في متن تشبيهه عن ابن المعتز، ولا في ديباجة لفظه عن البحتري، ولا في أحكام معانيه عن أبي تمام"[2]، لقد انتقى العمري من البحتري ديباجة اللفظ وإحكام المعاني فوازن بينهما في متن التشبيه وديباجة اللفظ، ولم يقتصر العمري الموازنة على الشعراء، بل اعتمدها في كل الطوائف التي ترجم لها، ففي ترجمته لإبراهيم بن عثمان أبي القاسم بن الوازن القيرواني[3]، "وقال فيه بعضهم: لو أن قائلاً قال: أنه اعلم من المبرد، ثعلب لصدمه من وقف على علمه، وذكر جماعة فمن جالس ابن النحاس بمصر ثم جالس أبا القاسم إنه أعلم من ابن النحاس. وأكمل نظراً"[4].

---

[1] أبو الفرج الببغاء عبد الواحد بن نصر المخزومي شاعر مجيد وكاتب مترسل، وأحد الشعراء الأعلام في القرن الرابع للهجرة، وهو من شعراء سيف الدولة، وقيل لقب بالببغاء لفصاحته وقيل للثغة كانت في لسانه، وكانت صلة الشاعر بشعراء البلاط الحمداني صلة طيبة تقوم على المودة والمحبة، ولا يشوبها الحسد والضغينة، كما هو شائع بين الشعراء في ذلك العصر، شعر الببغاء، دراسة وتحقيق سعود محمود عبد الجبار، جامعة قطر، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 199/3.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 46/12.

[3] العمري، مسالك الأبصار:260/17، انظر ترجمته،ياقوت، معجم الأدباء:89/1، الصفدي، والوافي بالوفيات: 50/6.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 260/7.

ويعتمد العمري على آراء غيره في الموازنة ما بين الأدباء، كما نلمح ظهـور شخصية العمري النقدية بشكل جلي من خلال تبيان آرائه في الأدباء الـذين تـرجم لهم، إذ إنه من النادر أن يترك أديباً دون تعليق، أو رأي، ويطيل رأيه في بعض من ترجم لهم ليدخل في باب التحليل، مع عرض آراء معاصريه في هذا الشاعر، فلـم يعد العمري جامعاً للأخبار مرتباً لها فحسب، بل نراه يتحرك بثقةٍ كبيرةٍ بـين مـن ترجم لهم، عارضاً آراء غيره موازناً بينها، مبدياً رأيه الشخصي القائم على معرفة واسعة بتاريخ الشعر العربي، وخصائص كل شاعر وما تميز به.

لقد كان العمري يورد آراء النقاد وموازناتهم للمترجم له، ليفصح من خلالهـا عن منزلته بين معاصريه، وما يمتاز به، فالموازنة إحدى المرتكزات النقدية التـي اعتمدها العمري في تراجمه، ومن ذلك ما نقله في ترجمة أبي عبيدة، معمـر بـن المثنى التميمي، حيث يقول: "وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويـصفه ويـشنأ الأصمعي ويهجره، فقيل له: ما تقول في الأصمعي ؟ قال: بلبل في قفص، قيل: فما تقول في خلف الأحمر؟ فقال: جمع علوم الناس وفهمها، قيل: فما تقول فـي أبـي عبيدة ؟ فقال: ذاك طُوي على علمٍ"[1] عالجت بعض النصوص التي أوردها العمـري جانباً نقدياً يتمثل في الموازنة بين المغنيين وأصواتهم، وذلك ينبئ عن نظرة العمري إلى الأدب عامة، وإلى ذوقه النقدي الذي يحتم عليه اختيار نوع من النصوص دون غيرها، فاختيار المرء جزء من نفسه، وهذا مما يثري الجانب النقدي في كتابه، كما ينتقي العمري النصوص التي تعلل بعض الأحكام النقدية، منها ما ورد في ترجمتـه لابن سريج [2]، قال أبو الفرج قال اسحاق: أصل الغناء أربعة نفرٍ، مكيان ومـدنيان، فالمكيان: سريج وابن محرز، والمدنيان معبد ومالك، قال: ابراهيم: أدركت يـونس الكاتب فحدثني عن الأربعة: ابن سريج وابن محرز ومعبد والفريض، فقلت له: من أحسن الناس غناء ؟ قال: أبو يحيى، قلت: عبيد بن سريج. قال: نعم، قلت وكيـف

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 20/7-25.

[2] عبيد ا ابن سريج مولى بن نوفل بن عبد مناف، من أشهر المغنيين في العـصر الأمـوي، توفي 98هـ، انظر، الأصفهاني الأغـاني:206/1-256، العمـري، مـسالك الأبـصار: 10/ق82/1.

ذلك، قال: إن شئت فسرت وإن شئت أجملت، قلت: أجمل: قال: كأنه خلق من كـل قلب فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي.

قال اسحاق: وسألت هشام بن مزية، وكان عمر، وكان حاذقاً بالغناء، فقلت له: من أحذق الناس بالغناء ؟ فقال لي: تحب الإطالة أو الاختـصار ؟ فقلـت: أحـب اختصاراً يأتي على منوالي، فقال: ما خلق بعد النبي داوود عليه السلام أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صالح الغنى أحذق منه، ويدل ذلك على أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال: أنا اليوم سريجي"[1].

وكثيراً ماكان يعتمد العمري على مقياس الموازنة في تحديد مكانة من يتـرجم له، وهذا يتطلب معرفة دقيقة بطرائق الشعراء، وما يمتاز به كل واحد مـنهم، فقـد ورد في ترجمته محمد الزف[2]، قال: " سابق لا يكر معه في جوله، ولا يقـر معـه الصولة، ولا يذكر مع بوارقه برقة تهمد ولا خولة ما أبو كامل عنده إلا ناقص، ولا الكميت المذكور في صوت ابن سريج عنه إلا ناكص، ولا ابن محرز معـه ممـن تحرز، ولا ابن ميمون الموصلي إلا ممن تغنى وما نسج مثل نسجه ولا طرز"[3].

إن هذا القول يشير إلى معرفة العمري الدقيقة بأصول الموازنة وبنودها، لذا نراه يوازن موازنة عادلة، مما يدفعه إلى استدعاء الشخصيات المماثلـة لشخـصية المترجم له، فقد ورد في ترجمة أبي الوليد أحمد بن عبدا بن زيدون[4]: " كان فـي الأندلس قيم ذلك الحي، وعاشق ولادة لا مي، زاد على مجنون ليلى وقـيس لبنـى وابن ابي ربيعة صاحب الثريا، لا يغترف إلا من صبابته ولا تركه هواه، أنحف من قلم من نار على علم، وله مع ولادة أخبار ما حكى مثلها ابـن أبـي عـشيق، ولا

---

[1] الأصفهاني، الأغاني: 208/1، العمري، مسالك الأبصار: 10/ق82/2.

[2] محمد بن عمرو مولى تميم، كوفي الأصل، وهو أحد المغنيين في العصر العباسـي، تـوفي أواخر خلافة الرشيد أو أوائل خلافة الأمين، الأصفهاني، الأغاني:378/4-381، العمري، مسالك الأبصار: 10/ق127/1.

[3] العمري و مسالك الأبصار: 10/ق127/1.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 260/11، انظر ترجمته: ابن بسام، الذخيرة: 207/1، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 139/1.

الأصفهاني عن سكان وادي العقيق، ولا الأصمعي عن ذلك الفريق، أندى من نـسيم الصباح وأرق من ريق الغوادي في ثغور الأقاح" [1].

لقد جمع العمري في هذه الموازنة عدة عناصر تتعلق بالغزل، حيث وازن بين ابن زيدون والشعراء الذين اشتهروا بالغزل وأقام موازناته على الجانب الإبـداعي الذي تميز به المترجم له.

وتكشف موازنات العمري عن ذوقه وميله الفني، ومن ذلك ما ورد في ترجمة بديع الزمان الهمذاني[2] موازنة بين الكتّاب ممن اشتهر في مجاله. قال: "وسئل بعض علماء الأدب عن الحريري والبديع في مقاماتها، فقال: لم يبلغ الحريري أن يـسمى بديع يومٍ فكيف يقارب بديع زمانٍ"[3].

ومن الموازنات التي أوردها العمري بي الشعراء المتعاصرين، الموازنة بـين الفرزدق وجرير. كما أشار إلى ممن هم في مصافها وطبقتها دون ذكر أسمائهم، بل أجمل ذلك إجمالاً، قال: " واسمه همام بن غالب التميمي، فحل لا يقرع، ونـصل لا يقطع، غالب الفحول فغلبهم، وحارب أهل المقول، وأخذ سلبهم، تصدى له جماعـة من الشعراء فما منهم إلا من أناخ عليه بزوره، وأنام عليه مدة جوره، ورماه بسهام ما أخطأت فؤاده،ولا خلأت ثماده إلا جرير بن الخطفي، فإنه عند أكثر أهـل هـذا الشأن أكثر تفنناً، وأظهر برقاً لا يلوح موهناً، علـى أن شـيطانهما كـان واحـداً، وسلطانهما على المعاني كان متورداً، إلا أن الفرزدق كان من بيت شرفٍ في تميم، وغرفٍ عليه فخار العظم الرميم وكان يفاخر بأبيه دارم، ويباهل له بمكارم،ويعد منه نجوماً عواتم، وبحوراً خضارم ورماحاً خطية وصوارم " [4].

ويشير العمري في هذه الموازنة إلى الفكرة التي رافقت الشعراء منذ العـصر الجاهلي، وهي أن لكل شاعر شيطاناً ينفث الشعر على لسانه، ويعينه على الـنظم،

---

[1] العمري،مسالك الأبصار: 260/11.

[2] العمري،مسالك الأبصار: 56/12، انظر ترجمته: ياقوت الحموي، معجم الأدبـاء: 234/1، ابن خلكان، وفيات الاعيان: 127/1.

[3] العمري،مسالك الأبصار: 56/12.

[4] العمري،مسالك الأبصار: 14/ق209/1.

فهذا النص يومئ إلى تلك الشيطان وجودة شعرهم على لسان الشاعر ومساعدتهم لهم، ويمكننا أن نرجع هذا إلى شدة الإعجاب بالشعر الذي جاء متميزاً يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله، حيث يقول: "على أن شيطانهما كان واحداً "[1]. كما يوازن العمري بين الشعراء الذين جلّ قدرهم وذاع صيتهم، ومن ذلك قوله: " أن أبا الطيب على بديع اختراعه، وبعيد افتراقه، وعظيم اقتدراه، على حسن ابتداعه، وتحسين ما زاد به على الأوائل في جميل اتباعه كان لا يفتأ ديوان أبي تمام في كمه، وعنوان شعره مقتدح الشعاع في فهمه. ولقد قال يوماً: من أبو تمام ؟ فقاله له الحاتمي: هولاتك وعزاك، وبمن نظر في شعريهما نظر بين قدريهما، وأبو تمام الممد وأبو الطيب هو المستمد، وشيخنا حجة العرب على علم الحفاظ أبو حيان الثغري الجياني بارك ا في بقية عمره يقول:أنا لا أقبل عذلا في حبيب، وحسبك بقول هذا العالم اللبيب "[2].

فقد جعل العمري عناصر تميز أبي الطيب قدرته على اختراع المعاني البعيدة، والزيادة على معاني السابقين، غير أنه كان يعول كثيراً على شعر أبي تمام.

ويجري العمري بعض الموازنات بين جزئيات الأعمال الأدبية الشّعرية والنثرية، فيعقد على سبيل المثال موازنة بين بيت شعر لشاعر ما وبيت شعر لشاعر آخر، وكان يراعي في ذلك مفهوم المعاصرة، فقد ذكر في ترجمة نصير الحمامي3، قال:4 "فكتب إليه الشمس الموصلي، كان يقرضه لحسن قريضه، ويقرضه بما تحسد الشمس على وميضه، ويذكر ما يناسب بالحمام، ورفع الموقدة من ألوية الضرام، وأنه ذو البيت الذي ينقّي من الدنس، ويزيل ظهور النجس، وهي:

لئن فخرت بالمكرمات بنو مصرٍ فإن بين الناس أجدر بالفخر

---

[1] العمري،مسالك الأبصار: 14/ق209/1.

[2] العمري،مسالك الأبصار: 14/ق94/2.

[3] هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن شرف الدين الدلامي، ولد سنة 608هـ وتوفي سنة 686 هـ، درس العلوم الدينية ثم أقبل على التصوف، كما اعتز بمدائحه النبوية، البوصيري، الديوان، تحقيق محمد سيد كيلاني البابي الحلبي، 5-47.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 18/ق2 /142.

فما زلت ذا النادي الندى لقاصـد كثير رماد القدر مرتفع القدر
ونارك للعافين دائمـة اللظـ ـى لها لهب يبدو كألوية حمْـ ـر
وكم تائب وأفاك يكشف رأسـه فحققت منه أنه جاء ذا عـ ـ ـذر

فأما قوله: وكم لك من مشمولة، فتشبه بقول أبي الفضل بن عبد الظاهر فـي الشملة، وهما متعاصران، ولا أعرف من هو أبو عذرته. يقصد العمـري مقارنـة بينهما، غير أنه يعبر عن عدم قدرته على تحديد من هو صاحب السبق في الوصف.

ويعقد العمري موازنات بين قصائد الشعراء المختلفين، ومن ذلـك الموازنـة التي بين ميمة البوصيري[1]، وميميات عرفت لشعراء سابقين، منها ميمية الفرزدق وميمية عنترة العبسي، يقول: "الميمية التي كل ميم فيها أشهى إلى لائمة من مقّبـل، وأحسن من غير ناظره من سواد عين لمن تأمل.التي أشرقت فكادت ترى وتمـسك بها، والميميات كالعرى، التي أنست ميمية ميميته الفرزدق في بعـض ابنـاء هـذا الممدوح، وميمية عنترة وليس الغراب الناعق كالقمري الصدوح"[2].

وقد دأب العمري على استخدام هذا النهج من المقارنات، حيـث يتـأتى لـه الكشف عن القيمة الأدبية للمترجم له من خلال مقارنته بغيره من الشعراء الذين ذاع صيتهم، واشتهروا بخصائص معينة.

ويفرد العمري كل ذلك لينتقي للشخصية المترجم له ما يتناسب مـع نهجهـا وديدنها، فالعمري يقتطف من هذا الشاعر ثم يجتزء من ذاك، ويقترض من تلك حتى يكون الشخصية المترجم لها، بحيث تظهر أهم الملامح الأدبية، ومن ذلك ما ورد في ترجمة السراج الوراق [3]، قال:[4] "لو استفاء بسراجه ابن المعتز لما سـمح بعاريتـه

---

[1] هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن شرف الدين الدلامي، ولد سنة 608هـ وتوفي سنة 686 هـ، درس العلوم الدينية ثم أقبل على التـصوف، كمـا اعتـز بمدائحـه النبويـة، البويصري، الديوان، تحقيق محمد سيد كيلاني البابي الحلبي، 5-47.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 18/ق2 /181.

[3] هو عمر بن محمد بن حسن، سراج الدين الوراق، توفي سنة 695هـ، ابن شـاكر الكتبـي، فوات الوفيات: 140/3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 83/8.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 11/19-12.

للصباح، أو التّنوخي لما سماه بسناه لبريق الصفاح، أو الإسكندري لما عـدل عـن البحر إلى الخليج، ولا وجد غنى عنه من قال[1]: (الرمل)

إن بيتاً أنت ساكنُه   غير محتاجٍ إلى السرج

بل لو عن ذاكره لابن أبي الخصال[2]، لعلم أنه ما اخصب، أو الجزري لمـا لقي الكباش بقرنٍ أعضب، بل لو يخيم على معاصريه ابن اللخمـي [3]، لمـا عـاج معاجاً، ولا ظن أنه برق الجزع يرى بعد أذكى سراجاً، أخذ عن أدباء مصر ولقـي علماءهم، وكان هو والجزار [4]، فرسي رهان وقبسي نار، لا يـسكت لهـا لـسان، يتناقضان تناقض الفرزدق وجرير، ويتعارضان تعارض ابن القيـسراني [5]، وابـن منير [6]، يطلعان طلوع الشمس والقمر المنير، ويقولان قول الأنـصار: منـا أميـر ومنكم أمير. وكان شعراء ذلك الصدر معها في المطارحة على حسب الاتفاق،ومـا يقدر لكل واحد منهم من الاتفاق، إلا أن الحلبة كانت تخلى لهذين الفحلين وهمـا لا يبقيان، والأرض لا تسعهما، ومرج البحر يلتقيان، إلا أن أبا الحسين الجزار ممـن ذُبح معه بسكينه، وعرف قدر مسكنيه، وأصبح لا يعرف شحمه مـن ورمـه، والا يرى إلا قطعة لحم، مما علق على وضمه، لا تضيئ مع سراجه شمسه، لا يمتد مع وجود نفسه".

---

[1] البيت لشاعر مجهول، وهو موجود في ديوان المتنبي: ج 3 / 131.

[2] محمد بن مسعود بن أبي الخصال توفي 540هـ، وزير وشاعر وأديب أندلـسي، الزركلـي، الأعلام: 346/7.

[3] محمد بن عبد المنعم، شهاب الدين اللخمي توفي 685 هـ، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: 413/3.

[4] يحيى بن عبد العظيم، جمال الدين توفي 679هـ، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: 277/4.

[5] محمد بن نصر المخزومي، شرف الدين توفي 548 هـ، أحد شعراء الـشام وأدبائـه، ابـن خلكان، وفيات الأعيان: 458/4.

[6] أحمد بن منير الطرابلسي، توفي 548 هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 156/1.

وكان العمري يعمد أحياناً إلى عقد موازنة بين أبيات منتخبه للـشعراء الـذين يترجم لهم وأبيات مماثلة له، معتمداً في ذلك على المعنى المشترك بينهما، ومن ذلك قوله في ترجمة ابن المظفر الكندي الوادعي[1]، وقوله:[2] (السريع)

أما ترى الجامع في ليلةِ النصـ ـفِ التي تُزهي بأنوارها

قـدْ وقدوه فحكـى روضـةً ذهبية أوراق أشجارهـا

قلت: وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين كنت قلتهما في هذا المعنى، ليلة نصف شعبان سنة تسع عشرة وسبعمائة بدمشق، ونحن بالجـامع الأمـوي. وقـد علقـت مصابيح الوقود، كأنها خدود، وأقبل شاب ماطر شاربه هو البدر التمام في تلك الليلة أو يقاربه، ثم طفق في الجامع يتمشى، ويأخذ بمجامع القلوب ولا يخـشى، فقلـت: (الطويل)

ولاحت مصابيـح الوقود كأنهـا عيون رأت معنى الحبيبِ فحدقتْ

وولّت تريد العود من خوف خده وقد سرقت منه الشعـاع فعلّقـتْ

وكان العمري يعقد موازنات بين بعض جوانب وأشـكال نتـاج الـشاعر أو الكاتب الواحد، ومن ذلك موازنته بين رسائل الحريري ومقاماته، حيث يقول: "فأما هذا الرجل – أعني أبا محمد الحريري- فإنه – على ما رأيته أنموذج كلامه هنـا، مكيل الغوص بخلاف مقاماته، فإنه فيها كمن طاب الروض بجنى زهرها، وصـعد السماء فاقتطف زهرها، وإنما تركت اختيار شيء له منها لشهرتها، ولأنها صارت كتاباً بذاته، لا تعد في سلك ترسلاته، وبينهما في حسن الكون، ما رأيت مـن هـذا البون، على أن ما أوردت له من هذه الرسائل هي الفرائد التي لا تقوم، الفرائد التي تعنى من يتعلم، متماثلة في توفية الأغراض مغازلة كالجفون المراض، سهلةً علـى فهم المتناول، قرمةً لا تنالها يد التطاول "[3].

لقد كشف عن أن الحريري قصر في رسائله عن منزلة مقاماته الفنيـة، وأن البون بينهما بعيد.

---

[1] انظر ترجمة: الكتبي، فوات الوفيات: 98/3. توفي سنة 716 هـ.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 220 – 226.

[3] العمري – مسالك الابصار: ج12/ 33-41.

وكان يوازن أحياناً بين بعض الأبيات الشعرية للشاعر ذاته، وذلك كمـا ورد فـي ترجمة تميم بن المعز.1

وقوله: (مجزوء الوافر)

أتاح لقلبي السهرا	وما أبقى وقد قدرا
ومن أودى به قمر	فكيف يعاتب القمرا

"النصف الأول من البيت الأول يشبه نصف بيت له تقدم لا بل هو بمعناه بـل هو إياه، إلا أنه قال في الأول أباح الباء الموحدة، وقال هنا أتـاح بالمثنـاه، وهـذا الفرق"2. يقف العمري على تكرار الشاعر ذاته لمعنى ولفظ شطر بيت شعر له.

ولما كان العمري قد ترجم لعدد من الأدباء الذين عرفوا بإبداعهم فـي الـنظم والنثر معاً، فقد ركز في الموازنة بين انتاج الشاعر من المنظوم والمنثور، وأطلـق أحكاماً بخصوص ذلك، ومن ذلك ما ورد في ترجمة مهيار بن مرزويـة الـديلمي "قال: قلت: ومهيار معدود من الكتّاب إلاّ أنني لم أذكره فيهم، لأنّني لم أقف لـه إلاّ على الشعر العالي على الشّعرى مرمى بيوته، الباقي بقاء النجم دوام ثبوته، وقد قال فيه الباخرزي: "هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعب وكانت تتجلّى تحـت كـل كلمة من كلمات كاعب"3.

ومن ذلك أيضاً الموازنة بين شعر علي بن يحيى البطريق، البغدادي الحلـي[4] ونثره، قال: "الكاتب نجم الدين، أبو الحسن. طلع نجمه علياً، وجمع نظمـه حليـاً، وبرع أدباً فائقاً، وذهباً نافقاً، وكتب الإنشاء إلاّ أنه لم يكن لبيانه سـحر يـؤثر، ولا لجنانه سهر يتدفق ولا كوثر، لتقصير وقع في قسمه، وقعد بنثره عن نظمه"[5].

---

[1] هو ابن خليفة الفاطمي المعز لدين ا ، جاء أكثر شعره في مدح أبيه وأخيه، ولد سـنة 337 هـ، وتوفي سنة 375 هـ، تميم بن المعز، الديوان، تحقيق محمد حـسن الأعظمـي، دار الثقافة، بيروت، 1970، العمري، مسالك الأبصار: 1/18، 12-24.

[2] العمري،مسالك الأبصار:ج1/18/ 24

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج15/ق44/2-73

[4] توفي سنة 642 هـ، تنظر، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: 112/13.

[5] العمري، مسالك الأبصار:ج 127/16.

كما أصدر العمري بعض الأحكام النقدية القائمة على الموازنة بين شعر إبراهيم بن خفاجة، ونثره[1]، قال: "وله نثر كثير، واخى في نظمه إن كان ما زاد عليه رونقاً، وجرى لا ترده القافية متدفقاً، لا أخال الدر يواخيه، ولا أراه في الحسن دون أخيه"[2]، كما أورد العمري في ترجمة السراج الوراق قال: "وهذا آخر ما وقع عليه الاختيار من شعره أما نثره فهو أقل بضاعته، وأسهل صناعته، ومنه ما كتبه إلى بعض أصحابه"[3].

لقد كانت الموازنة أحد عناصر نقولات العمري النقدية التي اعتمد عليها في إطلاق أحكامه التي كانت تنبثق من ذوقه الأدبي، وأفادته ممن سبقه من النقاد، وقد كانت الموازنة عند العمري لها ثلاث أوجه، الموازنة بين الشعراء ونتاجهم الأدبي جملة أو تفصيلاً، والموازنة بين أدب الأديب نفسه شعراً أو نثراً، والموازنة بينه وبين ممن ترجم لهم، حيث كان يجد نفسه في أدبهم، مما يبعث على استدعاء أشعاره.

4.4 التلقي

تكشف بعض آراء العمري التي بثها في ثنايا تراجمه عن أنه اهتم اهتماماً كبيراً بقضية متلقي النص الأدبي، وهي لمن موجه هذا الإنتاج الأدبي، وحتى يحقق العمل الأدبي غايته من التأثير الجمالي لا بد من مراعاة حال المتلقي ولم تكن أهمية هذه القضية وخطورتها لتغيب عن ابن فضل العمري، لذلك تعنى عناية خاصة بأثر الإنتاج الأدبي في نفس المتلقي، وقد جاءت هذه الجوانب في إطار حديث العمري عن السحر والشعر، وتقسيمات ابن سعيد للأشعار المرقص والمطرب والمتروك والمسموع.

لقد أورد العمري مصطلح السحر الحلال كثيراً في تراجمه، وذلك عند تقييمه إبداع المترجم لهم، وتكمن أهمية السحر في الأدب على حد قول ابن الأثير في أنه:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار:ج 17 / ق1 / 127.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج17/ ق1 /145

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج126/19

"أعجب ما في العبارة المجازية إنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعـي فـي بعـض الأحوال حتى أنها ليسمح بها البخيل، ويشجع بها الجبـان، ويحكـم بهـا الطـائش المتسرع، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر، حتى إذا قطع عنـه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منها من بذل المال، أو ترك عقوبة، أو اقدام على أمر مهوك، وهذا فحوى السحر الحلال المستغني عن القاء العصا والحبال" [1].

فالسحر الحلال: هو المؤثّر من القول، المعتمد على التخييل والتصوير، وهـو البليغ، سمع عمر بن عبد العزيز – رضي ا عنه – رجلاً يتكلم فأبلغ في حاجتـه فقال عمر: " هذا وا السحر الحلال " [2]، ومما أورد العمري نقلاً عن ابن بسام، في ترجمـة حصيـن الشبلي الإشبيلـي [3]، وقال ابن بسـام فيـه: أحـد مـن راش الألفاظ بالسحر الحلال، وشق كمائم المعانـي عـن أفـتن مـن محاسـن ربـات الحجال.." [4].

كما نقل عن ابن بسام في ترجمته للأعمى التطيلي [5] قوله: "ه أدب بارع ونظر في غامضه واسع، ونظم كالسحر الحلال ونثر كالماء الزلال" [6].

لقد وعى العمري العلاقة الوثيقة ما بين السحر والشعر، فقـد عـدها معيـاراً للإجادة، فحينما يترجم لأديب ويقيم أدبه لا بد أن يقرن ذلك بالسحر.

---

[1] أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، آفـاق عربيـة، بغـداد، ط1، 1989، ص 38 – 40

[2] أحمد مطلوب، معجم العربي القديم: 48-50.

[3] من مشاهير شعراء المعتضد، أحد من راش سهام الألفاظ بالسحر الحلال، وشق تمائم المعاني عـن أبين محاسن ربأت الحجال، بين طبع أرق من الهواء وأعذب من الماء، وعلم أغزر من القطر، اذكـر شعراً ظن أنه صانعه، أو ديواناً توهم أنه مؤلفه وجامعه و ابن بسام الذخيرة: دار الثقافـة، بيـروت، 1979 م: ق2/م158/1.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق71/2-72.

[5] أحمد بن عبدا بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي، له أدب بارع ونظر في غامضه واسع، فهـم لا يجارى، وذهب لا يبارى، نظم كالسحر، ونثر كالماء الزلال، جاء بالنادر المعجز، وفي الطويل منـه والموجز، نظم أخبار الأمم في لبه القريض، وكان في الأندلس سر الإحسان، وفرداً في الزمان، إلا أنه لم يطل زمانه، توفي سنة 525 هـ، ابن بسام، الذخيرة: ق2/م728/2، ديوانه، تحقيق إحسان عباس.

[6] العمري، مسالك الابصار: 17/ق32/2-33.

وعلق العمري على أبيات للشاعر الحسين ابن علي بن محمـد بـالطغرائي[1]. ذكر له مقطوعة شعرية منها: "ولعمري ما أعرف ما أصف به هذا الـشعر، وهـو الذي قل أن يماثل، وجلّ أن يقاس به، وهو السحر الطـاهر، الرحيـق المشعـشع، والروض الباسم"[2].

ولم يقتصر استخدام العمري مصطلح السحر الحلال أو الطاهر على وصـف شعر شعراء معيينين، بل شمل ذلك كثيراً من الشعراء الذين عاشـوا فـي فتـرات وعصور مختلفة، ففي ترجمة عبيد بن الأبرص، "قال: وشعره من الـذهب المعلـق والسحر أو ما قاربه إن لم يكن السحر المحقق" [3].

وكان العمري يطلق مصطلح السحر على نتاج الأديب جملة، وأحياناً علـى قصائد بعينها، أو على غرض دون آخر، فقد أطلق هذا المصطلح على الـنظم دون النثر في ترجمة الأمير أبي الفضل عبدا بن أحمد الميكالي، قال: "وله نظم يسحر، ونثر يعجب من يتبحر، وما كل من تأثر على الآنام أقر في أصناف الكلام[4]"، كمـا أشار العمري إلى سحر البيان في ترجمة علي بـن يحيـى البطريـق، البغـدادي،

---

[1] العميد فخر الكتّاب أبي اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدا بن عبد الـصمد أبـي اسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني، المنشئ المعروف بالطغرائي، كان غزير الفضل، لطيـف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، له ديوان شعر جيد، ومـن محاسـن شـعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حالـه ويشكو زمانه وهي التي أولها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى تعطل

ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عبـاس، دار صـادر بيـروت، 1972، م185/2. للاستزادة في ربط الشعر بالسحر عند العمري انظر الجزء نفسه ص 91، 283، 231، 56.

[2] العمري، مسالك الأبصار:12/85-98.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج14 / ق1 / 74، أحد فحول الشعراء في الجاهلية: انظر عنـه: مقدمة ديوانه، تحقيق حسين نصار، وابن سلام، طبقات فحول الشعراء: 1م137 للاسـتزادة الجزء نفسه: 57، 188

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج15 / ق2 / 12-13.

الحلبي[1]، قال:" وكتب الإنشاء إلا أنه لم يكن لبيانه سحر يؤثر، ولا لجنانه نهر يتدفق ولا كوثر، لتقصير وقع في قسمه وقعد بنثره عن نظمه ".

وأشار إلى ذلك أيضاً في ترجمة أيدمر المحيوي، فخر الترك[2]، قال: وخلط سحر بيانه بسحر أجفانه، فجاء بسحر عظيم.

واتخذ العمري السحر مقياساً للحكم على الشعر، دون النثر أحياناً، ففي ترجمة إبراهيم بن خفاجة، قال: "أجاد الصناعتين إتقاناً، وسحر حتى جيل الذراري إتقاناً، وأحم قريحته فقذف بحره جماناً وجاء بما لا يقوم أثماناً، وأتى بفرائده خلجي ومسلوكه.."[3]، ويتبع ذلك بما قاله ابن بسام بشأنه، بقوله وقال ابن بسام فيه:" يبلغني من شعره ما يبطل السحر، ويعطل الزهر"[4]، ويورد العمري في ترجمة ابن عيطون الطليطي[5]، قال: تود أردان السحر أنها بأنفاسه تتأرجح، وخدود الملاح أنها بمائة تتفرج، ثم يتبع ذلك قال ابن بسام فيه: "أحد بحور البراعة، ورؤوس الصناعة، نفث هاروت على لسانه بسحر، إلا أنه حلو حلال"[6]، كما كان العمري يبني اختياره للأشعار على ذلك المعيار الذي حكم به على أشعار من ترجم لهم. كما ورد في

---

[1] انظر ترجمته: الكتبي، فوات الوفيات: 112/3، توفي سنة 642 هـ.

[2] العمري، مسالك الأبصار: ج16 /129.

[3] العمري، مسالك الأبصار: ج17 /ق1 /127.

4 ابن بسام، الذخيرة: ق3/م542/2.

5 الوزير الكاتب أبي الخطاب عمر بن احمد بن عبدا بن عطيون التجيبي الطليطي أحد بحور البراعة ورؤوس الصناعة، نفث هاروت على لسانه بسحر، إلا أنه حلو حلال، وتفجرت البلاغة من جنانة ببحرٍ إلا أنه عذب زلال فأتى ثانياً من عنانه، وسبقاً على تاخر زمانه، على أنه لم يشرح قطّ بحب الشعر صدراً، وإنما قاله متحبباً لا متكسباً، وألم به متمرناً لا مترنياً، وقد أثبت من كلامه ما يزري بالدر في السلك، ويخل بالكافور المسك. ابن بسام، الذخيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، 1979م: ق3/م773/2-774.

[6] ابن بسام، الذخيرة: ق3 /م773/2.

ترجمة الأسعد ابن مماتي[1]، قال: قلت: وللأسعد شعربل سحر، وقد اخترته، ومنه[2]: (البسيط)

أراكم كحبابِ الكأسِ منتظمـاً   فما أرى جمعكم إلاّ على قدحِ

وبذلك يعزز العمري العلاقة بين السحر والشعر الكامنة في القوى التأثيرية لكليهما، وهي قوى يظهر تأثيرها في السلوك الإنساني بعد أن تحدث أثراً في التصور والمفهوم، ولعل بينهما اشتراكاً آخر يعزز قدرة كل منهما على التأثير، حيث يحدث كلاهما تأثيراً ظاهراً على المتلقي، في استجابته لمضامين أو جماليات في الأشعار التي ترتقي إلى درجة السحر. وهكذا قسم لسان الدين بن الخطيب ما اطلقت عليه العرب شعراً قسمين: سحراً، وهو الصنف من الشعر الذي يخلب النفوس ويستفزها. ويثني الأعطاف ويهزها، وهو ذاته المعنى الذي استخرجه من التبعيض في قوله (ص) " إن من البيان لسحراً "، وشعراً، وهو الصنف الذي يقصر عن الغاية الموصوفة آنفاً [3].

ولعل ابن الخطيب كان متأثراً بسياق الرؤية الأندلسية الخاصة للتفريق بين المرقص والمطرب من الشعر، فهو منساقٌ إلى التركيز على التخييل والمحاكاة وجعل التشبيه والاستعارة، وهما وثيقا الصلة بعضهما ببعض، أصلاً متيناً من أصول الشعر الساحر، أو الشعر الشاعر، ما تكلم عنه ابن سعيد في عنوان المرقصات والمطربات، من حيث تركيزه على كون "غرابة التشبيه والصورة والتمثيل " أساساً للتفريق بين نمطين من الشعر: أولهما المرقص الذي يبلغ تأثيره في المتلقي أن يعبر عن إعجابه بالرقص، والآخر المطرب الذي يبعث في النفس

---

1 هو القاضي الأسعد أبي المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد المهذب بن مينا بن مماتي المصري الكاتب الشاعر ناظر الدواوين بالدار المصرية، توفي سنة 606 هـ، العماد الأصفهاني، الخريدة: 100/1.

2 العمري، مسالك الأبصار: 18/ ق111/1-113.

3 لسان الدين بن الخطيب السلماني، السحر والشعر، تحقيق خالد الجبر، وعاطف كنعان، قسم اللغة العربية، جامعة البترا – الأردن، ط1، 2008 م، دار جرير.

هزة ارتياح ونشوة طرب، أما سائر الشعر سواهما فهو من المقبول أو المسموع أو المتروك.

والجدير بالذكر أن العمري قد صرح بانتهاجه نهج ابن سعيد في هذا التفريق، فهو يبني رأيه على الأسس التي اعتمدها ابن سعيد في كتابه المرقصات المطربات، وقد سمى ابن سعيد ما تمتع بالجدة من حيث الابتكار أو التوليد باسم المرقص وسمى ما دونه مما عليه اثارة من الابتداع لا تبلغ بالمتذوق حد الرقص، وإنما تثير في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب باسم المطرب، فليس المرقص هو الشعر القائم على التشبيه بل على "غريب التشبيه" أو غريب الصورة استعارة كانت أو تشبيهاً أو غير ذاك، فهناك تشبيه جميل ولكنه لا يبلغ حد المرقص[1]. ومن درس النماذج التي أوردها ابن سعيد على هذين اللونين من الشعر وجد المرقص والمطرب يترددان معاً في أشعار الجاهليين والاسلاميين والمحدثين مع غلبة في المطرب على المرقص، وأن الاستشهاد بالمطرب يقل كثيراً في المائة الرابعة، حتى إذا وصلنا المائة الخامسة والسادسة والسابعة اختفى الاستشهاد بالمطرب، ولم تبق إلا الأمثلة على المرقص، وليس معنى هذا أن المطرب لم يعد له وجود، بل إن كثرة المرقص قد أغنت عن إيراده.

وفي استعمال هذه المصطلحات الخمسة (المرقص والمطرب والمقبول والمسموع والمتروك) نظر ابن سعيد إلى الشعر من ناحية التأثير وحسب، أي نظر إلى فعل الشعر في نفس المتلقي وإلى رد الفعل لديه حين يتلقى الشعر، وقصر النظر على هذه الناحية دون سواها، مع استبعاد الأمثال والحكم من باب المرقص والمطرب، وذلك انحياز إلى جانب المتعة في الشعر.

لقد اعتمد العمري في ترجمة شعراء المغرب والأندلس على ابن سعيد فنهج نهجه، وقد أشار إلى ذلك في تقديمه لهذه الطائفة، فقال:" ثم لم يبق إلا ذكر الشعر بالجانب الغربي، وأول ما بدأ منهم ابن سعيد، وهو المتأخر المجيد، المنتصر

[1] عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 534 – 535.

لجمعهم، والمقتصر على تحسين صنعهم في المائه الرابعة، وساقهم إلى زمانه فـي المائه السابعة، مرتباً على المئين، منظماً لهم نظم العقد الثمين))[1].

واعتمد العمري على اختيارات ابن سعيد الشعرية لمن ترجم لهم، فقد كـان ينتقي ما أورده ابن سعيد في كتابه، وقد وردت إشارات كثيرة تنبئ عن اعتماده على ذوق ابن سعيد واختياراته.

ويبني العمري اختياره النصوص الشعرية على الأسس التي اعتمد عليها ابن سعيد، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة يحي بن ابن هذيل الأعمى [2]، قال " وقد أورده ابن سعيد وذكر له في المرقص قوله:

لما وضعت على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلة الظلماءِ واكبدي

ضجتْ كواكب ليلي في مطلعها وذابتِ الصخرةُ الصماء من كيدي

وليس لي جلد في الحب يصبرني فكيف أبقى بلا قلـبٍ ولا جلـدِ

ولما رآني مشيراً للسلام بهـا ألقي على خده مضاعـفُ الزردِ

كما أورد العمري في ترجمته لمنصور الفقيه[3]، اعتماداً على ابن سعيد، مـا نصه: "ولست أعرف من فاخر درة المجلوب، ولا من زاخر بحره المطلوب، إلاّ ما أورده له ابن سعيد في المرقص وهو"[4]:

قالو العمي منظر قبيح قلت لفقدي لكم يهون

تا ما في الأنام حر تأس على فقده العيون

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق1 / 11.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق1 / 14، يحي بن هذيل أبو بكر مـن أهـل العلـم والأدب والشعر، غلب عليه الشعر فصار من المشهورين به، وقد سمع الحديث من أحمد بن غالب وغيره، مات أبو بكر سنة خمس أو ست وثمانين وثلاثمائه، وهو ابن ست وثمانين، وكـان قد بلغ من الأدب والشعر مبلغاً مشهوراً، أبو عبد ا محمد بن فتوح بن عبدا الحميـدي، المتوفي 488هـ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجـي، مكتبة الخانجي، القاهرة: 358.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق1/ 47، ابن سعيد، المرقصات المطربات: 77.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق1/ 47.

ويجمل العمري بعض أحكامه، حيث يحكم على النثر دون الشعر اعتماداً على ما يحدثه النثر في سامعيه أو قرائه، فتأتي أحكامه، جملةً لا تفصيلاً، ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي[1]، قال: "وله نثر يروع حالية العذارى، وتغور فيه الدراري غيارى، ويريك السامعين من طرب السكارى، وما هم بسكارى، ولكنها نشوة استحسان، ونشأة روح ويحان"[2].

ولم يتبع العمري نهجاً واحداً في حكمه على تأثير الأدب في نفس المتلقي، فقد حكم جملةً وحكم تفصيلاً، فكانت تستوقفه بعض القصائد مما لها بالغ الأثر في نفوس المتلقين، فيحكم عليها دون غيرها.

ومن ذلك ما جاء في ترجمة الأمير أبي الفتيان مصطفي الدولة محمد بن حيوس[3]، قال: "ومن منتخب أشعاره السيارة، وقصائده التي سكنت أوكار القلوب ذوات أغاريدها الطيارة قوله "[4]: (الطويل)

ومحجوبةٍ عزت وعز نظيرها	وإن أشبهتْ في الحسن والعفّة الدمى
أُعنّفُ فيها صبوةً قطّ ما ارعوتْ	وأسألُ عنها معْلِماً ماتكلّما
إذا قابلت شمس الأصايل ماعلا	تدنّر أو بدر الظلام تَدرهما

واتخذ العمري التلقي معياراً للحكم على بعض الأشعار، ومن ذلك ما ورده في ترجمة الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن الحسن بن علي البيهقي [5]، قال:"

---

[1] أنظر ترجمته: التونجي، علي بن الحسن الباخرزي، حياته شعره، دار صادر، بيروت 1994م.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2 / 201 – 207.

[3] أنظر ترجمة: ياقوت الحموي، معجم الأدباء: 13 / 219.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2/ 151.

[5] أنظر ترجمة: ابن حيوس، الديوان، تحقيق خليل مردم بيك، دار صادر، بيروت، 1984: 1 / 5.

ومن أشعاره التي تدب كالخمر في المفاصل، وتهـب كنـار مـضاء فـي بريـق المناصل"[1].

ويطلق العمري أحياناً حكمه على الديوان بأكمله، ومن ذلـك مـا ورد فـي ترجمة أبي الغنائم، محمد بن علي بن المعلم الواسطي، قال: "واتخذت ديوانه الوعاظ موضع إنشادهم، ومكان استشهادهم، فذهب بـالقلوب، ونهـب الألبـاب، وبلفظـة الخلوب، للطافة فأخذه، وقرب وصوله إلى القلب ومنفذه، حتـى إن الكلمـة كانـت تختطف من فمه، وتقتطف قبل أن يثمر بها أفناه قلمه، فلا تنشد له قصيدة إلا تناهب إنشادها من حضر، وتواثب اليها كل منهم وابتدر. فقل أن تميز منشد له بإنشاد، أو برز منفرداً فإيراد، لمسابقة الحضور له إلى أبياتها، ومسارعة الجميـع لـه علـى غاياتها، لسرعة انتشارها، وسعة اشتهارها، فجاء كله حلواً رقيقاً، وصفواً رحيقاً "[2].

كما كان العمري ينقل أحكام الآخرين المتعلقة بهذا الجانب، أي التـأثير فـي المتلقي، ومن ذلك ما ورد في ترجمة ابن شهيد[3]، قال: " ثم قال ابـن بـسام: وقـد أخرجت من أشعاره الشاردة، ورسائله الباقية الخالدة، ما يجل له السمع صباه، ويحن معه الكبير إلى صباه، وأنشد له شعراً فيه.

وتدري سباع الطير أن كماتَـــه إذا لَقيتْ صيد الكُماةِ سِبـــــاع

تَطير جِياعاً فوقه وتردهـــــا ظباه إلى الأوكارِ وهي شِبـــاع

كما أورد أيضاً في ترجمة علي بن يوسف التونسي نقلاً عن ابـن رشـيق: وكان المنصور مفتوناً بشعر التونسي لا تمالك إذا سمعه. وعرض عليه فرس أشهب خالص فأعجبه وكان بحضرته علي التونسي: فقال له ك ألك شيء في صفة هـذا ؟ وأشار إليه. قال: نعم أبيات كنت صنعتها لك، وهي: (الكامل)

رغبتْ بهِ الأم النجيبةُ عـــــن رقَطِ الغرابِ وهجْنَةِ البلْـــــق

فأتى كفجرِ الصيفِ باعـــــده غلظُ الهواء وكُدْرَةُ الأفُـــــق

حتى اعتلتْ أنواره وجنَـــــتْ كف الغزالةِ وردةَ الشفَـــــق

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 15 / ق2 / 150 – 155.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 12/95 – 98.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق60/1.

فطرب أشد طرب ودفع الفرس إليه.

قلت: وهيهات وا إنه ما أنصفه، لئن أطربته هذه الأبيات، فإنهـا تطـرب الجماد، ولئن وهبه الفرس، فإن مثله من تملك الجواد ذؤابه لو أنصف لجنى مـلء حزام الفرس مالاً لمنعم، ولا يوفّى حقه، ولو زيد أمثـالاً، ولكنـه حـظ الفاضـل، وهيهات من يعرف الأفاضل"[1]

كما كان للألفاظ تأثير في نفوس المتلقين، وهذا ما نقله العمري مـن أحكـام الآخرين في ترجمة محمد بن سلطان." قال: ومن أحسن ما رأيت له قوله: (المديد)

مقلةٌ إنسانُها غَـــــرقٌ	حشوها التسهيد والأرقُ
وصبابات مضاعفـــةٌ	ودموع ثرةٌ دفُـــــقُ
وفؤاد لا مقام لـــــه	في ضلوعٍ بينها حـرقُ
وفتى أشفى على حرق	من هلاكٍ ما به رمـقُ
وحشاً يسطو به لهـب	عن قليلٍ سوف يحترقُ

قلت: ذكر ابن رشيق هذه الأبيات إلى أبيات أخرى دون هذه رتبة ثـم قـال: فدونك هذه الألفاظ العذبة الغزلة الرائقة، التي تلصق بالقلب وتعلق بالنفس، وتجري مجرى النفس، وهذه طريق الحذّاق في التغزل خاصة لأن المـراد منـه اسـتدعاء المحبوب، واستعطافه برقة الشكوى ولطف العتاب، وإظهـار الغلـوب، والإقـرار بالغلبة " [2].

5.4 الصورة الفنية:

عالج النقد العربي القديم قضية الصورة الفنية، معالجة تتناسب مع ظروفـه التاريخية والحضارية، فاهتم كل الاهتمام بالتحليل البلاغي للصورة، وتمييز أنواعها وأنماطها المجازية، وقدم عبر قرونه المتعددة مفاهيمه المتميزة التي تكـشف عـن تصوره الخاص لطبيعة الصورة الفنية وأهميتها ووظيفتها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق1 / 112، ابن بسام، الذخيرة، ق1 / م1 / 193.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق275/1-277.

وأفاد في تكوين هذه المفاهيم مـن تحليلـه البلاغـي للنـصوص الـشعرية والقرآنية، حيث جعلها النقاد عنصراً مهماً في الحكم على الأشعار والشعراء، ويبدو أن العمري قد تأثر بموقف هؤلاء النقاد فاتخذها معياراً للنقد في الحكم على الشعراء الذين ترجم لهم، فقد وقف العمري وقفة طويلة إزاءها حيث كان يحكم على أشـعار الشاعر الواحد بأكملها من خلال الصورة الفنية أو كان يحكم على بعض القصائد.

لقد التفت العمري إلى أهمية الصورة الفنية في النص الإبداعي، وفـي هـذا المجال يحظى التشبيه بمكانة رفيعة من الاهتمام عند العمري، فقد نوه العمري إلـى أهمية التشبيه وجعله معياراً يحكم من خلاله على بعض أشعار ممن تـرجم لهـم، فرصد بعض الصور التي تتجاوز الإعجاب ملتمساً إظهار مظـاهر الإبـداع لـدى هؤلاء الشعراء، فقد تعددت الأوصف التي وصف بها هذه التشبيهات حيـث أولـى "التشبيهات العقم" الأهمية القصوى في معاييره النقدية. كما جعل الإجادة في التشبيه معياراً آخر والإصابة والاستحسان في التشبيه وصحة التشبيه. ومن الأمثلـة علـى ذلك ما أورده في ترجمة النابغة الذبياني[1]، نقلاً عن ابن سعيد " ومن التشبيهات العقم عنده، قوله في طيور الحرب"[2]:

إذا ما غزو بالجيش حلق فوقهـم عصائب طير تهتدي بعصائـب

تراهن خلف القوم خزراً عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرائب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهـم بهن خلول من قراع الكتائـب

ويبدو اهتمام العمري واضحاً بالصورة البديعية الطريفة في نتـاج عـصره الشعري، من ذلك الأبيات التي قالها ابن التعاويذي مصوراً فيها طيـف المحبوبـة، الذي يزوره في المنام[3].

قالت: أتقنع أن أزورك في الكرى فتبيت في حكم المنام ضجيعـي

---

[1] زياد بن معاوية بن جابر الذبياني، المشهور بلقب النابغة، أحد فحول الشعراء فـي العـصر الجاهلي، وأصحاب المعلقات، انظر: مقدمة ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، دار المعارف القاهرة، 1977.

[2] العمري، مسالك الأبصار ك 14 / 1 / 17-18

[3] ابن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبدا : 146.

وأبيك ما سمحت بطيف خيالهـا إلا وقد ملكت علي هجوعي

وعلّق الأربلي على الأبيات السابقة مبدياً إعجابه بها، فذهب إلى أن هذا المعنى البديع الحسن غاية ما فوقها غاية، وله أن يحمل على الشعراء في هذا ألف راية "[1].

واتكأ العمري على حسن التعليل في اختيار النصوص الشعرية، وهو ما يقصد به أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتباره لطيفاً غير حقيقي"[2] على نحو ما عده عند أبي عبدا محمد بن المبارك بن علي بن علي بن جارية القصار البغدادي في الأبيات التالية التي وصف فيها فرساً محجلاً، وكأنه الليل تغشاه ضوء الصبح، وهي صورة تقليدية، غير أن الشاعر أحسن في إيراد علة طريفة لتحجيل ظله إذ يقول[3]:

وأدهمٍ كالليل ذي حجولٍ قد عقدت صبحه بليله

كأنما البرق خاف منه فجاء مستمسكاً بذيله

كما علل أبو عبدا النقاش البغدادي، حيوية الشيخ ونشاطه تعليلاً جميلاً وذلك بقوله[4]:

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً فذلك موت خفي

ألست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفئ

وتأثر العمري بالمعايير النقدية التي سادت في العصور التي ترجم لأعلامها، أي أنه قد واءم ما بين أحكامه النقدية والمصطلحات النقدية السائدة في كل عصر ترجم لأعلامه، فقد أفاد العمري من النقد الأندلسي فجعل البديهة والارتجال مؤشراً على الملكة المبدعة وأصالتها وغدا أمرها حداً فاصلاً بين الإجادة والتقصير، فقد استلهم بعض النقاد في أحكامهم على بعض الشعراء هذه النظرة وعيار البديهة

---

1 الأربلي، التذكرة الفخرية: 41.

2 القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت 749هـ، الإيضاح في علوم البلاغة، قدم له وبوبه علي أبو ملحم، ط2، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991: 308.

3 ابن جاريه القصار، أبو عبدا محمد بن المبارك بن علي، انظر: ديوانه 79.

4 النقاش البغدادي، أبو عبدا عيسى بن هبة ا : ديوانه، 85.

المعتد بالأندلس ما تحقق في آثارها التدفق وإصابه الغرض والتطرف فـي دقيـق المعاني وتبعاً لذلك يقف العمري إزاءها حين ترجم لمن اتصل بهذه الفتـرة وتـأثر بها.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة القاضي ابي عمـرو، يحيـى بـن صاعد بن سيار الهروي، قاضي قضاة هراة، قال فيه العماد: " صاحب بديهة، ينظم بسرعة، حلو الشعر لطيفة"[1] كما أورد في ترجمته لأبي العلاء بن أبي الندى، قـال فيه العماد: " سمح البديهة والرؤية " [2]، كما اورد في ترجمة حسن بن علي الغزي: "بديهة في التحصيل اعتادها، وقدرة على صيد شوارد المعاني"[3].

وجعلها من معاييره النقدية في الحكم على إنتاج الأديب، ونوه بما جاء منهـا على طريق التلميح والإشارة، والغض مما جاء متكلفاً، ومن أمثلتها مـا ورد فـي ترجمة أبي عبدا محمد بن العباس بن محمد اليزيدي، قال ابن خلكان: كان إمامـاً في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب، ومما رواه أن أعرابياً هوى أعرابية، فأهدى إليها ثلاثين شاه، وزقاً من خمر مع عبد له اسود فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها وأكل منها وشرب بعض الزق، فلما جاءها بالباقي عرفت أنـه خانهـا فـي الهدية، فلما عزم على الإنصراف سألها هل لك من حاجة، فأراده إعلام سيده بمـا فعل العبد، فقالت: إقرأ عليه السلام، وقل له إن الشهر كان عندنا تماماً، وأن سحيماً راعي غنمنا جاء مرثوماً، فلم يعلم العبد ما أرادت بهذه الكناية، فلما عاد إلى مـولاه أخبره برسالتها، ففطن ما أرادته فدعا له الهراوة، وقال: لتصدقني وإلا ضربتك بهذه ضرباً مبرحاً، فأخبره الخبر فعفى عنه، وهـذه مـن لطـائف الكنايـات وأجلـى الإشارات"[4] كما ورد في ترجمة أبي نواس، قال: ومما بلغ فيه فوق حد الإجادة وأتى فيه من الكناية بما فيه ما في التصريح زيادة قوله[5]:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 16 / 19.

[2] العمري، مسالك الأبصار ك 17 / 41-42.

[3] للاستزادة انظر: مسالك الأبصار: ج17 / ق2 / 76، 125، 199، ج18: ق2 / 201.

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج7 / 126 ابن خلكان، وفيات الأعيان: 337/4.

[5] العمري، مسالك الأبصار: ج14 / ق2 / 48-49

هجرت الآنسات وهن عنـــــدي كما العين فقدهما ســـــواء
ولو القائم المهدي فينـــــــــا جلبت لهن ما وسع الإنـــاء

ومما هون به الفراق وخفف منه ما قيل أنه تكليف مالا يطاق قوله: (الرجز)

إن الحبيـــب ولا أكافيـــــه بعث الخيال علي واحتجبـــا
الطرق مقبلـــةً ومدبـــرةً هون عليك لأيها ركبـــــا

كما كان العمري يكشف عن الكناية في بعض الأبيات الشعرية التي ينتقيها من أشعار المترجم له، ومن ذلك ما جاء في ترجمة السراح الوراق: قوله[1]: (الطويل)

وأصبح بيتي بالحلاوات عاطـــــراً كأنا فتقنا للرياض كمائمـــــا
وقد رقصت إذ طاب وقتي شيختـــي وبات مريد الشيخة الليل قائما

وهذه كناية حسنة وتقدير ظريف.

وقد عني العمري بشرح الشعر والتعليق عليه، وقد أقبل على ذلك اقبالاً بيناً دل على سلامة ذوقه وعمق إدراكه وسعة ثقافته، وأصالة ميله، إذ تناول الأشعار التـي كانت محط انتقائه لها يقيناً منه بأن لدلائلها فيضاً وموقعاً، مما تحمله لغة الشعر من دلالات قد تغلف مقاصد الشعر وتشكل معانيه، وتشكل هذه المعاني البقعة الـضوئية التي تسهم مع غيرها في إنارة المعنى الإجمالي.

لذلك استوقفت العمري بعض الإشارات الغريبة والبعيدة التي يجوس خلالهـا معنى الكلمة، ويتضح ذلك من خلال وقفة عند هذه المعاني والتنويـه إليهـا ومـن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة تمام بن غالب بن عمر اللغوي المرسـي أبـي غالب التياني [2]، قال: "وعنى بالغرائب حتى ردها إلى الريـاض، وأوردهـا علـى الحياض، فوصل الأسباب، وسمعت منه كل طنانة لعنبر منها هرج الـذباب. كمـا

---

[1] العمري – مسالك الأبصار: ج19 / 105.

[2] أبو غالب بن غالب بن عمر اللغوي المعروف بالتياني من أهل قرطبة، سكن مرسية، وكان إماماً في اللغة وثقة في إيرادها، مذكوراً بالديانة والفقه والورع، وله كتاب مشهور جمعـه في اللغة ولم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً، توفي بالمرية في إحدى الجماديين سـنة سـت وثلاثين واربعمائة، واخذ اللغة عن أبيه، وعن أبي بكر الزبيدي وغيرهما، والتياني أظنـه منسوباً إلى التين وبيعه وا أعلم، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 30/1 – 301.

أورد في ترجمة أبي الحسن، النضر بن شميل التميمي المازني قال: " فجمع الغرائب، وجرع في مناهل الرغائب، حتى توفر قسمه فجمع وظفر فوق الأسماء اسمه، وأصبح باللغة قيماً، وأبكار الكلم تعرض عليه بكراً وأيماً "[1].

كثيراً ما نرى العمري في تراجمه يشير إلى الغريب في أسلوب الشاعر أو معانيه أو أغراضه، ولم يعد ذلك عيباً بل كان من العناصر التي اعتمد عليها في بيان قيمة الأديب والحكم على إنتاجه الأدبي.

6.4 الإيقاع والموسيقا:

تعد الموسيقا عنصراً مهماً من عناصر القول الشعري عامة وبناء القصيدة خاصة، كما تعد عاملاً مهماً في تنسيق البناء العام للقصيدة وتوحيده، وإلى ذلك يشير رأنسوم " الوزن طريقة لفرض الصورة صوتياً على الانتباه الذي قد ينهمك دون الوزن في معاني الألفاظ نفسها[2]. ولأن الشعراء يستخدمون الألفاظ استخداماً خاصاً يريدون منها أن تؤدي وظيفة خاصة غير عادية، وتبعاً لهذا وقف العمري عند بعض من ترجم لهم وقفات متأنية متفحصة لأوزانهم وقوافيهم، وذلك لما لها من أهمية في بناء النغم الموسيقي الذي يترتب على جعل الغريب أليفاً، فقد تتداخل موسيقا الألفاظ وترفد الصورة بل تشاركها مشارك فعالة كما أن للقافية قيمة موسيقية في مقاطع الأبيات، فالقافية تاج الإيقاع الشعري. وهي لا تقف من هذا الإيقاع موقف الحلية بل هي جزء لا ينفصم منه، إذ يتمثل قضاياها جزءاً من بيئة الوزن الكامل تفسر من خلاله وتفسره فهما وجهان لعملة واحدة[3].

لقد أدرك العمري تلك الأهمية، ولذلك اعتمد في بعض أحكامه على الشعر على القافية والوزن، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة أبي عبدا محمد بن الصايغ بن القرشي بن الأموي[4]، " قال: وشد في العروض خال الخليل وبرز على

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 79/7.

[2] كا ودن، الأديب وصناعته ترجمة جبر ابراهيم جبرا، ط بيروت، 1962: 108.

[3] محمود عسران، موسيقى الشعر، مكتبة بستان المعرفة 2007، 143.

[4] أبو عبدا ابن الصايغ، محمد بن عبدا بن محمد الاموي المروي الشيخ الأديب، محب الدين ابو البقاء المعروف بابن الصايغ المغربي، حضر إلى الديار المصرية بالقاهرة،

التبريزي مصنفه الجليل، وطرق قدامة ابن الحاجب حاجباً، وانقطع ابن القطاع وما أدى واجباً وركب بحوره ولم يخش الغرق، وأتى بقوافيه وما ازعجها في أماكنهـا القلق. كما أشار في ترجمة أخرى لمحمد بن جعفر أبي عبدا القزاز التميمي، قال: " قوله: وذكر ثلاثة أقبر فاقتص أثر النحوي في الوزن والروي والمعنى ثـم أجـاد وزاد"[1].

إلا قل لركب فرق الدهر شملهـــــم فمن منجد باي المحل ومتهـــم
إذا يمم الحادي بكم قصده بلـــــــدة فسرتم على قبر هناك معظـــم

كما أشار العمري إلى غريب القوافي وعويصها وتطويع الشعراء لها وذلـك في ترجمة القفصي الكفيف، قال: " وقوله: وهو مما طاوعته فيه القافية العويصة"[2]: (الرمل)

لائمي في الهوى دعْني فالذي	قدر ا تعإلى قد فـرغْ
لا تلمني إن سلطان الصبـي	والهوى أفسد قلبي ونزغْ
إنما الدنيا دد فاشف بـــه	لدغة الحب إذا الحب لدغْ
واغنم الأيام لـذاتٍ فمـا	هن إلا فاغتنمهن بلـغْ

كما نقل العمري من المصادر التي اعتمد عليها ما يهتم بهذا الجانب وذلـك ورد في ترجمة الدركادو[3]، حيث يقول: قال ابن رشيق: " وقد ذكر كلامـه، تفهـم نجواه من فحواه، لا يكاد يحسب شعره موزوناً ولا القوافي مشهورة، لقلـة تكلفـة

يستحضر من اللغة شيئاً كثيراً ويعرف بالنحو والعروض معرفة جيدة إلى الغايـة ويـنظم الشعر الفائق، الصفدي، الوافي بالوفيات: 3 / 375.

[1] العمري، مسالك الأبصار: 264/7.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق222/1.

[3] الدركادو المغربي عبد الملك بن محمد التميمي المعروف بالدركادو، قال ابن رشـيق فـي الأنموذج: شاعر غزل الشعر مطبوع، موجز الكلام، سافر أوجه المعاني، تفهم نجواه مـن فحواه لا يكاد يحسب شعره موزوناً، ولا بقوافي مشهورة لسهولة مخرجـة، وقلـة تكلفـه وركوبه الأعاريض القصار، وربما قبض من عنانه فاشتدت شكيمته ولا أعلم في عـصرنا أحلى من طريقته، الصفدي، الوافي بالوفيات : تحقيق أحمد الأرناؤؤط، دار أحياء التـراث العربي، بيروت، 2000م ك 135/19.

وركوبه الأعارض القصار وبذلك يكون العمري قد استوقفته بعض هذه القضايا التي تتعلق بالإيقاع والموسيقى"[1].

7.4 نسبة النصوص إلى أصحابها:

روى العمري كثيراً من القصائد والأبيات الشعرية المضطربة في نسبتها والمختلف في أصحابها، فقد أشار إلى ذلك وقدم الأبيات المختارة منسوبة إلى أصحابها، وقد حاول العمري تصحيح نسبة بعض الأبيات، فاضطر إلى إقامة الدليل ليكون أقرب إلى الصواب، كما ورد في ترجمة البوصيري قال: " ولما عمرت المدرسة المنصورية والمارستان بالقاهرة، وأكثر الشعر في وصفها، ومدحوا الشجاعي متولي عمارتها، فممن أنشده البوصيري قصيدة فريدة أولها:

عمرت مدرسةً ومارستانــاً لتُصحِح الأديان والأبـــدان

فقال له: حسبك في هذا كفاية، ولم نسمع تتمة القصيدة استحساناً للبيت، وظل يومه ينشده، ويترنم، وأجزل جائزته، وهي كلها طنانة تلج المسامع، وتعج في المجامع.

قلت: وهذا البيت أورده أبو الصفاء الصفدي في ترجمة ابن تولوا وليس البيت له، وإنما البيت للبوصيري وهو مشيد مبناه والأحق لسكناه " [2].

ويظهر العمري في ثنايا تراجمه الدقة في نسبة الأشعار إلى أصحابها فإذا تعذر عليه الامر اعتذر عن ذلك صوناً للأمانة، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة أبي عمر بن الباجي [3]، قال: "ونقلت من رسائل هذا الباجي من قراطيس بطائق، وتفاريق وقعت إلي تفاريق، منسوبة لهم في الجملة، وربما اختلطت رسائل

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق1 / 251.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 18/ق2 /200.

[3] نشأ أبو الوليد وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء ومكانه من النثر والنظم يسامي مناط الجوزاء، وبدأ في الأدب فبرز ميادنه، واستظهر أكثر دواوينه، وحمل لواء منشوره وموزونة، وجعل الشعر بضاعته فوصل له الأسباب بالأسباب، ونال به مأكل القحم لرغائب حتى حب الإحسان بذكره، وغنى الزمان بغرائب شعره. ابن بسام، الذخيرة: ق 2 / م1 / 94-95.

الابن والأب لهذا السبب، وهذا الذي أصف وأشرح مما لا يضر ولا يقدح لا سـيما في رواية حكاية، وإنما هي ملح منشور ومنظوم، وليس بحقائق علوم. فتتكاف فـي صحة الأسانيد ما بين سعيد وسعيد وما بين عبيد وعبيد"[1]، قلت: فلهذا لا أحمل قلمي شيئاً من تلك الرسائل، ولا أضيع الأمانة بنسبة القول إلى غير القائل، وهبهم أهـل بيت واحد أليس يفرق بينهم التفاوت. وكان العمري يجزم أحياناً في نـسبة بعـض الأبيات إلى أصحابها، وذلك كما ورد في ترجمـة الحـسام الحـاجري[2]، وقولـه: "الصواب أنها لابن سهر بن العباس الصولي.

دنت يا ناس عن بابي زيـ ـ ـارة　　　وشط بليلي عن دنو مزارهـ ـ ـا

وإن مقيمات بمعرج اللـ ـ ـ ـوى　　　لأقرب من ليلي وهاتيك دارهـ ـا

كما كان العمري يعتمد في نسبة الاشعار على شيوخه، ومن ذلك ما ورد في ترجمة أبي الفتح يحيى ابن سلطان بن منقذ مجد الدين [3]، قال: ولـه شـعر منـه: (البسيط)

والشمس مصفرةٌ في الغرب قد نشرت　　　شعاعها في تفاريقٍ من السحـ ـ ـبِ

كأنّما السحب أعلام مـ ـ ـ ـوردةٌ　　　والشمس من تحتها ترس من الذهبِ

وروي هذه أيضاً لغيره، وإنما شيخنا علاء الدين الكندي رواهما لـه، ومنـه سمعت ينقل العمري شكوك الآخرين تجاه نسبة بعض الأشعار ويـرجح مـا يـراه مناسباً، ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي عبدا الحلي النحوي بن محمد، وهو محمد بن أبي الفوارس بن أبي الهواء، عفيف الدين المؤدب، قال: وقوله نظماً ونثراً [4]:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17 / ق2 / 80 – 81.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 155/16، أبو يحيى وأبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام بـن جبريل بن خمار تكين بن طاشكتين الأربلي المعروف بالحاجري الملقب حسام الدين، وهـو جندي من أولاد الأجناد، وله ديوان شعر تغلب عليه الرقية، وفيه معان جيدة، وهو مـشتمل على الشعر والدوبيت والمواليا، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 501/3.

[3] العمري، مسالك الأبصار، ج39/16.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 188/7، القزويني، جلال الدين محمـد بـن عبـد الـرحمن ت 749هـ، الإيضاح في علوم البلاغة، قدم له ويعربه علي أبو ملحم، ط2، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991: 308.

يا غارساً بيدي أكف طالمـــا   أثرى به العافون وهو عميـــــم
حاشا لمجدك أن أضام وأنت لي   عضد وجاهي بالظلال وشيـــم
أو تستطيع يد الحوادث بسطـة   فيما يضعضعني وأنت سلـــيم
قال ابن المستوفي: ما أعلم الأبيات الميمية له أم لا والظاهر أنها له.

ويعتمد العمري أحياناً في نسبة أشعار من ترجم لهم علـى مـن روى هـذه الأشعار كما ورد في ترجمة الخنساء[1]، قال ك وقولها تروى لغيرها وقد أثبتها مـن روى مراثي الخنساء.

ينقل العمري الشكوك في الأشعار كما هي حينما لا يفصح له المجال التـدقيق في صحتها، ومن ذلك ما جاء في ترجمة أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار النحوي، الشيباني بالولاء أبي العباس المعروف بثعلب[2]، قال: أبو بكـر القاسـم الأنبـاري: أنشدني ثعلب، ولا أدري هي لغيره أم لا:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتهـا   فكم تلبث النفس التي أنت قوتهـــا
ستبقى بقاء الضب في الماء أوكما   تبقى لدى ديمومة البيد حوتهــــا

وبذلك يكون العمري قد أفاد من آراء النقاد والمؤلفين القدامى، كما كان لذوقه النقدي تأثير بالغ في اختياره للأشعار وللقضايا النقدية التي طرحهـا فـي كتابـه، ونقولاته لآراء النقاد الذين سبقوه في بعض القضايا والمظاهر الفنية والمـضمونية، وقد حاول أن يمزج ما بين ذوقه وآراء غيره من النقاد،لذا جاء كتابه متضمناً لآراء النقاد في عصور متباينة مزوداً بمواقفه النقدي تجاه هذه القضايا وأصحابها.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14 – ق1 / 55.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 7 / 123.

الفصل الخامس

جماليات التشكيل الفني في الترجمة الأدبية

لقد أطنب الباحثون القدامى الذين ترجموا لابن فضل الله العمري في إطراء أسلوبه الأدبي الرفيع، فقد تحدث الشيخ صلاح الدين الصفدي عن أدب العمري ومدحه وأشاد بأسلوبه، بقوله: "الإمام البليغ المفوه حجة الكتّاب، إمام أهل الآداب، الناظم الناثر، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسلاً، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلاً، وإقداماً على الأسود في غابها، وإرغاماً لأعاديه بمنع رغابها، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهب، ويتحدْر سيله ذاكرةً وحفظاً ويتصبب ويتدفق بحره بالجواهر كلاماً، ويتألف إنشاؤه بالبوارق المتوسعة نظاماً، ويقطر كلامه فصاحةً وبلاغة، وتندي عباراته انسجاماً وصياغة، وينظر إلى غيب المعنى مد سترٍ رقيق، ويغوص في لجة البيان فيظفر بكبار الدر من البحر العميق، استوت بديهته وارتجاله، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله، ويكتب من رأس قلمه بديهاً ما يعجز تروي القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيهاً، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهراً..."[1].

ونلاحظ أن الصفدي قد بنى مدحه للعمري على عدة عناصر تضمنت إبداعه في الكتابة التي كانت تعد من أهم العناصر التي ترفع من قيمة الأديب، وجمعه بين الشعر والنثر وسمة الفصاحة والبلاغة، والانسجام في العبارات من حيث اللفظ والمعنى، والبداهة التي تقطر من رأس قلمه. ولا تجتمع هذه العناصر في فنٍ إلا زانته وزادته رفعةً وبلاغةً وفصاحةً، وذهب ابن كثير إلى القول إنه: "وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه، وله مصنّفات عديدة بعبارات سعيدة"[2].

لقد تميز أسلوب ابن فضل الله العمري في كتابة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" بالجمع بين الإيقاع وفصاحة النثر، وبلاغة الصياغة، والعبارة الجزلة

---

[1] الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، توفي 764هـ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، ط1، 1998: 417-418.

[2] ابن كثير، الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، وثّقه محمد معوض وغيره، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 264/1994:14.

الرنانة ذات الإيقاع الجميل، وإلى ذلك يشير القلقشندي بقوله: "الفاضـل الألمعـي، والمصقع اللّوذعي، ملك الكتابة، وإمامها، سلطان البلاغة ومالك زمامها".[1].

ويتأتى ذلك من حرص العمري على إيجاد التوازن بين متطلبـات المعنـى ومستلزمات المبنى من خلال دمجه وتوظيف جماليات المبنى لخدمة المعنى فكلاهما يشترك في إخراج السمة الأدبية التي يطمح إلى إيصالها العمري للمتلقي، وبالفعـل تحققت عنده هذه الغاية فعمد إلى صياغة العبارة النثرية في قوالب شعرية، أي فـي إنتاج نوع من الإيقاعية التكرارية في نثره الذي أصبح من مقومات خطابه الأدبـي، فقد برزت الأهمية الشعرية في أسلوبه في تراجمه حيث كان يقدم تلك الشخـصيات بأسلوب رائق تتضافر ألفاظه لتكون نغماً موسيقياً يشعر برتابته المتلقي ومـشابهته لإيقاع النظم، وقد سعى العمري في تمثل ذلك في مظهرين هما: الإيقاع الـداخلي، والإيقاع الخارجي.

1.5 الإيقاع الداخلي(التوازي):

الذي يتحقق من خلال التوازي وهو من قوانين الإيقاع، وهو كالتساوي شبيه بقانون النظام. وقد أدرج ابن سنان كل ما يتعلق بالبنية الصوتية في الـشعر تحـت مفهوم واحد، وهو "المناسبة بين اللفظين عن طريق الصيغة"[2]

فالتوزاي عنصر مهم، وقد يحتل المنزلة الأولـى بالنـسبة للفـن الأدبـي، فالتوازي تأليف ثنائي ليس خاصاً باللغة الشعرية، بل إن هناك أنماطـاً مـن النثـر الأدبي تحتل موضعاً وسيطاً بين الشعر باعتباره شعراً ولغـة التواصـل المعتـاد والعملي، وبذلك يؤثر توازي الوحدات المترابطة على أساس المشابهة أو التباين أو

---

(1) القلقشندي: أحمد بن علي، صبح الأعشى، تحقيق محمد حسين شمس الـدين، بيـروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1:1987/32.

(2) العمري، محمد البلاغة العربية أصولها وامتدادها، أفريقيا الشرق، بيـروت، 1999:461-465.

المجاورة بشكل فعال على بناء الحبكة وعلى تخصيص ذوات الفعـل ومواضـيعه وعلى انسياب التيمات السردية".[1]

ويمكن أن نلتمسه في القرائن ذوات الصيغة التركيبية الواحـدة، والتـوازي يصير أحياناً إلى قانون التكرار، حيث لا يقصر على التشابه في صـيغة التركيـب وترتيب الأجزاء، بل يعيد النسق بحروفه، وأحياناً يتحول إلى التوازن، حين يضيف إلى ترتيب الأجزاء ووحدة الصيغة ووحدة الوزن.

لقد أجاد العمري في أساليب السجع إجادة تنقل الكلام المنثور إلـى مرتبـة الشعر الموزون، ومما ينبغي أن نستذكره "أولى خاصيات البنية الإيقاعية في السجع هي الثنائية أي أن الإيقاع يتركب فيها من جزئين محل أحدهما في الفقـرة الأولـى ومحل الآخر الثانية من الفقرتين المقرونتين بالقافية"[2]. ولعل ذلـك مـرده سـعي العمري إلى إيجاد التوازن الخلّاق بين متطلبات المعنى وجماليات التعبير من خلال توظيف الظواهر والألوان البديعية المتعددة، كما كان حريصاً على تكثيف الإيقـاع في ترجمته من حيث حجم الجمل أو الفواصل وعدد مقاطعها وعناصرها المكونـة لها، ومن حيث ائتلافها بعضها مع بعض في الطول والقصر. لذا جـاءت الوحـدة الإيقاعية في تراجم العمري مبنية على التركيب المسجوع المكون في الغالـب مـن الزوج، أي انقسام القول إلى جزأين من جهة واقترانها بفاصلة موحـدة مـن جهـة أخرى، بحيث يشكل جزء العبارة الأولى علاقة توازن مع الجزء الآخر في الجملـة نفسها، أو المكون من عدة فواصل أو أجزاء وقد أتت هذه الفواصل على أوجه عدة منها:

1- الفواصل المتفقة اتفاقاً كاملاً وشاملاً للفقرة كلها، مـن حيـث العـدد والـوزن والمعنى والتركيب ويتمثل هذا النمط في وجود اتفاق كامل بين فقرتي الـزوج، أي تناظر ظاهر في المعاني والإيقاعات والبنى النحويـة والـصيغ الـصرفية

---

[1] ياكبسون، رومان قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقـال للنـشر المغرب، ط1، 1988:109.

[2] المسعدي، محمود الإيقاع في السجع العربي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد ا ، تونس:67.

وترفده الفاصلة بترديدها لجرس حرف واحد أو أكثر من حروفها المتجانسة، وذلك كان مطرداً في أغلب تراجمه.

ومن الأمثلة على ذلك قوله واصفاً عبد ا بن القابلة السبتي: "لسان بيان، وحسان إحسان، ومنطلق في شأوه لا يدرك، وفرد في فضله لا يشرك، ومن غوصه على الدر، ومجيئه منه بما يسر ما لا يقل مثله، ولا يخل تأدب فضله، لا تسكن شيطانه القائلة، ولا يخالف إحسانه ما نسب إليه لما عنده من الغائلة، اشتهر بحذقه، وعرف بأدبه، ولولاه من كان عبد ا في حلقه إلا أتى لم تمر بي نسمة إلاّ وهو منطلق، ولا أضاء لي نيرة إلا والسحاب عليه منطبق، فما شد لي منه إلا الشذا، ولا وقفت فيه إلا على جدولٍ شفي الندى"[1].

لا يخفى ما في هذه البنية الإيقاعية من حذق وإصابة في صنعة الإيقاع ولاسيما في حالة الأزواج التي كان الفارق في الطول بين فقرتيها، فقد أحسن العمري الربط بين الأزواج من حيث الوزن والطول والفواصل التي تنتهي بها الجمل، فالجملة الأولى " لسان بيان "، تلاها بجملةٍ وهي " حسان إحسان "، وكلا الجملتين مكون من كلمتين كلاهما ينتهي بالألف والنون، ثم أتبعها بجمل أطول تركيباً وهي " ومنطلق في شأوه لا يدرك "، ثم زاوج بينها وبين الجملة التي تليها وهي " وفرد في فضله لا يشرك "، فكلاهما يتكون من العدد نفسه من الكلمات، كما تتماثل الكلمات في مواقعها أي ترتيبها النحوي، وتتماثل في بنيتها الصرفية، أيضاً وماثل في بعض الجمل القصار مثل اشتهر بحذقه، وعرف بأدبه، وبعض الفواصل التي تتماثل أواخرها في أربعة أحرف وهي الألف والهمزة واللام والتاء المربوطة. وعندئذ يبلغ الكلام درجة قريبة من كمال التناسق وتمام الانسجام لفظاً ومعنى. إلى حد أنه إذا اتسع المعنى وتعددت الجمل للتعبير عنه فإن ظاهرة الموازنة تتعدد بتعدد الأزواج والفقرات.

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 86.

ومن التوازي في تراجم العمري ما ورد في ترجمة الجليس بـن الحبـاب[1]، حيث يقول: "ممن ظفر بالأدب اللباب، وظفر وفي صفنه الدر من البحـر العبـاب، جالس الخلافة، وجانس السلافة وجاء بالكواكب من خباء تلك الخزائن، الكواكب من خباء تلك المحاسن"[2]. فقد تجانست بعض الكلمات بين الفقرات، ففي الفقرة الأولى" ظفر بالأدب اللباب"، قابلها "بظفر والعباب" في الفقرة الثانية، كما وازن بين جملتين هما "جالس الخلافة "، "وجانس السلافة ". وزاوج أيضاً بين الجملتين اللتـين جعـل لهما قاسماً مشتركاً وهو الفعل" جاء"، حيث قال جاء بالكواكـب مـن خبـاء تلـك الخزائن، وتبعها بجملة هي الكواكب من خباء تلك المحاسن. إن دور الموازنة دور أساسي في إيجاد الإيقاع وإقامة بنائه.

وإذا كانت الكلمات هي بأوزانها في حكم اللبنات الـصوتية الجـاهزة، فـإن العمري إذا اختار المتوازنات منها يكفيه أن يرتبها ويرصفها على النحو الذي يشاء في فقرة أولى من كلامه وأن يعيد نفس الرصف والترتيب في فقرة ثانية ليتحقق له الازدواج، وذاك أول شرط، فإذا زاد عليه وضع كلمتين متواطئتين على حرف واحد في آخر كل فقرة لتحقق الفاصلة وهي ثاني شرط فقد تم له التسجيع بشرطية وبكامل إيقاعه[3]. إن للسجع في الكتابة النثرية وظيفتين متقابلتين. فهو من جهة يكبح جماح التوليد الفرعي من الناحية النحوية، ويشد بنية الجملة إلى النموذج وهو مـن جهـة ثانية يثري الفواصل والإيقاع، فكأن بين التوليد النحوي والبنيـة الإيقاعيـة تناسـباً عكسياً، كلما قوي الإيقاع ازداد نسق البنية النحوية رتابة وتحجراً. أما الازدواج فإن له وظيفتين معاكستين لوظيفتي السجع، فهو يعمل على إثراء البنى الفرعيـة مـن الناحية النحوية، ولكنه يكبح جماح الإيقاع، فالسجع والازدواج حركتان مختلفتان من

---

[1] الجليس المكين أبو المعالي بن الحباب عبد العزيز بن الحسين الأغلبـي، جلـيس الخليفـة الفاطمي الفائز، توفي سنة 571 هـ، العماد الأصفهاني، الخريـدة: 189/1، ابـن سـعيد، المغرب: 254.

[2] العمري، مسالك الأبصار. 18/ ق1/ 41.

[3] المسعدي، الإيقاع في السجع العربي: 87.

حيث مستويات إنشائية النثر، لكنهما تمثلان ضربين من ضروب التعرف في بنيـة واحدة قائمة على الموازنة.[1]

وكما يورد العمري بعض الجمل التي يجمع بينه قاسم مشترك ممـا يـشكل إيقاعاً وتوازياً بين جملتين، ولأن هذا القاسم المشترك والعنصر الأول مـن الـزوج يلتحمان معنى وتركيباً نحوياً ويكونان في النطق كلاً متكاملاً، وذلك كمـا ورد فـي ترجمة إبراهيم بن خفاجة[2]، حيث يقول: " هو للفضل نبعه وغربه، ومنبعه ومذهبه، كان في الأندلس للأدب إبراهيمه الذي وفي والذي أبرأ هيمه بمورده الأصـفى "[3]، فهو يقدم بالقاسم المشترك " هو للفضل "، ثم يلحقه بالجملة التي تتحد معـه لتـشكل جزءاً واحداً، ثم يتبع ذلك بجملة أخرى تعد جزاء مكملاً للجزء الأول.

فقد جعل قاسم المشترك "حلّ من طيئٍ حيث" ثم اتبعه بأزواج متـساوية فـي عدد الكلمات وفي البنى الصرفية والنحوية وهي "تنير لوامعها"، "وتسير هوامعهـا"، وتجتري دوافعها، "وتبرئ قواطعها"، جميعها أفعال مضارعة ويتبعها أسماء مـسندة إلى الضمير المتصل (الهاء)، كما يورد الفاصلة المكونة من ثلاثة أحـرف وهـي العين والهاء والألف.

وهذا مما يؤكد براعة العمري في هذا الفن وبالأخص فـي انتقـاء الألفـاظ والمعاني، وإمعان في الصناعة وضروب الخيال حيث نجد تراجمه مسجعة مع رقة في اللفظ وجزالة في المعنى، فقد امتلك خطابه النثري درجة من الإيقـاع الـذي لا نفرق بينه وبين الشعر إلا في الوزن وقواعد العروض؛ ولقد جمـع العمـري فـي تراجمه من بلاغة القول ودقة الوصف وبراعة الاستهلال، ومن ذلك مـا ورد فـي ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدي. "هز من أغصان الأدب وريقها، ورشف ألـسنة

---

[1] ابن رمضان، صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، جامعة منوبة، تونس، 2001: 551.

[2] انظر ترجمته: ابن خاقان، قلائد العقيان: 231، ابن خلكان، وفيات الأعيان:56/1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 127.

العرب وريقها، وهو إمام القوم، ولسان القول، رأس أهل التعليم والخليـل وحاسـده الكليم، ومؤسس القواعد"[1].

لقد اختار العمري الألفاظ الرقيقة التي تتناسب مع نبوغ المتَـرجم الأدبـي، وهي تعبر تعبيراً صريحاً عن منزلة المترجم له، فهو يربط بين اللفظ والمعنى ربطاً وثيقاً بحيث تتضافر لتؤدي المعنى المراد، كما جانس بين الكلمات التي ترسم رسماً موحداً لكنها تؤدي إلى معانٍ مغايرة، وهي "وريقها" أي أوراق الأشجار، "وريقهـا" أي الريق أي ما ينتجه لعاب الإنسان، وذلك مما يستميل المتلقي ويبعث فـي نفـسه النشوة تجاه هذا الأسلوب الذي يتميز به العمري، فقد امتلك زمام الألفـاظ فأحـسن التصرف في تشكيلها وسكبها في قوالب تناسب شخصية المترجم له، فتأتي الألفـاظ منسابة في تشكيل الترجمة، كما يظهر التنوع في الأوصاف التي يقـدمها العمـري والقدرة على تشكيل التعابير، وكل ذلك يولّد إيقاعاً داخلياً بـين الـصيغ والكلمـات والدلالات، وهو ما يحقق قيمة فنية عالية. ومن ذلك ما ورد في ترجمة أبي عبيـدة معمر بن المثنى، التيمي[2] "وافته كرائم العرب فجدد إحـسانها، وأكـد إحـصانها، اقتطفها قطف الثمار، وكشفها كشف الخمار، وكان أوسع القوم روايـة، وأرفعهـم راية"[3].

اتخذ في ذلك أسلوباً فنياً رفيعاً، حيث اعتمد التكرار بالمجـاورة فـي بعـض الألفاظ التي استخدمها مثل "اقتطفها قطف" و"وكشفها كشف".

أما النوع الثاني من الأبنية فهو الاتفاق الكامل بين جزء من الفقـرة الأولـى وكامل ألفاظ الفقرة الثانية من الزوج، وتخص هذه الظـاهرة الأزواج ذات القاسـم المشترك، حيث يتقدم هذه الجمل تركيب من النثر يكون لها بمثابة المـستند عليـه، ويقوم على وجود اتفاق في الوزن بين بعض كلمات الفقرة الأولى وكامـل ألفـاظ الفقرة الثانية من الزوج أو الثالثة، ومن الأمثلة على ذلك، ما ورد في ترجمة ابـن

---

(1) العمري، مسالك الأبصار: 99/7.

(2) انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان:235/5، ياقوت، معجم الأدباء: 2704/6.

(3) العمري، مسالك الأبصار: 20/7.

الأرملة، أبي الثناء، محمود بن الحسن[1]، "لم يزل بفرائده الغر منمق، ومفتق رتاج، ومولى جميل، ولسان قوم، وإحسان دهر"[2]. القول مكون من جملتين أولهما منمـق تاج والثانية مفتق رتاج والقاسم المشترك بينهما "لم يزل بفرائده الغـر"، والجملـة الأولى أطول من الثانية. كما ورد في ترجمة أبي عبد ا الحلي النحـوي،[3]، "ذو نظر أحسن ما رمق، وأحسب إذا رتق"[4]، فالقول مكون من جملتين أولهما "أحـسن ما رمق" والثانية "أحسب إذا رتق"، والقاسم المشترك بينهما "ذو نظر"، فقد أحـسن التآلف بين عناصر الكلام وترتيبه، من حيث التركيب والترصـيف فـي الـصيغة المؤدية للمعنى. ولاشك أن من أهم مميزات سجع العمري شيوع هذا النـوع مـن الأزواج ذات القاسم المشترك.

لتتمازج التراكيب النثرية حتى تقترب من التراكيب الشعرية، لأن العمـري يزاوج بين الجمل ويستخدم السجع في أكثر من فاصلة فتقترب بذلك إلـى الـنص الشعري الموزون المقفى، فتكون الفاصلة العلامة الصوتية المميزة للـزوج والحـد الفاصل بينهما وبين غيرها، كما يظهر في ترجمته لأبي تمام. "حلّ من طيءٍ حيث تنير لوامعها، وتسير هوامعها، وتجتري دوافعها، وتبرئ قواطعها"[5].

إن العمري يتبع في بناء جمله وترتيب كلماتها قاعدة الترديد أو الترجيع الدوري القاضية بوضع الألفاظ المتوازنة في مرتبة واحدة في كلتا الفقرتين المسجوعتين[6].

أما النوع الثالث من الأبنية فهو الذي يعمد فيه العمري إلى اسـتخدام الـسجع الممتد، وهو الذي تبدو فيه الأنغام متواصلة، والفواصل مستمرة على وتيرة واحدة، ومع أن بنية السجع عند العمري أساسها في غالـب الحـالات الازدواج الإيقـاعي مقترناً بازدواج المعنى أي ارتباط المعنى الوارد في الجملة الثانيـة، فالموازنـة لا

---

(1) السيوطي، بغية الوعاة: 276/2.

(2) العمري، مسالك الأبصار: 181/7.

(3) السيوطي، بغية الوعاة: 212/1.

(4) العمري، مسالك الأبصار: 188/7.

(5) العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق2/ 93.

(6) القيسي، ترجمة ابن السيد البطليوسي للفتح بن خاقان: 71.

تظهر إلا في نطاق وحدود التوازي المعنوي، حيث يبلغ الكلام درجة قريبـة مـن كمال التناسق وتمام الانسجام لفظاً ومعنى. إلى حد أنه إذا اتسع المعنـى وتعـددت الجمل للتعبير عنه فإن ظاهرة الموازنة تتعدد بتعدد الأزواج والجمل، ومن الأمثلـة على ذلك ما ورد في ترجمة الشنتمري: "أبو محمد شاعر ينجز إذا وعد، ويسبح إذا رعد، ويجوز النجم إذا صعد، يقوم بميزان الشعر إذا قعد، ويسبق أجل الغمام ولـو أنه معه قد اتعد، ويرعب بنانه شعاع الشمس فلا غرو لا فلكه إذا ارتعد"[1].

لقد امتدت الفاصلة في ست سجعات تمثلت في حرفي العين والدال في الكلمات التالية، وعد، رعد، صعد، اتعد، ارتعد، قعد.

ومن ذلك أيضاً ما ورد في ترجمة سليمان بن محمـد بـن أحمـد النحـوي، البغدادي، أبي موسى الحامض. "عرف بين البرية بفضل نـسكها، وقـوة مـسكها، وصلاح سيرتها، وإصلاح سريرتها"[1]. لقد امتدت الفاصلة في أربع سجعات هـي نسكها ومسكها وسيرتها وسريرتها، حيث انتهت بالتاء المسندة إلى الضمير والألف المطلقة. وذلك يفضي إلى جرسٍ إيقاعي متكرر المقاطع، ويلحظ الناظر فـي هـذه المقاطع قرب مخارج الحروف، فقد تضافر الانسجام بين الفواصل وبين الحـروف نفسها، فذلك ترديد أقرب إلى الوزن الشعري، كما نلمح انـسجام البنيـة الـصرفية لبعض الكلمات فاوزانها متقاربة إذا لم تكن متحدة، كل ذلك يخلق نوعاً من الرتابـة والإيقاع الموسيقي.

الذي يشدو لحناً جميلاً للكلام النثري الذي ينزل بمنزلة الإيقاع الشعري، فلـم يغب عن العمري الانسجام التام في لوحاته التراجمية، حيث كـان مبعثـه الأدبيـة انطلاقاً من أسلوبه في طرح أسلوب المترجم له، فتكرار هذه الفواصل بين الأزواج وكثرة حروفها ينبئ برغبة العمري في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقـي، وتأكيـد الفكرة التي يصبو إلى إرسالها إلى المتلقي مما يحتم عليه أسلوباً رائقاً أنيقاً، يـدرس بغض النظر عن حقائقه التي يوردها بشأن المترجم له. ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما ذكره العمري في ترجمة ابن الشحنة الموصلي، وهو أبـي حفـص عمـر بـن

---

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق2/ 25.

[1] العمري، مسالك الأبصار: 7/ 125.

محمد[1] "جد في اعتنائه، ووجد في اجتنائه، ماثل الصبح باجتلائه، وقابل القمر الليّاح في اعتلائه، فسعدت به أصدقائه"[2]. ونلاحظ اعتماد العمري على أكثر من زوج حيث ترددت السجعة خمس مرات في اعتنائِه واجتنائِه واجتلائِه واعتلائِه وأصدقائُه، كما نلاحظ التوازي في التركيب العددي للكلمات والوزن الصرفي، فقد حاول العمري أن ينظم سلسلة الإيقاع في جميع مخرجاتها، فلم تقتصر عنايته بالفاصلة، بل كان يركز جلّ اهتمامه على التركيب ابتداء وانتهاء بالفاصلة التي تتضافر مع غيرها من العناصر التي تشكل إيقاعاً موسيقياً، حيث يمثل هذا النسق نمطاً من التنظيم المتماسك الممتد، فتكرار الفاصلة في النص يؤدي إلى استمالة المتلقي تجاه النص من خلال الإيقاعية التكرارية التي تعود إلى تعميق المعنى الذي يريده العمري، وتبدو هذه الظاهرة أكثر وضوحاً في الجزء المتعلق بأهل الطرب والفن حينما ترجم للمغنيين، وربما يكون العمري قد حاول أن يخلق نوعاً من الانسجام بين ترجمته وأسلوبه وبين أسلوب الغناء الذي تتكرر فيه اللوازم.

حيث تتكرر كلمة بعينها أو مقطع شعري مما يفضي إلى نوع من الإيقاع والرتابة، لذا اتفق في هذا الجزء على وجه الخصوص الكلمات سواء الفواصل أو غيرها. وقد نوه بعض النقاد إلى دور الفاصلة في إكساب الخطاب قدراً عالياً من الشعرية، فعدوها جزءاً أساسياً من لحمته، ولم ينظروا إليها باعتبارها وسيلة خارجية تخدمه، وتبقى معزولة عنه، أو تبقى من الحلية الزائدة التي يمكننا الاستغناء عنها في الحديث عن العناصر الجوهرية فيه، ولكنها عدت مكوناً بنيوياً أساسياً ذا وظيفة رئيسية، وذا ارتباط وثيق بالمعنى الكلي للنص[3]. فالفاصلة توفر تشابهاً صوتياً، يعين على تطوير المستوى الإيقاعي.

---

[1] السيوطي، بغية الوعاة: 224/2، الذهبي، تاريخ الإسلام: حوادث (601- 610) وقال أنه توفي في شوال سنة 608 هـ:303.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 210/7.

[3] الرواشدة، سامح أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، إربد، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة: م 16، ع2، 1998م: 24.

ولما كان فن الإنشاء له ضرب يقترب من الشعر والغناء فقد حرص العمري على إظهار أصحابه بحلةٍ منمقة الأداء مزخرفة الأسلوب، يجـانس بـين ألفاظـه ويوازن بين فواصله، فقد أورد في ترجمة محمد بن محمد عماد الدين، أبي حامـد الأصبهاني، الكاتب "[1]، ما يبعث في النفس نشوة الطرب تجاه مـا يقولـه، فهـذه الموسيقى الإيقاعية قد رافقت العمري في جميع الطوائف التي ترجم لها بغض النظر عن تذبذبها واطرادها، قال: "رطن الدول وعمادها، ومزن الممالك وعمادها، علـم يهتدي به الساري، وكرم ينتدي بسيبه الجاري، رسا كالطّود المـرجحن، وسـرى كالجود فأولى ليه المستكن، وتحلّت به ترائب الأيام، وحات بحجبه ربائب الخيـام، فعلا مقداراً، وأبى أن يتخذ دراة البدر داراً، فقصت دونه أجنحة النّعامى، وطرقـت أفنية المعالي والأبكار والأيامى"[2]. ونلمح شيوع الازدواج في هذه الترجمـة، فقـد زاوج بين جملها في رطن الدول وعمادها ومزن الممالك وعمادها، ثم علم يهتـدي به الساري مع كرم ينتدي بسيبه الجاري وهكذا، يتصرف العمري بأبنية الكلم مـن حيث عدد المقاطع ومدى حركاتها وأجراس حركاتها ومواقع نبراتها.

ولا يغيب في هذه الجمل من عناصر الإيقاع ليكتمل فيها ويتحد إلا عنـصر جرس الحروف لاختلافها باختلاف الأصول، فهي أشبه بلبنات إيقاعية جاهزة طيعة الاستعمال من شأنها أن تيسر الإيقاع في الكلام. يفيد العمري أحياناً من اسم المترجم له، فيتخذه محوراً في وصفه لشخصه، فيشكل من ذلك نسقاً إيقاعياً توليدياً تتـضافر أركانه لتشكل وصفاً يليق بمقامه، وهذا ما ينبئ بمقدرةٍ إبداعية لا تتأتى من معرفـة طفيفة، بل لابد من غوصٍ ودقة، حتى يتسنى ذلك الوصف المنسوج نسجاً يوظـف فيه المعلومات المتصلة لشخصية المترجم له، وأخباره وصفاته في بناء ترجمته من خلال التلاعب اللفظي، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة كثير: "دخل فـي اسمه التصغير للتحبب لا للتحقير، واستفاد به من حيث القلة للتكثير، وأشـبه القلـم فطال على الرمح وهو قصير، وأطلّ بفكره من أعلى الأفق فأرى الشعري في شعره

---

[1] انظر: العمري، مسالك الأبصار 185/12، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 147/5، الـصفدي، الوافي بالوفيات: 133/1.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 185.

تسير، والمرء بأصغريه لا ببطش يديه، والفتى بالطَول والهمة لا بـالطول والجثـة الضخمة، هذا كُثير لا يزيد عن خمسة أشبار، وله لسان يخرج بغرار، وقلب يقـدح النار، وهجوم على المعاني يفتح مخبأتها الاستشار، وعلو يجيء بالؤلؤ الرطب"[1].

لقد استغل العمري الاسم فجعله مدخلاً لترجمته حيث بنـى عليـه ترجمـة تتناسب مع الشخصية وتتوافق مع الاسم، فقد كون الفواصل على وزن واحد، فـإن توافر الوزن في كلمات القرائن جميعاً، أو في أكثرها، وتقابل الكلمة مع ما يعادلهـا وزناً يكون ذلك أجمل، فالموازنة أو التوازن في تراجم العمري كثيرة، حتـى إننـا نرى أن معظم تراجمه جاءت على منهجها، ولم تخلُ ترجمة منها، وهذا ما يـضفي شدة تعلّق الإيقاع بالمعاني مما يحدد الأوزان وينوعها.

لقد فطن العمري بحسه الفني للسحر الجمالي الذي ينطـوي عليـه أسـلوب التوازي، وما يحدثه من هزة شعورية تجذب المتلقي إلى النص، فـراح يـستثمره أروع استثمار في فواصل جمله.

كما عمد العمري إلى تكثيف الإيقاع الداخلي في ترجمته من خلال اسـتخدام المماثلة في البنى النحوية والتراكيب الصرفية، حيث عني بذلك عناية فائقة تترتـب عنها هذه الرتابة والموسيقى والإيقاع، وذلك أن العمري يدرك الفائدة مـن التماثـل النحوي والصرفي حيث يتكامل ليشكل إيقاعاً داخلياً يحظى بألفاظ تتناغم موسـيقها داخلياً وخارجياً لتشكل عنايةً في الروعة والجمال، ومن الأمثلة التي اتصفت بانتظام سلسلة الإيقاع والمماثلة في البنى النحوية والتراكيب الصرفية، ما ورد في ترجمـة عثعث[2]، "برز في تصاريف العقلاء، وتبرأ من تكاليف الثقلاء، وأطرحت الخلفـاء معه الاحتشام، وجعل بوارق السرور متى لاح تُشام، وكان قمـر تلـك المجـالس وقمري تلك الرحان الأوانس، لا ترقل ركائب المدام إلا على جدائه، ولا تطل حدود

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 14/ق190/1.

[2] عثعث مملوك محمد بن يحيى بن معاذ: أحد المغنيين في العصر العباسي: انظر الأصفهاني، الأغاني، 14/ 395- 398.

الكؤوس إلا بإدنائه، تترنح به المعاطف ترنح الأغصان بالنسيم، وتهتز القلوب اهتزاز المفارق للمعهد القديم"[1].

ونلحظ الإيقاع يتشكل من خلال التكرار سواء في الفواصل أو في تماثل البنى النحوية والتراكيب الصرفية، في الكلمات التالية، (برز، تبرأ) و(تصاريف وتكاليف) و(العقلاء والثقلاء) و(لا ترقل ولا تطل) و(إدنائه وجدائه)، ففي جميع كلمات الزوجين ترى إيقاعاً موسيقياً منبعثاً من التماثل الصرفي لهذه الكلمات، كما تتآزر المفردات لتشكل نمطاً نحوياً في تشكيل الجمل، ففي الزوج الأول (برز في تصاريف العقلاء)، والجملة التي تليها تتألف من نفس البنى النحوي وهي (تبرأ من تكاليف الثقلاء)، كما ورد في جملة أخرى (لا ترقل ركائب المدام إلا على جدائه)، وتليها الجملة التالية (ولا تطل حدود الكؤوس إلا بإدنائه)، وذلك مما يبقي الخط الإيقاعي ثابتاً بفضل حسن التصرف في الوزن للكلمات وتركيبها النحوي.

وقد حرص العمري على ذلك في معظم تراجمه لجميع الفئات التي ترجم لها، ففي ترجمته للوزراء والكتّاب، ورد في ترجمة ابن مهدي العلوي، نصر الدين[2]، "وزير لو أنصف لكان خليفة، ولو وصف لكان البحر حليفة، من خالص تلك السلالة، وخالد تلك الجلالة، اعرق في الشرف نسباً، وأشرف في السدف كوكباً، وهطلت أنواءه وبطلت أشعة النجوم لما بطلت أضواءه، وطالما علقت به آمال، وعبقت به صبا من شمال، وأملت له ايام كان يظن أن يدرك منها ما فات أباه، ويدرك منها ما يرد الآفات شبه، وتعجل منه مهدي الأمة المنتظر، ويورد منه شربه المختصر، ويرد الحيل تدمى نحورها والجيوش تلتطم بجورها لولا ما من تنكر الأيام، وتعذر المطالب على الكرام وهي الليالي والسيل حرب للمكان العالي"[3].

ينتقي العمري ألفاظه لتتناسب مع مثيلاتها وتتلائم لتشكل معنى متكاملاً وتُعبر عن شخصيته الأدبية، وهو بذلك ينسج نسجاً تتآلف ألوانه وتتآزر ألفاظه لتشكل

---

(1) العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق1/ 128.

(2) انظر ترجمته: ابن الأثير، الكامل: 12/ 276، الذهبي، تاريخ الإسلام: حوادث (611-620): 385.

(3) العمري، مسالك الأبصار: 11/ 140.

إيقاعاً داخلياً متكامل العناصر، فقد تماثلت الكلمات من حيث تراكيبها الصرفية ففي الجملة الأولى لو أنصف لكان خليفة، والثاني ولو وصف لكان البحر حليفه تماثل تام في العدد والمقاطع والتراكيب والفواصل في الكلمات جميعها، ثم يليها بجملة أخرى وهي من خالص تلك السلالة ثم يتبعها برديفتها وهي وخالد تلك الجلالة، أعرق في الشرف نسباً وأشرف في السدف كوكباً. ولا يخفى التماثل الذي سعى إليه العمـري في هذه الترجمة فقد وافق بين مخارج الحروف وسكناتها كما ماثل بـين ترتيبهـا النحوي واشتقاقها الصرفي ؛ لذا نحس بالجرس الإيقاعي الملتحم الأجزاء الداخليـة، فهذه الكلمات التي تتدفق وفق ضوابط يضعها العمري في اعتباراته بحيث تتناسـق مع حقيقة المترجم له تنم عن معرفة عميقة بالألفاظ ودلالاتها، مما يجعلها طيعة بين يديه.

2.5 الإيقاع الخارجي (الفاصلة)

لقد اهتم العمري بالبنى الإيقاعية الخارجية اهتماماً بالغاً، وذلك مـن خـلال الفاصلة ذلك أنها العنصر الإيقاعي الذي وظيفته أن يكون معْلَماً وعلامةً علـى مـا يحدث في سياق الكلام من منقطعات زمانية توجزءه إلى أجزاء ومـداها الـصوتي خاضعة لأحكام الإيقاع العددي، وهي التي بها يتم تقطيع الكلام طبق مفاصل الإيقاع ويحصل تواطؤ الفواصل وتطابق الوزن أو الموازنة وتكتمل الدورية وهـي التـي تؤثر في السامع تأثيراً قوياً قد يحدث مفعولاً فيزيولوجياً حقيقياً[1]، فالفاصـلة كمـا يعرفها قدامة بن جعفر "هي تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[2]، فتكرار الحرف في نهاية الفواصل هو الذي ينتج بنية السجع للتأثير فـي المتلقـي وتقويـة استمالته إلى مضمون عبارته لحمله على تقبل مضامينها، وتوفر عدد مـن وجـوه التحسين والزخرفة.

---

(1) المسعدي، الإيقاع في السجع العربي: 45.

(2) قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين، القاهرة، 1933: 93.

فالفاصلة ذات أهمية بالغة في نسج الإيقاع لأنهما معاً العلامة الصوتية المميزة للزوج والحد الفاصل بين فقرتيه، وبينه وبين غيره[1]، وهي كالقافية في الشعر مـن حيث الأهمية، لذا أحس القدماء والمحدثون بالقدرة على تـذّكر الكـلام المـوزون وترديده دون إرهاق للذاكرة، والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهـاً عجيباً، وذلك لما فيه من توقّع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة، وقد يمهر البليغ فيخالف ما يتوقعه السامع، وكل هـذا مـا يثير الانتباه، أو يبعث على الإعجاب والاهتمام.

ويرى ابن خلدون أن الأذن هي الوسيلة الطبيعية لكل ثقافة لغوية، بل هـي خير وسيلة لاتقان اللغة وإجادتها، وقد ذهب إلى القول: "إن الـسمع أبـو الملكـات اللسانية"[2].

لقد زخرف العمري أسلوبه بكثرة الفواصل وتعدد أنماطها من حيث البساطة والتعقيد والتركيب، كما زاوج بين فواصله البسيطة التي تتركب من عنصر حرفـي واحد، والفواصل ذات العنصرين الحرفيين، والفواصل المركبة من ثلاثة عناصـر حرفية فأكثر، وهي أكثر تواتراً في سجع العمري، ولكن الذي يـستدعي الوقـوف مطولاً أمام هذه الظاهرة هو التعمق في تمحيص خصائص الفواصل فـي تـراجم العمري، وهو أن ألفاظ الفاصلة تتجاوب بنفس الجرس سواء كان جرس حرف واحد أو حرفين أو ثلاثة بنفس المدى سواء في حركة أو حركتين أو ثلاث. فالفاصلة عند العمري وردت على أضرب مختلفة، هي:

الضرب الأول: الفاصلة البسيطة لكن العمري لا يكمل نصه على هذا الضرب بـل يزاوج أحياناً بفواصل ثنائية أخرى يبدأ بالبسيط ثم يدرج فواصله وفقاً للمعنى، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة أحمد النصيبي[3]، "رجع سعداً، ونجـح وعـداً، وأقمر أمله، وأثمر بحسن الصنيعة عمله، وكان من رؤساء أهل الغنـاءِ، وجلـساء

[1] قدامه بن جعفر، نقد النثر: 93.

[2] مقدمة ابن خلدون (علم النحو): 639.

[3] وهو أحمد بن أسامة الحمداني، من مغنيي العصر الأموي: انظر: الأصفهاني، الأغاني: 6/ 334-338.

الملوك المصغيين لمسامعهم للاجتناءِ، إذا استقر في المجلس تحرك، وراجع رأيه زمان السرور واستدرك، وتكاثر الأباء وتناثر الحياء، وجاءت النعم وفاقاً، والديم دفاقاً"[1]، ونلاحظ ظاهرة الازدواج في الجمل التي تتماثل فواصلها بالإضافة إلى مواقعها الإعرابية وحركتها، فقد أورد سعداً ووعداً، وأمله وعمله، أهل الغناء وللاجتناء تحرك واستدرك. فهذه الأزواج القصيرة تتآزر لتشكل نمطاً إيقاعياً متوازياً مع الجرس الموسيقي الناجم عن هذا التواتر في ترداد الحرف وعلامته، مما يفضي إلى اقتر به من الشعر إلى درجة الاتحاد حتى في حركة الفاصلة التي تنبئ عن توافق تام قد حصره العمري في تراجمه، وقد غلبت هذه السمة على معظم تراجم العمري.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما ورد في ترجمة محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخضر الطبري[2]، "الأملي الممتد، الحلبي، المولد، المهذّب، أبو نصر الحاسب"[3]، ونلاحظ ورود الفاصلة وهو حرف الدال وحركته الرفع في كلمتي الممتد والمولد ثم حرف الباء وحركته الرفع في كلمتي المهذب والحاسب، ولكن العمري لم يعتمد هذا النوع من الفواصل إلا في بعض التراجم، ولم يطل في ذلك بل يحدثها في كلمة واحدة، أي الأزواج القصيرة، وربما يكون ذلك بمثابة التمهيد الذي ينطلق منه إلى الفواصل الممتدة، حيث يجد العمري فيها متسعاً لإظهار مقدرته الفنية على صنع تراجم أدبية رفيعة، تزخر بألوان متعددة من الصنعة اللفظية.

الضرب الثاني: المكون من عدة عناصر تتباين بين عنصرين أو ثلاثة أو أربعة أو ما يزيد على ذلك، وتتضافر تلك العناصر وتتحد في الفاصلة، حيث تتراوح عناصرها ما بين الثلاثة والستة أحرف، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة بنان جارية المتوكل[4]، يقول: "وكانت تخجل القمر بصفحتها، والغزال بلمحتها،

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق1/ 159.

[2] توفي سنة 655هـ، وله مصنفات في الفك والحساب، انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: 147/1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 146.

[4] انظر ترجمتها: الإماء الشواعر: 121.

القصب المتأود بقدها، والتفاح الجنّي بخدها، وتغير القلائد بنظمها الذي لا يحليه إلا مبسمها، ولا يضاهيه إلا الثريا لمن يتوسمها، لا تجيء عريب لها بأصبع من بنانٍ، ولا دنانير إلا مما يدخر للامتنان، ولا سابقة تلحق إلا وهي معها في طي عنان"[1].

لقد توافقت الفواصل في كل زوجين في الأول أربعة حروف وهي الحاء والتاء والهاء والألف والثاني ثلاثة عناصر وهي الدال والهاء والألف، وذلك ممـا يحقـق اتفاق الفاصلة في عدد الحروف والجرس الصوتي، ويفضي ذلك تماثل هذا الحرف لأن السامع لا يجلب انتباهه جرس حرف الفاصلة وحده بل أيضاً وبـصفة أقـوى شيء آخر هو تكرار نسق إيقاعي أوسع هو وزن لفظ الفاصلة في كليته. إذ يقتـرن مفعول الجرس بمفعول الوزن كاقتران الفرع بالأصل، فغن جرس الفاصلة لا يبقـى العامل الصوتي الأوحد ولا الأهم لأن الاتفاق في الوزن لا يشمل الجرس فقط بـل يشمل أيضاً المدة والنبرة وقوة النطق وحدته. فقد كان العمري يساوي بين جملـه، والأمثلة على ذلك كثيرة لا مجال لحصرها لأنها تتخلل تراجم جميع الطوائف قلمـا نقف له على ترجمة تغاير هذا النمط، منها ما ورد في ترجمة سعيد ابن المبارك بن علي الأنصاري، المعروف بابن الدهان البغدادي[2]، "صاحب لغة رمى صـفيحها، وأبقي صحيحها، وروى عن أعرابها وتروى في إعرابها، وما زال يدعو إليها حتى أغرى بها، وأزال وحشة أغرابها فأقام من أمتها، وجمـع بـين الكلمـة وأختهـا، فاستقامت من عوجها، واستقلت من عرجها"[3].

جاءت الفواصل في هذه الأزواج مركبة من أحرف متماثلة الأجراس، وقـد وردت في الكلمات التالية "صفيحها وصحيحها" حيث تماثل حرف الـصاد و(روى وتروى) و(أعرابها وإعرابها) تماثلاً كاملاً ما عدا حركة الهمزة في بدايـة الكلمـة و(أمتها وأختها) تماثل في حرف التاء والهاء والألف بالإضافة إلى الحـرف الأول

---

(1) العمري، مسالك الأبصار: 10/ ق2/ 129.

(2) انظر ترجمته: ياقوت، معجم الأدباء: 3/ 1369، ابن خلكـان، وفيـات الأعيـان: 142/2، الصفدي، الوافي بالوفيات: 15/ 250.

(3) العمري، مسالك الأبصار: 7/ 75.

من الكلمة وهو الهمزة، أيضاً في (عوجها وعرجها) والاختلاف في الحرف الثـاني فقط وهو الواو والراء.

وغالباً ما يوجد اتفاق في الوزن بين بعض كلمات الفقرة الأولى وكامل ألفـاظ الفقرة الثانية من الزوج، وتخص هذه الظاهرة الازدواج ذات القاسم المشترك.

وتقتصر بعض تراجم العمري على فاصلتين كل فاصلة مكونة من زوج مـن الجمل، ثم ينهي وصفه عن هذا الحد، كما ورد في ترجمة ابن العطار، أبي القاسـم ابن العطار[1]، "أديب غل على يد السحب، وغلّق بعنبر الليل عقود الشهب، لو مـر بالروض لرقّ منبته، أو خطا إلى الخطى لما ذكر تنبته"[2]، فقد أنهى الـزوج الأول بفاصلة مكونة من حرف واحد هو الباء في كلمتي (السحب والشهب)، ولكن الوزن للكلمتين وتقارب الحروف تتضافر جميعها لتشكل نوعاً من الإيقاع، ثم يتبـع ذلـك بزوج آخر مكون من فاصلة عدد حروفها أربعة وهي النون والباء والتاء والهـاء، متمثلة في (منبته وتنبته) فالفاصلة يساندها بالوزن والعلاقة التركيبية للكلمات التـي ينهي بها الأزواج.

فهذه الكلمات التي يرصفها العمري في تراجمه هي وأوزانها في حكم اللبنات الصوتية. التي يختارها العمري ويرتبها ويرصفها على النحو الذي يشاء في فقـرة أولى من كلامه وأن يعيد نفس الرصف والترتيب في فقرة ثانية، وذاك أول شـرط، فإذا زاد عليه وضع كلمتين متواطئتين على حرف واحد في آخر كل فقرة لتتحقـق الفاصلة، وهي ثاني شرط فقد تم له التسجيع بشرطية وبكامل إيقاعـه. إن أطـراد الفاصلة في كتاب العمري يعد جزءاً من أطراد أسلوبه في تراجمـه كلهـا، حيـث تنهض بأدبيته تراجمه وأساوبه، فهو اطراد في أركان الفواصل لفظاً ومعنى، بقـدر ما هي ركن في الزوج والكلمة والنص بأكمله، مما يبعث شدو المتلقي تجاه مادتـه الأدبية التي ركّز جلّ اهتمامه على النبوغ الأدبي لتلك الفئات التي ترجم لها بأسلوب أدبي يعبر عن حسٍ وذوقٍ أدبي رفيع يسمو بالأسلوب النثري إلى الوزن الـشعري الموسيقي.

---

[1] انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: 259/1، العماد الأصفهاني، الخريدة: 585/2.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق2/ 40.

الذي تشدو الأذن لسماعه، وهذا مما أثرناه في مادة العمـري التـي أحكـم صنيعها بقدرته الفائقة على التشكيل لفظاً ومعنى، وفي عدد الكلمات مقطعاً مقطعـاً وفي الفواصل وبنى الكلمات، وبذلك يكون العمري قد أحكـم صـنعته فـي تنـوع أسجاعه تبعاً لمعانيه واعتماداً على مترجميه واعتباراً لمتلقيه، حيث وازن موازنـة الحاذق المتفنن المدرك لمراميها.

وبذلك يكون العمري قد راوح في أسلوبه بين الفواصل القائمة على الإيقـاع الثنائي البسيط والمركب الممتد، حيث تغدو العبارة النثرية بحلة العبارة الشعرية لأن العمري زاوج بين الجمل واستخدم السجع في الفواصل، وبذلك تكون الجملة النثرية شبيهة بشطري البيت الشعري، فقد صاغ العمري العبارة النثرية في قوالب شعرية. وأخبر عن واقعها بنبض شعري يتضمنه من دواوين من ترجم لهم، وبـذلك يكـون العمري قد وازن بين النثر والشعر، فحينما ترجم للشعراء كان يضع عبارات نثرية في قوالب شعرية، ويدلل على ذلك بالأشعار التي يكثر من إيرادها في تراجمه.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة القاضي الجليس، حيث يقول: "أمين الدولة المصري، ذو البيان الساحر، والبنان الساخر، كـان ممـا تفـرج الـصدور لمجلسه، ويخجل الشفق لنرجسه"[1] ومن التراجم التي قدم لها العمري اعتماداً علـى شخص المترجم له وحياته وأثرها في شعره، ما جاء في ترجمـة أبـي الـشيص الخزاعي، يقول: "ذهبت إحدى عينيه فبكاها وفقد بفقـدها زهـرة الـدنيا فـسلاها، وصحبها بعين يعرض عنها، ويعرض لها اللذات فينعر منها، إن حضر فمع يـأس، وإن اضطره الظمأ كان بالماء قليل الإيناس، لأنه لا يجد غير الماء الـذي يعرفـه الناس، وقال شعراً لو أن للخمر رقته لأشفقت على العقول من اغتيالها أو لـسحر سهولته لأطلقت عقدة الألباب من عقالها، من ألم بكلامه متى كان النسيم مـشنوفاً أو كيف تألفت الكواكب عقداً مرصوفاً"[2].

ومن الظواهر البلاغية التي أدخلها العمري في تراجمه ما سماه العروضيون لزوم ما لا يلزم، وهو كما عرفه محمد الحسناوي تكرار في حروف الفواصل إلـى

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج18 / ق1 / 25.

[2] نفسه، ج14 / ق2 / 134.

أن تلتزم حرفاً أو أكثر قبل حرف الروي، في حين يسميه البلاغيون في النثر "الالتزام" كأن يلتزم حرفاً قبل الروي، أو أكثر[1]، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده في ترجمة الشنتمري[2]، يقول: "شاعر ينجز إذا وعد، ويسبح إذا رعد ويجوز النجم إذا صعد يقوم بميزان الشعر إذا قعد، ويسبق أجل الغمام ولو أنه قد اتعد، ويرعب بنانه شعاع الشمس فلا غرو لا فلكه إذا ارتعد"[3].

لقد أقام العمري ترجمته هنا على فاصله واحدة مكونة من حرفين هما العين والدال، وتكرر مثل هذه الظواهر في تراجم العمري، فقد بنى جل تراجمه على هذه الشاكلة.

ومن الأمثلة التي تكرر فيها أكثر من حرف قبل حرف الروي، ما ورد في ترجمة أبي فراس الحارث بين سعيد بن حمدان، يقول: "ملك علت همته فتكلم على مقدارها، وعلت قيمته فأقبل على الدراري يجد في آثارها ويجد في لهواته من أنوارها، وجاوز أهل الإحسان في أشعارها، وجاوز عن خاطره بحراً لم يرض من الدر إلى بكبارها، ومن بيت كلهم ملوك سياسة، وجلهم أمراء سيادة ورياسة، لهم الشجاعة في الملتقى والبراعة في اللفظ المنتقى"[4]، لقد تكررت ثلاثة حروف قبل حرف الروي وهي الألف والراء والهاء، في الكلمات التالية مقدارها وأثارها وأنوارها وأشعارها وكبارها، ثم بعد فاصلة الألف الممدودة، أدخل فاصلة أخرى وهي التاء المربوطة المسبوقة بثلاثة حروف أيضاً وهي الياء والألف والسين في الكلمات التالية التي أوقعها في ناحية الجمل سياسة ورياسة.

ولم تخلُ ترجمة من تراجم العمري إلا واستخدم فيها هذا الضرب البلاغي الذين يتضافر مع غيره من العناصر الأخرى ليشكل نمطاً إيقاعياً بلاغياً.

---

[1] السحناوي، محمد الفاصلة في القرآن الكريم، دار عمار، عمان، ط2/ 1986م، ص276.

[2] عبد ا بن محمد بن سارة البكري الأندلسي الشنتمري الشاعر المشهور، أبو محمد، انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب 1/ 419 ابن خلكان، وفيات الأعيان: 2 / 93.

[3] العمري، مسالك الأبصار، ج17 / ق2 /25.

[4] العمري، مسالك الأبصار: ج14 / ق2 / 293.

ومن الظواهر الفنية اللافتة للانتباه في تراجم العمري التصدير وهو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها في أول الترجمة، وتعرف هذه الظاهرة أيضاً بـ "رد العجز على الصدر"[1] ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمة أبي محمد، يوسف بن أبي سعيد بن المرزبان يقول: "الفاضل ابن الفاضل، والمناصل ابن الناصل، فقد حدثت مساواة بين الجمل بالإضافة إلى ورود الفاصلة في بداية الجملة فقد وردت المناصل والفاصلة كانت الناصل، ووردت كلمة الفاضل وكانت الفاصلة الفاضل".

3.5 توظيف الألوان البلاغية المختلفة.

لقد عمد العمري إلى توظيف الألوان البلاغية المختلفة من سجع وجناس وطباق، ورد صدر على عجز وغيرها، وذلك لإظهار تراجمه في إطار فني رفيع. وكان السجع أكثر هذه الألوان البلاغية شيوعاً في تراجم العمري ويعد السجع ظاهرة إيقاعية لها أثرها الصوتي الفاعل في نفس المتلقي، كما أن لطبيعته التكرارية تأثيراً جميلاً عن طريق الإيقاع الصوتي المتحقق بين الحرفين المتعاقبين أو البنيتين المتوازيتين بما ينشئان من جرْس متوازن، حتى تقرع الأذان قرعاً متتابعاً لتقيم لوناً من التناغم الداخلي حتى لتبدو معظم ألفاظه متراسلة مع بعضها عدداً مما جعل خواتيمها تتراسل مع مثيلاتها صوتياً محدثة تنغيماً خاصاً.

لقد التزم العمري في كتابة اللغة الفنية المصنوعة، فنراه يلتزم بذلك كمقدمة للفئات التي ترجم لها، فالتزم السجع التزاماً واضحاً، ويتضح ذلك جلياً عندما تحدث عن بديع الزمان الهمذاني[2]: "وهو نادرة الدهر وبادرة الزهر، قل أن ولد الزمان مثله، أو ولّ شكله، إن الزمان بمثله العقيم، ولا عصبة للعظم الرميم، بل هو وا البديع حقاً، المعيكر طرقاً، كاد يلتهب فكرة ذكاء، وينتهب ذكره ذكاء، كأنما كلمة حبر او لفظه زبر سجعه قصير ونفعه كبير من سمع حسانه تبع إحسانه، ومن فهم بيانه علم أن فوق السحاب بنانه، وربما كاد يحكيه لو وهب، لو كان - كما قال –

[1] الحسناوي: الفاصلة في القرآن الكريم، ص289.

[2] انظر ترجمته: الثعالبي، يتيمة الدهر: 4 /256، ياقوت، معجم الأدباء: 1 / 234، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1 /127، الصفدي، الوافي بالوفيات: 6 /355.

طاق المحيا يمطره الذهب، نافح الرياض فأخذ أنفاسـها وسـافح الـسحائب فنثـر أكياسها، بز الكواكب ولبس لباسها وبذ المرام وسلب الحميا كأسها، فجـاء بـسحرٍ عظيم إلا أنه حلالٌ، وخمر لا لغو فيها ولا تـأثيم وفيهـا الخـلال، ووراءه جـرى الحريري لكن نفح على أنه مما ترك البديع ولقح[1].

لقد تلاقحت الجمل فيما بينها بألفاظها المسجوعة مما أحدث رنينـاً إيقاعيـاً فاعلاً، ناهيك عن انعكاساته المعنوية وقد استطاعت هذه السجعات أن تجـسد لنـا صور الجمال، فالعمري ينغم على وتر حساس مستغلاً شخصية المترجم له وأسلوبه إذا اتخذت الكلمات المسجوعة لنفسها مواقع تساعدها على أداء إيقاعها لتخدم المعنى العام، فتلاقحت صوتاً ومعنى وردت في معظم كلماته سواء الفواصل أو غيرها مما ابتدأ بها جمله، فالعمري يسجع في كل مكان من جملة وسجعة لا يعمد إلـى نهايـة الكلمات بل يتسع ليصل إلى الكلمة بأكملها كما ورد في (نـادرة وبـادرة) (الـدهر والزهر) (ولد وولّد) (مثله وشكله) (عقيم ورميم) (حقاً وطرقاً) (فكرة وذكرة) (ذكاء وذكاء) (قصر وكبير) (إحسانه وبيانه) (بيانه وبنانـه) (وهـب وذهـب) (أنفاسـها وأكياسها) (لباسها وكأسها) (حلال وانحلال) (نفح ولقح). وهي حزمة مـن رمـوز الجمال التي تجسد المبدع بالصوت وتنقله بالوصف ليبدو على ما نرى من الروعـة والدقة نجد أن الكلمات المسجوعة في هذه الترجمة قد تحكمت تحكمـاً فـاعلاً فـي مسارها، فالمفردات تستدعي مثيلاتها لتشكل معها ترجمة أدبية مستوفية العناصـر حيث تكشف من خلالها عن الأسلوب الرائق الذي امتزج بأسـلوب المتـرجم لـه، تتوافق الألفاظ لتشكل محوراً أساسياً اعتمده العمري في ترجمتـه لهـذه الطوائـف ولامراء أن الفعالية الإيقاعية لهذه الظواهر ليست بسيطة أو عرضية، بل هي ركن مهم في بناء الترجمة الأدبية، بوصفها كلاً متكاملاً ولا ريب أن دورها الإيقاعي له شأن كبير، فهو أبرز خصائصها الفنية، وهذا مما يؤكد اسـتغلال العمـري اللغـة استغلالاً يفصح عن دراية وعمق، حيث يضع الألفاظ في نصابها لتتـآزر وتـشكل المعنى المراد المناسب للشخصية المترجم لها، فهذا الكاتب الذي أخذ مـن طـلاوة

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 56/12.

أسلوبه مما أضفى جمالاً على ترجمته لأن العمري يترجم ترجمة الأديب الحاذق لفنه.

ومن الألوان البلاغية التي برزت في تراجم العمري الجناس، وهو "الإتيان بمتماثلين في الحروف أو بعضها أو الصورة أو زيادة في أحدهما أو بمتخالفين في الترتيب والحركات أو بمماثل يرادفه معناه مماثلاً آخر نظماً"[(1)].

ومن أنواعه الجناس التام ومنهم من يسميه الكامل ومنهم من يسميه المستوفي ومنهم من يسميه المماثل وهو أعلى أنواع الجناس وهو ما اتفق الركنان فيه في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها من الحركة والسكون وترتيبها على نحو ما نجد في ترجمة ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد[(2)]، حيث يقول: "كتب في ديوان الخلافة، وكبت من برع في المقال خلافة، وكان ذا لسن وبراعةٍ، ورسن ممتد في اليراعة، وكان من غلاة الشيعة، وولاة مقالات الرفض الشنيعة؛ رأس في الاعتزال، وكيس جدل يتفقأ سمناً بالهزال، مع أنه كان بالبيان يسحر، وبالجمان يسخر"[(3)].

إن العمري يتلاعب بأصوات اللغة كيفما يشاء فيستدعي منها ما يشاء، ويوازن بين البنى المستعملة توازناً جميلاً فيستدعي كتب لكتب وخلافة لخلافة وبراعة لبراعة والشنيعة لشيعة والهزال للاعتزال ويسخر ليسحر. وهو بهذا ينغم النغم بنغم آخر يستمده من شخصية المترجم له، وكأنه يعزف على قيثارتين متعادلتي الأوتار مما أحدث لوناً من الإمتاع الفني الخاص.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة محمد بن نصر الله بن محمد الشيباني، [(4)]، حيث يقول: "فطرة ذكاءٍ غذي بلبانها، وغدا في ورق الشباب يهتز

---

(1) الصفدي، صلاح الدين، جنان الجناس في علم البديع، ط1، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، 1881: 19-20.

(2) انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان: 5/ 392، اليونيني، ذيل مرآة الزمان: 62/1، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: 2/ 259.

(3) العمري، مسالك الأبصار: 12/ 231.

(4) انظر ترجمته، ابن الشعار، عقود الجمان: 541/6، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 397/5.

بمئزاز قضبان بأنها، طاب العلياء والشبيبة ممـدودة الطـراف، والحبيبـة غـضة الأطراف، وكان دأبه في أدبٍ يوشيه، لطربٍ ينشيه، بفكر يند‌يه، لبكرٍ يهديه، فأهداها خفرات وأبداها مسفرات"[1].

لقد باين العمري في طول الجمل حيث جاءت الثانية أطول من الجملة الأولى ولكن التماثل بين فواصلها (لبانها وبأنها)، (الطرف والأطراف)، (يوشيه وينـشيه)، و(يهديه ويهديه) ومما زاد في وقع هذه الفواصل أنها جاءت مبنية على الجناس غير التام وبذلك يكون لهذا الازدواج وقع لا يخفى، وتأثير، فقد لجأ العمري إليـه لأنـه يستعذب ذلك الأسلوب فظهر جلياً في جميع تراجمه، وخاصة ما يتعلـق بالترجمـة التي هي من صنيعه.

ومن الزخارف البديعة التي استخدمها العمري في تراجمه الطباق وهـو ذو أهمية كبيرة في المعنى لما يتضمنه من تضاد ومخالفة، وقد أجمع النقـاد علـى أن المطابقة في الكلام إنما تقوم على الجمع بين الشيء وضده في جزء مـن أجـزاء الكتابة، أما المقابلة فتقوم على نوع من المحاذاة والتوازي بين جانبين كـل منهمـا يشتمل على معنيين أو أكثر، فيؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركب المقابلـةُ مـن طباق وملحق به[2].

ويبدو الطباق واضحاً في ترجمة أحمد بن البنّي[3]، حيث يقـول: " سـبحان مصوره المنشئ، ومبرز أسطرة كالأكمل المرشئ، يصيب ولا يخطئ، ويسرع ولا يبطئ، تخضع النجوم له، وهو يطأ على مفارقها، ويدوس في منازل الأقمار علـى نمارقها، لا يرى جانب روضه إلاّ معشباً، ولا بديع فضله إلا معجباً"[4]، لقد طابق العمري بين (يصيب ويخطئ) و(يسرع ويبطئ).

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 12/ 244.

[2] عسران، موسيقى الشعر: 245.

[3] انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب، ابن خاقان، القلائد: م2/ 868. المطربات والمرقصات: 195.

[4] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق2/ 38.

وللطباق والمقابلة أثر فاعل في توجيه دلالة اللفظ وتكوين إيقاعه، وقد تتحـد خصائصها بدرجة وقوع العناصر الإيقاعية بين مكوناتها، مما يجعل لها حـضوراً صوتياً خاصاً ينعكس على المعنى.

4.5 شعرية الترجمة:

لم يكتف العمري بخصال النثر، بل لامس وهج الشعر واقترض بعضاً مـن شمائله، مما أثرى عمله النثري وأعلى من تأثيره وجعله نصاً جمالياً يبدو أكثر تأنقاً ورتابة، وذلك لا يتأتى إلا من خلال توظيف العناصر التي تجعل من النص الأدبي نصاً يشتمل على بعض خصائص الشعر مثل الإيجاز والانزياح اللغوي، واتخذ من ذلك سبيلاً للولوج في إظهار بعض الصور الفنية التي أبدع في إظهارها العمـري، وذلك قدرة تميز بها العمري في ترجمته لهذه الطوائف، فقد أبرز شخصية المترجم له وإبداعاته من خلال التلاعب بالألفاظ واستغلال المصادر التي كانـت معينـاً لا ينضب حيث استمد من مصادر متعددة في إضفاء الشعرية على أسلوبه، ومن أهـم المصادر التي استمد منها صورة الفنية هي السير وكتب التراجم ودواوين الـشعراء والنتاج النثري والشعري للمترجم لهم، فقد كان العمري يحسن التصرف بالمادة التي يحصل عليها، لذا جاءت تراجمه تزخر بجميع العناصر التي تجعل منهـا ترجمـةً شعريةً نابضة بكل أدواتها.

وكما بنى العمري بعض تراجمه على الوصف والتـصوير اللـذين يـتكفلان بتحليل الشخصية ووضعها في نصابها، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في ترجمـة أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، اللغوي، أبي الحسين[1] "نزيل همذان، لا يدركه سعي مجد، ولا يفركه سعد مستجد، اعتنى به مجده، واعتلى برتبة جده، حتى تدفقت المجرة نهراً في حديقته، وجدلت تباشير الـصبح علـى حقيقتـه،

---

[1] انظر ترجمته: ياقوت، معجم الأدباء: 41، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 181/1، الـصفدي، الوافي بالوفيات: 278/7.

وقامت وراءه الثريا تقضي آثار خطاه، والجوزاء تجذب بعطاه، حتى لم ير الشمس دون قلله إلاّ زائلة"[1].

نلمس من خلال هذه الترجمة وغيرها قدرة العمري على اســتخدام الألفــاظ استخداماً مجازياً، هذا فضلاً عن روعة ودقة الصور الفنية التي تلاحقت في نصه، فقد تضافرت جميع العناصر المؤدية إلى الأسلوب الشعري، حيث الإيقاع المتــأتي من جرس الفاصلة والتراكيب الصرفية المتماثلة للكلمات بالإضافة إلى الازدواج بين الجمل، وتبدو الصور الفنية واضحة في التعابير التالية (تدفقت المجرة نهــاراً فــي حديقته) (ودلت تباشير الصبح على حقيقته)، (وقامت وراءه الثريــا تقــضي آثــار خطاه) (والجوزاء تجذب بعطاه)، (لم ير الشمس دون قلله إلا زائلــة)، لقــد أبــدع العمري في تصويره لشخصية المترجم له، ومال إلى الإيجاز الدال.
ومن الأمثلة الدالة على ذلك أيضاً قوله في ترجمــة عبــد ا بــن أبــي إســحاق الحضرمي أبي بحر[2]: "طار وراء الظلماء، وسبح في غــدير الــسماء، ســفحت سموات أمطاره، وسمحت غايات أوطاره، وكان في يده قلم التصنيف فننــا مــدحت الحمائم على أنهاره".

وصفحت جديدة ليله بفضة نهارها طالما قاطع جفنه الكرى على أن يعــود، ولا يطمع إنسان عينه منه بوعود، فما رنقت سنة في أجفانه، ولا تدفقت إلا شــعبة من طوفانه"[3].

لقد كان العمري يكثر من إيراد الصور الفنية التي تفصح عن مكانة المترجم له، ومن ذلك قوله في ترجمة أبي الحسن، علي بن عيسى بن عبــد ا الرمــاني، المعروف بالأخشيدي[4]: "رجل صفو زلاله لم يكدر، وصفو جلاله عليه لم يقــدر، ورد العل والنهل، وجرى الناس وراءه وهو على مهل، وكم سبح في بحره الــسما

---

(1) العمري، مسالك الأبصار: 7/ 58.

(2) انظر ترجمته: ابن سلام، طبقات، الشعراء: 11، السيوطي، بغية: 282/1

(3) العمري، مسالك الأبصار:7/ 93.

(4) انظر ترجمته: ياقوت، معجم الأدباء: 4/ 1826، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 299/3.

كان وما فيهما اسم كان، إلى أن فتل غارب الشارق، وفعل فعل ابـن ذكـاء فـي المشارق، وقبس منه الضرام وأضاء نهاره وغيره يخبط في الظلام"[1].

وأن الوصف إنما يقدم معنى وليس ترفاً لغوياً أو تزييناً للنص[2]، ومما ورد على ذلك في ترجمة ابن طهمان، يعقوب بن داود[3]، "وكان معمور الباطن بـالورع والزهد المتبع، ولم تكن زخارف الأنام تطبيه، ولا عروس الدنيا تصبيه"[4]. ومـن الأمثلة على ذلك في ترجمة أحمد بن أبي الفتح بن محمود الشيباني كمال الدين، أبي العباس، "بحر يقذف الدر، وأفق يطلع النجوم الغر، وكان للدنيا جمالاً، وللدين كمالاً، جعل للبيان سحراً، وللطيب شجراً"[5]. ونلاحظ أأن هذه الجمل المتوازنة في المقاطع تمتزج مع المعنى لتشكل سمات أدبية عرف بها هؤلاء الأدباء الـذين تـرجم لهـم العمري، لكن العمري يسمو عن ذكرها التقريري بتقديمها على شكل تعابير لغويـة مشحونة بالإيحاء والرتابة مما يعلي من مستواها إلى مستوى الشعر الذي يجنح إلى التعبير عن الأشياء الحقيقة بالإسلوب المجازي الذي يبدو أكثر تأثيراً وشعرية.

ويعتمد العمري على الوصف المبني على استخدام الأشكال البلاغية من سجع وجناس وطباق، والتشكيلات اللغوية كما سبق، حيث تكشف كل هذه العناصر عـن وصف دلالي ذي وظائف تفسيرية، فهو يقدم الشخصية من خلال ذاـك الزخرفـة اللغوية التي يحسن التعامل معها، فهذا الترابط يخلق علاقة حميمة ما بين الوصـف والشخصية المترجم لها. وبذلك يكون العمري قد خلق علاقة فريـدة بينـه وبـين الشخصيات التي ترجم لها.

فهذا التجسيد البليغ للمعاني والمفاهيم يحول المتلقي إلى عناصر يتعرف على الشخصية المترجم لها بعمق، وذلك ينبئ بشفافية أدبية تعبر عن قدرة المبدع علـى

---

(1) العمري، مسالك الأبصار:7/ 139.

(2) محمد الشوابكة، السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيـف، منـشورات أمانـة عمان الكبرى، 2006م: 164.

(3) انظر ترجمته: الجهشياري، الوزراء والكتّاب: 155، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 19/7.

(4) العمري، مسالك الأبصار: 18/11.

(5) العمري، مسالك الأبصار: 12/ 263، 196، 46.

امتلاك النص ومحتوياته. كما أن العمري يتلاعب أحياناً بأسماء المترجم لهم، كمـا ورد في قوله (الحاجب لا بل العين) وهذه مقدرة إبداعية لدى العمري.

وتتزاحم الصفات التي يوردها العمري في تراجمه، فيحسن صهرها في بوتقة جميلة المنظر خلاّبة المرمى، وافية المعنى، ومن الأمثلة على ذلـك مـا ورد فـي ترجمته محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي، يقول: "فحل الشعراء، ونحل الأري الذي يمج الشهد بلا مراء، وذو المعاني الفصيحة، والمباني الصحيحة، والبيوت التـي لا يحاول مهاجمتها، والحرية التي لا تطاول أجمتها، صرت الجزالة رونقاً في حديده، ورقم الحسن طرازاً في جديده، إلاّ أنه غالى في التشيع للدولـة العبيديـة، والتتبـع لمنهج عقائدها الردة، فظهر على لسان شعره، وأفسد إحسان بنات فكره"[1].

لقد حاول العمري أن يرسم في كثير من تراجمـه لوحـات فنيـة جميلـة للشخصيات التي أورد ترجماتها وقد أفاد مـن سـير المتـرجم لهـم، وأخبـارهم وأشعارهم، واستوحى منها ما قاده إلى أن يصنع ترجمة أدبية جامعة لذلك في إطار من الإيقاع، فقد تناول جميع صفات المترجم له الأدبية والشخصية ومن التراجم التي أوردها العمري، مشتملة على تفاصيل المترجم له وخصاله في إطار من الأسـلوب الفني الرفيع، ترجمة أحمد بن الدراج أبي عمر القسطلي[2]، يقول: "فاضـل نحـاه الدهر بصرفه، ورماه دون مرمى طرفه، وزاحمه بمنكب نكابته حتى حطم أضالعه، وحرم الجفاف مدامعه، وأبلاه بالاغتراب، وألقاه بموماة نائية الاقتراب، ثـم تركـه سائراً يتجول، وسائلاً بحل أرض إلى أن يتحول إلى أن قام بسرقطه محـسناً إليـه ولاتها، غير مرخص في قيمة غلاتها"[3].

ويضفي العمري على مفرداته سمة الشعرية، حيث تتوهج المفردة بالإيحـاء والدلالات البعيدة التي تشكل فضاء رحباً للسيرة الأدبية للشخصية، ويوظفها توظيفاً

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: 17/ ق1/ 20.

[2] انظر ترجمته: ابن سعيد، المغرب: 60/2، الثعالبي، يتيمة الدهر: 104/2، ابـن خلكـان، وفيات الأعيان، 135/1.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 17/ق52/1.

جمالياً تبتعد فيها عن المادة السردية وتتحول إلى عالم جديد تتضافر عناصره لتشكل معلماً بارزاً في حياة المترجم له الأدبية.

لقد استمد العمري صوره من روافد متعددة، ولهذا التعدد دلالة في توليد جملة من الصور التي تصف بلاغة المكتوب والكاتب، وتشيء بثقافة واسعة وخيال جموح، فمن الصور التي استمدها العمري لإخراج أدبه في أبهى حلة، صورة عجن المداد بالمسك التي تطيب رائحته، وتطهير دواته بماء الورد، ونجد هذه الصورة الشمية التي يفوح عبقها فتلامس حاسة المتلقي، في ترجمة محمد بن أبي محمد الفياض كان سيف الدولة[1]: قال: "كان يعجن مداده بالمسك، ولا يليق دواته إلا ماء الورد"[2].

ومن الصور التي استعان بها العمري ليفصح عن أدب المترجم له صورة السماء والبحور، فقد رسم صورة زاهية الألوان بديعية الخيال يطاردها البصر حتى يظفر بجلاءها، فقال في ترجمة الصرائري: "وطيء الثريا بأخمصه، ومني منه البدر بتنقصه، وجلا من الآداب ضرائر النجوم، وأبدى سرائر الغيوم، وخط دوائر تخرج منها البحور، وتخرج اللآلئ لتقرط المسامع وتقلد النحور"[3].

كما كان للطبيعة وفصولها أثر كبير في صور العمري حيث كان يستمد صوره من تقلبات الفصول، ويربطها باسم المترجم له، فكان يفيد من العناصر جميعها، ومن ذلك ما ورد، في ترجمة ابن غالب[4]، قال: "مطلع شهب لا تغور، ومرسل سحب لا تبور، ومقلد سحب يغالي في قيمتها، ويغالب الإنسان مطر نيسان في ديمها"[5].

---

(1) أبو محمد عبد ا بن عمر بن محمد الفياض كاتب سيف الدولة: الثعالبي، يتيمة الدهر: 101/1.

(2) العمري، مسالك الأبصار: 12/ 32.

(3) العمري، مسالك الأبصار: ج 17/ ق1/ 257.

(4) انظر ترجمته: الصفدي، الوافي 108/21، ابن رشيق، أنموذج الزمان 223.

(5) العمري، مسالك الأبصار: ج17/ ق1/ 289.

كما كان للمهن دور في استنباط بعض الصور التي يصف بها الذين يتـرجم لهم، ومن ذلك ما ورد في ترجمة ابن وضاح المرسي، يقول: "حائك رشاء لا تنقطع قرسه، وحائز مدى لا تكبو فرسه، غاب سلطان الشام، وقد تقدمه منذ زمن وأنـسى مذنب إلى أبيه وضاح المرسي، وضاح اليمن"[1].

وتنتشر هذه الصور في معظم تراجم العمري، وهي تحاكي جمـال الطبيعـة، حيث ترجع في أصولها إلى استعارات مختلفة يحسن العمري مزجها فتأتي تعـابيره منسجمة انسجاماً تاماً مع عناصر الترجمة، فأحياناً نراه يربطها بالاسم، حيث يشتق من الأسماء ما يترجم له وقد أشرنا إلى ذلك، وأحياناً يربطهـا بالـسلوك وأحيانـاً بالشخص نفسه، أي ما يتعلق بحياته وتصرفاته، وأحياناً بشعره أو منزلته الـشعرية بين أقرانه.

وكان العمري كثيراً ما يتكئ على اسم المترجم له في اشتقاق صور وتعابير فنية ذات صلة وثيقة بهذا الاسم، مما يضفي جمالاً فنياً واضحاً على صورة شخصية المترجم له، ومن الشواهد على ذلك قوله في ترجمة القاضي أبي عمرو، يحيى بـن صاعد بن ستار الهروي، "قاضي قضاة هراة حاكم على الكلام"[2]، لقد ربـط بـين مهنته والوصف الذي وصفه به فهو قاضٍ ووصفه بأنه حاكم على الكلام، ومن ذلك أيضاً ما ورد في ترجمة محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخضر الطبري، أبي نصر الحاسب، يقول: "حاسب لو شاء لأحصى الأرض مـساحة، وقـسم البـر والبحـر بالراحة، ولا يعزب عنه في الحساب مثقال ذرة"[3] لقد وظف العمري الحاسب فـي ترجمته حيث قال: لوشاء لأحصى الأرض مساحة.

ويتخذ العمري بعض الأسماء مدخلاً لوصف شخصية المترجم لـه، فيكـون الاسم محوراً يبني عليه وصفه، ومن ذلك ما جاء في ترجمة جابر بن جني التغلبي:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار: ج1/17/ 157.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 18.

[3] العمري، مسالك الأبصار: 16/ 146.

"وكان للكسر جابراً"[1]، ومن ذلك أيضاً ما جاء في ترجمة السراج الوراق: "سـراج ما برح لسانه، وإحسانه في تجليه الظلام طريقاً نهج"[2].

وتكشف ظاهرة توظيف الأسماء مهارة العمري في إبراز الملامح الرئيـسة لكل شخصية من خلال المفردات التي يستشفها من اسم الشخصية، إضافة إلى إبراز الأبعاد النفسية والثقافية لتلك الشخصية.

كما كان العمري يتكئ في بعض صوره التي يترجم بها للشخـصيات علـى المجاز ليخرج المفردات عن حدودها المعجمية إلى فضاءات شعرية واسـعة، إنـه يمتلك زمام التشكيل اللغوي الرفيع، الذي يقود إلى تحرر المفـردات مـن معانيهـا المعجمية المتداولة إلى معانٍ أخرى مشحونة بالدلالات والإيحـاءات التـي تجعـل التركيب ذا أبعاد متعددة.

ونلاحظ بأنها أسماء وأخبار يفيد منها العمري في ترجمته الأدبية. كما كـان العمري يوظف بعض الأخبار في تراجمه، وذلك ورد في ترجمة والبة بن الحبـاب الأسدي الكوفي[3]، "وكان يراه أبو نواس أحياناً ويتعامى كأنه ما رآه، وأحياناً يتغابى عليه حتى إذا واراه أمر به فنودي إليه، وسلّم غير تسليم البشاشة عليه. وحكي أنـه مر به أبو نواس مرة ومعه أولاد له صغار، فقال له أبو نواس كالمداعب معرضاً له بزمانه الذاهب: لو دمنا على ما كنا عليه إلى الآن كم كان لي منك ولد مثل هـؤلاء فتصامم والبة، وسكت على ما به في أيامه الذاهبة"[4]. أورد العمري أخباراً تتعلـق بشخصية المترجم له.

---

(1) العمري، مسالك الأبصار: 16: 99.

(2) العمري، مسالك الأبصار: 19/ 11.

(3) والبة بن الحباب الأسدي الكوفي، من شعراء الدولة العباسية، وهو أستاذ أبي نـواس، كـان ظريفاً غزلاً وصافاً للشراب والغلمان، كما هاجى بشاراً وأبا العتاهية، انظر: الأصـفهاني، الأغاني: 18/ 99.

(4) العمري، مسالك الأبصار: 14/ ق2/ 73.

كما وظف العمري بعض المعلومات التاريخية في تراجمه وذلك كما ورد في ترجمة إسماعيل بن بلبل[1]، "وزر للمعتمد، وكان أخوه الموفق عليه يعتمد، وشـرفه بالمصاهرة، وخاط نسبه بأنسابه الطاهرة، ولما قدم ابن بلبل دار الخلافة وارتجـت الدار، وخرج إليه الموفق بنفسه، وأخذ في زيارة ُأنسه، فقبل يد الموفق، ثـم قـال: كانت المصاهرة"[2]. نلاحظ بأن العمري قد ابتداء بذكر أخباره التاريخيـة ووظـف ذلك في الترجمة. لم يقتصر توظيف العمري على هذه الأمثلة وإنما أكثر العمـري في توظيف الأسماء والأخبار والمعلومات التي تضيء الترجمـة المقـصودة لـدى العمري، لذا اقتصرت على هذه الأمثلة لتواجدها في جميع الطوائف التي ترجم لهـا حيث لا تخلو ترجمة من توظيف أحد هذه العناصر.

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات: 95/9.

[2] العمري، مسالك الأبصار: 11/ 109.

الخاتمة:

يعد ابن فضل ا العمري واحداً من كبار المؤلفين العرب الذين ظهروا في القرن الثامن الهجري، واشتهروا بكتابتهم الموسوعية، التي كان في مقدمتها " مسالك الأبصار وممالك الأمصار". الذي ضم عدداً كبيراً من تراجم الشعراء والكتاب والوزراء واللغويين وأهل البلاغة والموسيقا والغناء، وغيرهم من أرباب الأقلام وأعلام اللغة والأدب والفكر، منذ العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الثامن الهجري، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه. وقد سعى من خلال هذه التراجم إلى تخليد مآثر هؤلاء الأعلام المشارقة والمغاربة، وتسجيل أروع ما أنتجته قرائحهم من النظم الرائع، والنثر البديع، من خلال هذه التراجم الأدبية؛ حتى عد أحد أقطاب هذا الصنف من التراجم في الثقافة العربية الإسلامية.

وقد بينت الدراسة أن العمري كشف عن دوافع تضمين موسوعته هذه التراجم ومنهجها ومصادرها المختلفة مثل كتـب الـسير والتـراجم العامـة، والـدواوين، والمكاتبة، والمشاهدة والمعاينة، والمـصادر الـشفوية، وغيرهـا، وموضـوعات الترجمة.

وكشفت الدراسة أن صياغة هذه التراجم تختلف من طائفة لأخـرى، كمـا يتبـاين حجمها من حيث الطول والقصر، وطريقة عرضها، غير أن الغالـب فيهـا أنهـا تتضمن حديثاً عاماً عن الأعلام المترجم لهم، دون تعمق في جزئيات حياتهم، وأنها تقدم في إطار من تأنق العمري في لغته وصياغته بطريقة فنيـة حافلـة بـضروب المحسنات البديعية: اللفظية والمعنوية، آخذة بالمثل الأعلى السائد، وسـائرة علـى مقاييس العصر الأدبية.

كما كشفت الدراسة عن اعتداد العمري في ثنايا تراجمه الأدبية بقدراته الفنية، وإعجابه بإنتاجه التأليفي، واعتزازه بمكانته الأدبية التي بز بها معاصريه، وسعيه للكشف عن موهبته في الإنشاء الأدبي والخطاب الشعري، وسعة محصوله الثقافي واللغوي، إلى جانب تقديم ملامح مختلفة من سيرته الذاتية الغنية. فقد أظهرت الدراسة أن علاقة العمري الطيبة بأستاذته وكثير من علماء عصره كانت وراء أن

يفرد تراجم لهم، فهي علاقة قائمة على التقدير والإعجاب بجهودهم العلمية وسيرتهم العملية وسلوكهم الأخلاقي الرفيع.

وبينت الدراسة أهمية بعض هذه التراجم التي دونها العمري لمعاصريه من أعلام الشعر والكتابة الفنية وأرباب الفكر واللغة والبيان وغيرهم، إذ تعد مصدراً مهماً لكثير من المصادر التي جاءت بعده وترجمت لأصحابها. كما أن كثيراً من هذه التراجم يتضمن قصائد ومقطعات ونتفاً شعرية وأخباراً تاريخية مختلفة تصور بعض مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية البارزة في عصر العمري، ولا نجدها في مصادر أخرى، ومما يزيد هذه التراجم أهمية المكانة الرفيعة التي احتلها العمري في مختلف فروع الثقافة العربية الإسلامية التي كانت شائعة في عصره: الأدب واللغة والنحو والعروض، والفقه وعلم الهيئة، والفلسفة والمنطق، وغير ذلك.

وبينت الدراسة أن هذه التراجم جاءت مرآةً تعكس شخصيته الثقافية، وذوقه الأدبي، وأسلوبه الفني الذي تميز بأنه يجمع بين موسيقى الشعر، وفصاحة النثر، وبلاغة الصياغة اللفظية الفنية، والعبارة الجزلة الرنانة ذات الإيقاع الجميل، من خلال توظيف الأشكال البلاغية المختلفة.

كما بينت الدراسة أن بعض هذه التراجم تضمن أحكاماً نقدية ذوقية تأثرية مقتضبة غير معللة في الغالب، أطلقها العمري، أو نقلها من المصادر التي اعتمد عليها، وهي تتصل ببعض جوانب شعر المترجم لهم أو نثرهم الفني، ومجالات التجويد فيه، كالإبداع في بناء الصورة الشعرية أو المضمون، والموازنات بين شاعر أو كاتب وشاعر أو كاتب آخر من المشارقة والمغاربة. أو الموازنة بين نصوص شعرية أو نثرية وأخرى,

وبعد فإن العمري قد وسم تراجمه بسمة الأدبية، حيث اقترب بهذه السمة إلى الشعر، فحينما نقرأ هذه التراجم نحس بالإيقاع الشعري الذي يتردد جرسه الموسيقي اعتماداً على الفاصلة وترديدها والازدواج والمساواة بين الجمل هـذا فـضل عـن توظيف الأشكال البلاغية من سجع وجناس وطباق، كما اقترب العمري بنثره المقفى إلى الشعر الموزون وذلك بشعريته الفذة التي توافرت بها عناصـر الـشعرية مـن

إيجاز ومجاز وصور فنية وانزياح بالمفردات عن دلالاتها المعجمية، وكل ذلك ينبئ بمقدرة عجيبة لدى العمري، فقد استطاع أن يلامس وهج الشعر بألفاظه وتراكيبـه وأوزانه وفواصله وصوره، وذلك مما يؤكد بأن هذه السمات ليست مقتصرة علـى الشعر، بل النثر يتسم بها اتساماً عالياً، وكتاب العمري خير دليل في ذلك حيث أفاد العمري في كتابه من كل شيء اطلع عليه، وقد وظفه في هـذه التـراجم توظيفـاً موسيقياً إيقاعياً.

وبعد، فقد اتسمت تراجم العمري المختلفة بسمات وميزات فنية رفيعة، جعلتها تقترب من الشعر، من خلال توظيفه عدداً من الأشكال الفنية والبلاغية المختلفة التي تلغي المسافة بين النثر والشعر، بل تجعل تراجمه إلى المنظوم أشبه منها بالمنثور، ومن ذلك بناء تراجمه على الإيقاع الداخلي والخارجي الـذي يتـأتى مـن خـلال الفواصل والازدواج والتوازي بين الجمل وشيوع ظاهرة التصوير الفني في رسـم الشخصيات المترجم لها، والميل إلى تكثيف المعاني والانزياح اللغوي.

المراجع

إبراهيم بن سهل الإشبيلي، (1884م)، **الديوان**، تحقيق إحـسان عبـاس، القـاهرة، المطبعة الحسينية.

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسـم، ت 668 هـ ـ، (1999م)، **عيـون الأنباء**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد العـدواني ت 654هـ ـ، (1956م)، **تحرير التحبير**، القاهرة.

ابن أبي حاتم، ت 327 هـ، (1953م)، **الجرح والتعديل**، مطبعـة دار المعـارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.

ابن أبي حصينة، أبو الفتح الحسن بن عبد ا ، ت 457هـ ـ،(1990م)، **الـديوان**، سمعه وشرحه أبو العلاء المعري، تحقيق محمد أسعد أطلس، دار صـادر، بيروت.

ابن الأبرص، عبيد بن الأبرص الأسدي، نحو 25 ق.هـ ـ، (1994م)، **الـديوان**، تحقيق حسين نصار، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، ت 630هـ ـ،(1982م)، **الكامل في التاريخ**، ج11، دار صادر، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي،(1992م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ج9، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الشعار، كمال الدين أبو البركات، المبارك بن أحمد، ت 654هـ ـ، (1992م)، **عقود الجمان في شعر هذا الزمان**، تحقيق نوري حموي القيـسي ومحمـد نايف الدليمي، دار الكتب، الموصل.

ابن العديم، كمال الدين، أبو القاسم عمر بن أحمد، ت 660هـ ـ، (1968م)، **زبـدة الحلب من تاريخ حلب**، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق.

ابن العديم، كمال الدين، أبو القاسم عمر بن أحمد، ت660 هـ ـ،(1988م)، **بغيـة الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، مطابع البعث، دمشق.

ابن المستوفي، مشرف الدين المبارك بن أحمد، ت637هـ،(1980م)، **تاريخ إربل**، تحقيق سامي الصفار وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

ابن النجار، محب الدين، أبو عبد ا محمد بن محمود، ت 643هـ،**(د.ت)، تـاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق، ت 438هـ،(1996م)، **الفهرست**، تحقيـق يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الوردي، زيد الدين عمر بن مظفر، ت749هـ،(1996م)، **تاريخ ابن الوردي**، ط1، دار الكتب العالمية، بيروت.

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، ت 542هـ،(1979م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج3، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت.

ابن بشكوال، خلق بن عبد الملك،(1966م)، **الصلة**، الدار المصرية، القاهرة.

ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسـن يوسـف الأتـابكي، ت 874هـ، (1929م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مطبعـة دار الكتـب المصرية، القاهرة.

ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسـن يوسـف الأتـابكي، ت 874هـ، (2002م)، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الصافي**، دار الكتب المـصرية، القاهرة.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل أحمد بن علي الكتاني، ت852هـ، (1997م)، **الدرر الكامنـة**، تحقيق عبد الوارث محمـد علـي، دار الكتـب العلمية، بيروت.

ابن حميد، محمد بن عبد ا بن علي بن عثمان، ت 1295هـ،(1996م)، **الـسحب الوابلة على ضريح الحنابلة**، تحقيق بكر بن عبد ا أبـو زيـد، مؤسـسة الرسالة، بيروت.

ابن حيوس، محمد بن سلطان بن محمد الغنوي، ت 453هـ،(1994م)، **الـديوان**، تحقيق خليل مردم بيك، دار صادر، بيروت.

ابن خاقان، الفتح (1989م)، **قلائد العقيـان،** ج1، تحقيق حسين خربـوش، مكتبـة المنار، الزرقاء.

ابن خالويه، أبو عبد ا   بن الحسين بن أحمد، ت 370هـ ، (2000م)، **شرح ديوان أبي فراس الحمداني**، إعداد محمد شريفه، مؤسسة عبد العزيز البابطين.

ابن رشيق، أبو علي الحسين،(1991م)، **أنموذج الزمان في شعرا القيروان**، تحقيق محمد العروسي وبشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن رمضان، صالح(2001م)، **الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثـر العربـي القديم،** جامعة منوبة، تونس.

ابن سعيد، علي بن موسى المغربي،(1973م)، **المرقصات المطربـات**، دار حمـد ومحيد، بيروت.

ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بـن رافـع الموصـلي، ت 632هـ ، (1994م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمـال الـدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي،(1982م)، **عيار الشعر**، ط1، شرح وتحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن ظافر الأزدي،(1999م)، **أخبار الدول المنقطعـة**، تحقيـق عـصام هزايمـة وآخرين، دار حمادة للطباعة والنشر، إربد.

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد الدمشقي،(1989م)، **طبقات علماء الحديث**، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأموي، ت328هـ،(1977م)، **الديوان**، تحقيق محمد التونجي، مكتبة الخافقين، دمشق.

ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني، (1404م)، **الكامل في ضعفاء الرجال**، دار الفكـر، بيروت.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة ا ،(1975م)، **تاريخ دمشق**، دراسة وتحقيـق محب الدين عمر بن عزامه العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

ابن فضل ا العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بـن يحيـى، ت 749هـ ـ - 1349م،(د.ت)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ج5 إلى ج19، تحقيق محمد عبد القادر وعصام مصطفى عقلة، ويوسف أحمد بني ياسين، مركـز زايد للتراث والتاريخ، العين.

ابن فضل ا العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بـن يحيـى، ت 749هـ ـ - 1349م،(2008م)، **عرف التعريف في المكاتبات**، دراسة وتحقيـق سـمير الدروبي، طبع بدعم من وزارة الثقافة، عمان.

ابن فضل ا العمري، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بـن يحيـى، ت749هـ ـ، (1894م)، **التعريف بالمصطلح الشريف**، مطبعة العاصمة، القاهرة.

ابن قلاقس،(1981م)، **الديوان**، تحقيق سهام الفريح – مكتبة الكويت.

ابن كثير، الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بـن عمـر،(1977م)، **البدايـة والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت.

ابن ميمون، محمد بن المبارك بن محمد،(2000م)، **منتهى الطلب في أشعار العرب**، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

ابن نباته، جمال الدين، أبو بكر محمد بن محمد، ت768هـ ـ،(1977م)، **الـديوان** تحقيق عبد الأمير الطائي، بغداد.

ابن هذيل الأندلسي، أبو الحسن عبد الرحمن، ت 389هـ،(1981م)، **عـين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن وكيع،(1994م)، **المنصف للسارق والمسروق منه في إظهـار سـرقات أبـي الطيب**، تحقيق عمر خليفة بن إدريس، جامعة قاريونس، ط1.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ت 231 هـ،(1981م)، **الحماسة الكبرى، برواية الجواليقي**، تحقيق عبد المنعم صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

الأدفوي، كمال الدين، أبو الفضل جعفر بن ثعلب ت 748هـ ـ،(1966م)، **الطـالع السعيد**، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

إدل، ليون،(1988م)، **فن السيرة الأدبية**، ترجمة صـدقي خطـاب، دار العـودة، بيروت.

الأربلي، بهاء الدين، أبو الحسن علي بن عيسى، ت 692هـ،(1984م)، **التـذكرة الفخرية**، تحقيق نوري حمودي القيسي، المجمع العلمي العراقي، بغداد.

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي،(د.ت)، **تهذيب اللغة**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

إسماعيل، عز الدين،(1976م)، **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربـي**، دار النهضة العربية، بيروت.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ت 356هـ،(1980م)، **الأغـاني**، مكتـب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ت 356هـ،(1984م)، **الإماء الـشواعر**، تحقيق نوري القيسي ويونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس،(1983م)، **الديوان**، تحقيق محمد محمـد حـسين، مؤسسة الرسالة.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، ت370 هـ،(د.ت)، **المؤتلـف والمختلـف**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، ت370 هـ،(1961م – 1965)، **الموازنـة**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة،.

باشا، عمر موسى،(1989م)، **تاريخ الأدب العربـي**، العصر المملوكي، دار الفكـر المعاصر، بيروت.

الببغاء، أبو الفرج عبـد الواحـد بـن نـصر بـن محمـد المخزومـي، ت 398 هـ،(1983م)، **شعر الببغاء**، دراسة وتحقيق سعود محمود عبـد الجبـار، جامعة قطر، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة.

البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني،(1982م)، **هدية العارفين، أسماء المـؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، ج5، دار الفكر، القاهرة.

البوصيري، شرف الدين أبو عبد ا محمد بن سعيد الـصنهاجي، ت 696 هـ، (د.ت)، **الديوان**، تحقيق محمد سيد كيلاني البابي الحلبي.

تميم بن المعز، أبو علي تميم بن المعر الفاطمي، ت 374 هـ،(1970م)، **الديوان**، تحقيق محمد الأعظمي، دار الثقافة، بيروت.

التونجي، محمد علي بن الحسن الباخرزي، (1994م)، **حياته وشعره**، دار صادر، بيروت.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت 429هـ،(1979م)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية.

الجاحظ، عمرو بن بحر ت 255هـ،(1982م)، **البيان والتبين**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

الجمحي، أبو عبد ا محمد بن سلام، ت 232هـ، (د.ت)، **طبقات فحول الشعراء**، دار المعارف، القاهرة.

الجهشياري، أبي عبد ا محمد بن عبدوس،(1983م)، **الوزراء والكتّاب**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي، ط1.

حسن، محمد عبد الغني(1955م)، **التراجم والسير**، دار المعارف، القاهرة،.

الحسناوي، محمد(1986م)، **الفاصلة في القرآن الكريم**، ط2، دار عمار، عمان.

الحميدي، أبو عبد ا محمد بن فتوح،(1989م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت 1089هـ،(1979م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة، بيروت.

الحنفي، محمد بن أحمد بن أياس، ت930هـ، (1982م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ط2، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي،(1995م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخفاجي، محمد عبد المنعم(د.ت)، **الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد حتى العصر الحديث**، دار الجيل، بيروت.

الخليع الأشقر، أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسـر،(1960م) **مقدمـة أشـعار الخليع**، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد، دار الثقافة، بيروت.
الدقاق، عمر (1968م)، **مصادر التراث العربـي فـي اللغـة والمعـاجم والأدب والتراجم، المكتبة العربية**، حلب، باب النصر.
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، 738هـ، (د.ت)، **معرفة القراء الكبار**، تحقيـق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت502هـ،(1870م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، جمعية المعارف المصرية، القاهرة.
الربعي، أبو الحسن علي بن محمد، ت 444هـ، (1985م)، **خرجة الألباني فـي تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق**، المكتب الإسلامي، بيروت.
رحيم، مقداد (2000م)، **اتجاهات نقد الشعر في الأندلس في عصر بني الأحمـر**، المجمع الثقافي، أبو ظبي.
الرواشدة، سامح(1998م)، **التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثـره فـي الإيقـاع والدلالة**، أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، إربد، م16، ع2.
الرومي، علي بن العباس بن جريج(1973م)، **الديوان**، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
الزركلي، خير الدين الأعلام،(1990)، **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء مـن العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت.
زعرور، إبراهيم (1990م)، **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيـوبي والمملوكي**، جامعة دمشق، دمشق.
زيدان، جورجي(1924م)، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج3، دار الهلال، القاهرة.
ساق ا ، زينب طاهر،(2004م)، **في الإنصاف بين المشرق والمغـرب**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت.
سلام، محمود زغلول،(د.ت)، **الأدب في العصر المملـوكي**، ج2، منشأة المعـارف الإسكندرية.

سليم، محمد رزق،(1962م)، **عصر سلاطين المماليك وإنتاجه العلمـي والأدبـي،** مكتبة الآداب.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد، ت 562هـ،(1988م)، **الأنساب،** تحقيق عبـد ا البارودي، دار الكتب، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ ـ،(1964م)، **بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

الشكعة، مصطفى، (1974م)، **مناهج التأليف عند العرب،** دار العلـم للملايـين، بيروت.

الشوابكة، محمد(2006م)، **السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيـف،** منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان.

شوقي، أحمد (1990م)، **من المصادر الأدبية واللغوية،** دار المعرفـة الجامعيـة، الإسكندرية.

صالح، بشرى موسى (2000م)، **نظرية التلقي أصول وتطبيقات،** الدار البيـضاء، المغرب.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبـك، ت 764هـ ـ،(1997م)، **أعيـان العـصر وأعوان النصر،** تحقيق علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة ومحمد موعد ومحمود سالم، دار الفكر، دمشق.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت 764هـ،(2001م)، **الـوافي بالوفيـات،** تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت 764هـ،(1883م)، **جنان الجنـاس فـي علم البديع،** مطبعة الجوانب، القسطنطينية.

ضيف، شوقي(1967م)، **مقالته في عصر إحياء التراث العربي وتجديـده،** العـدد (المجلة) رقم 122، القاهرة، شباط.

الطرابلسي، أمجد(1971م)، **نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغـة والأدب،** مكتبة دار الفتح، دمشق، ط5.

عاشور، سعيد عبد الفتاح (1965م)، **العصر المماوكي فـي مـصر والـشام**، دار النهضة العربية، القاهرة.
عباس، إحسان (2006م)، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الشروق، عمان.
عباس، إحسان،(1992م)، **فن السيرة**، ط 6، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
عسران، محمد(2007م)، **موسيقى الشعر**، مكتابة بستان المعرفة.
العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (د.ت)، **خريدة القصر في ذكر فضلاء أهل أرجان والجبل**، تحقيق عدنان محمد آل طعمه، طهران.
العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد،(1955م)، **خريـدة القـصر وجريـدة العصر**، المجمع العلمي العراقي، بغداد.
عمارة اليمني، نجم الدين، أبو محمد عمارة بن علي، ت 569هـ،(1991م)، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.
العمد، هاني(1981م)، **دراسات في كتب التراجم والسير**، ط1، المؤسسة الـصحفية الأردنية، عمان.
العمري، محمد (1999م)، **البلاغة العربية أصولها وامتدادها، أفريقيـا الـشرق**، بيروت.
عنترة بن شداد العبسي،(1986م)، **الديوان**، تحقيق فوزي عطـوي، دار المعرفـة، بيروت.
عيد، رجاء(1985م)، **التراث النقدي نصوص ودراسة**، دار المعارف، الإسكندرية.
الفقي، محمد كامل، (1984م)، **الأدب العربي في العـصر المماـوكي**، ط 2، دار الموقف العربي، القاهرة.
قدامة بن جعفر،(1933م)، **نقد النثر**، تحقيق طه حسين، القاهرة.
القرطاجني، حازم أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، ت 684 هـ ، (1966م)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس.
القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت 749هـ،(1991م)، **الإيضاح فـي علوم البلاغة**، ط2، قدم له وبوبه علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت.

القسطلي، أحمد بن دراج، أبو عمر،(1961م)، **الديوان**، تحقيق محمود علي مكـي، المكتب الإسلامي، دمشق.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الغـزاري، ت821هـ ـ، (1987م)، **صـبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرحه وعلق عليه نبيل خالد القطب، دار الكتب العلمية، بيروت.

القيسي، فايز عبد النبي،(2008م)، ترجمة ابن السيد البطليوسي للفتح بن خاقـان، **المجلة الأردنية في للغة العربية وآدابها**، م4، ع2، ربيع الأول 1429هـ/ نيسان.

كادون،(1962م)، **الأديب وصناعته**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بيروت.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، ت 764هـ،(1981م)، **فوات الوفيـات**، تحقيـق محمد محي الدين بن عبد المجيد.

لسان الدين بن الخطيب السلماني،(2008م)، **السحر والشعر**، ط1، تحقيـق خالـد الجبر وعاطف كنعان، الأردن، دار جرير.

المزي، جمال الدين يوسف، ت742هـ،(1992م)، **تهـذيب الكمـال فـي أسـماء الرجال**، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المسعدي، محمود(1996م)، **الإيقاع في السجع العربي**، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد ا ، تونس.

مسعود، جبران محمد فنون(2004م) **النثر في آثار لسان الدين ابن الخطيـب**، دار المدار الإسلامي، بيروت.

مسعود، جبران محمد(1971م)، **نظرة تاريخية في حركة التأليف عنـد العـرب**، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط5.

المسعودي، علي بن الحسين، ت 346هـ ـ،(1948م)، **مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة الإسلامية، بيروت.

مطلوب، أحمد، (1989م)، **معجم النقد العربي القديم**، ط 1، دار الشؤون الثقافيـة العامة، آفاق عربية، بغداد.

معروف، بشار عواد (1976م)، **الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام**، مطبعة عيسى البابي، القاهرة.

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، ت 18ق.هـ ـ،(1977م)، **الـديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

الهروط، عبد الحليم(2006م)، **النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيـب**، ط1، دار جرير، عمان.

ياقوت الحموي، (1993م)، **معجم الأدباء**، تحقيق إحـسان عبـاس، دار الغـرب الإسلامي، بيروت.

ياكبسون، رومان(1988م)، **قضايا الشعرية**، ط1، ترجمة محمد الـولي ومبـارك حنوز، دار توبقال للنشر، المغرب.

اليونيني، قطب الدين موسى،(1954م)، **ذيل مرآة الزمان**، مطبعة دائرة المعـارف العثمانية، حيدر أباد الدكن.